العواصم من القواصم

في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

للإمام القاضي أبي بكر بن العربي المالكي

٤٦٨ - ٥٤٣

حققه وعلق حواشيه

العلامة الشيخ محب الدين الخطيب

١٣٠٣ - ١٣٨٩هـ

خرج أحاديثه وعلق عليه

الأستاذ محمود مهدي الاستانبولي

وثقه وزاد فى تحقيقه والتعليق عليه
المكتب السلفى لتحقيق التراث باشراف

الدكتور محمد جميل غازى

دار الكتب السلفية

العواصم من القواصم
فى تحقيق مواقف
الصحابة بعد
وفاة النبى ﷺ

الطبعة الأولى ـ ١٤٠٥ هـ

جميع الحقوق محفوظة للناشر

دار الكتب السلفية

لصاحبها: شرف حجازي

مؤسسة علمية لنشر وتحقيق وتوزيع الكتاب الاسلامي

١٠ شارع الشيخ على الفاياتى
متفرع من ناصية البستان مع الجمهورية
خلف مسرح الجمهورية ـ بعابدين ـ القاهرة

العواصم من القواصم

في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

للإمام القاضي أبي بكر بن العربي المالكي

٤٦٨ - ٥٤٣

حققه وعلق حواشيه

العلامة الشيخ محب الدين الخطيب

١٣٠٣ - ١٣٨٩هـ

خرج أحاديثه وعلق عليه

الأستاذ محمود مهدي الإستانبولي

وثقه وزاد فى تحقيقه والتعليق عليه
المكتب السلفى لتحقيق التراث باشراف

الدكتور محمد جميل غازي

دار الكتب السلفية

مفتاح رموز التحقيق

ج = نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية ، تحت رقم « ٤٢٦٥٤ »

ز = نسخة ثانية مخطوطة فى دار الكتب المصرية ، تحت رقم « ٦٢١ » عقائد تيمور .

د = نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية ، تحت رقم « ٢٢٠٣١ ب »

ب = النسخة المطبوعة التى نشرها الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ، فى قسنطينة ، الجزائر الجزء الأول سنة ١٩٢٧ .

الجزء الثانى سنة ١٩٢٨

وكان قد نشرها اعتماداً على مخطوطة واحدة توجد بجامع الزيتونة ، بتونس فيها بياض وخروم فى بعض المواطن ، وقد اجتهد فى قراءة النص اجتهاداً جيداً ، وحاول أن يحافظ على النص كما هو (١) .

* والجدير بالذكر أن العلامة الشيخ محب الدين الخطيب نشر هذا الكتاب اعتماداً على طبعة الشيخ ابن باديس سالفة الذكر ، دون غيرها كما نص على ذلك فى مقدمة كتابه (٢) ، ولم يعتمد على آية مخطوطة أخرى .

وهذا ما جعله يتصرف فى بعض النصوص ، فيقدم ويؤخر على حسب ما أداه اليه اجتهاده ، وخاصة فى التهم التى وجهها الخوارج ... ، وتصرف فى بعض التراكيب والكلمات ، وقد أشرنا الى أغلب ذلك فى هوامش الكتاب.

س = المكتب السلفى لتحقيق التراث .

خ = محب الدين الخطيب رحمه الله .

م = محمود مهدى الاستانبولى .

---

(١) اراء أبى بكر بن العربى الكلامية ــ الجزء الأول ــ صفحة ٢٩٠ .

(٢) العواصم من القواصم ــ مقدمة المحقق ، صفحة ٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

التقدمة

بقلم : الدكتور محمد جميل غازى

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

* * *

الثقافة الاسلامية بين الأصيل والدخيل

— ١ —

الاسلام دين صاغ « دائرة معارف » هائلة لم يشهد لها التاريخ مثيلا ! وقد انبثق من هذه الدائرة العديد من العلوم والفنون والمؤلفات بل و .. « دوائر المعارف » أيضاً ! ..

وظلت البشرية منذ أن ابتدأت هذه الدائرة ترسل أضواءها الأولى بدءاً من « اقرأ باسم ربك الذى خلق » تعب من هذا الرحيق المختوم ، وترتوى من هذا المعين الصافى ، وتتزود من هذا الزاد الذى لا ينفد ... !

بحيث يحق لنا أن نقول : ان « دائرة المعارف الاسلامية » التى وضع لبناتها الأولى « الرسول الخاتم محمد بن عبد الله ، عليه صلوات الله » بوحى

من الله ، ومدد من هداه ! ظلت •• وستظل المصدر الأول لكل ثقافة ، والمرجع الأساسى لكل علم ، والمحرك العظيم لأى حضارة ••

أقر بهذا من أقر ، وجهله من جهله ، وأنكره من أنكر ! ••

***

وموسوعة الثقافة الاسلامية — هذه — وسعت بين دفاتها عقولا ، وأمماً ، ومدارس ، واتجاهات ••• وصاغت كل أولئك صياغة اسلامية موفقة •••• وباهرة !

ولم يكن بناة هذه الحضارة ودعاتها وأساتذتها من العرب وحدهم ، بصفتهم هم أول من تلقى الوحى ، وآمن به !

وانما — شارك — فى •ثراء هذه الحضارة الفكرية أجيال من المفكرين والعلماء والأئمة مذكورون ومسطورون فى أعز وأغلى صفحات الفكر الاسلامى والانسانى ! ••

ان « الحضارة الفكرية الاسلامية » لم تكن ، ولن تكون ملكاً لأمة من الأمم ، أو دولة من الدول ، أو جيل من الأجيال ! بحيث يحق لأى فرد أو جماعة أن يحتفظ لنفسه أو لأمته بحقوق التأليف والنشر والتصرف !

لأن هذه الثقافة •• ثقافة مرتبطة بالوحى الذى أنزله الله ، لهداية البشر، كل البشر ! ••

— ٢ —

وكانت السمة الغالية على هذه الثقافة ••• الحرية ، والاجتهاد ، والاختيار ••• وتلك ميزات نعرفها للثقافة التى تتفاعل مع الانسان ، كل انسان ، وتتعامل مع الزمان ، كل زمان ، وتتداح حتى تستوعب المكان كل مكان !

وظل باب الاجتهاد — فى هذه الثقافة — مفتوحاً ، على كل مصاريعه ليقول كلمة الحق فى كل ما يعترى « المسيرة البشرية » من مشكلات وتطلعات وارتباطات ! ••

وينبغى لنا ، ويجمل بنا ، أن نتوقف عند هذه النقطة من هذه المقدمة لنقول :

ان ثراء الثقافة الاسلامية ...

وان باب الاجتهاد المفتوح على مصاريعه فيها ...

وان ترحيبها المستمر بكل الأمم والشعوب ...

ان كل أولئك كان مدخلا تسللت منه رواسب ثقافات ، وبقايا اعتقادات ومزيج من الخرافات التى لا تتفق مع الاسلام فى الشكل أو فى الموضوع ! آرأيت الى النهر العظيم ، وهو يهدر فى مجراه ... وينساب قوياً عظيماً ليروى الظماء من البشر والحيوان والطير والقفار ... !

أرأيت الى هذا المنهل العذب وعطائه العظيم ...

كذلك ... نهر الثقافة الاسلامية ...

ثم ...

أرأيت الى ما يعلق بهذا النهر من غثاء ... ونباتات طفيلية ... وجنادل وصخور ناتئة من شطآنه ... أو ملقاة فى سبيل مده الهادر !

كذلك ... نهر الثقافة الاسلامية .

واذا كان كل نهر فى حاجة الى من يطهر مجراه .. ويعمقه .. ويزيل ما علق بمجراه ، من كل ما يعوق تدفقه واندفاعه فكذلك الاسلام ... وهذا هو دور المجددين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

[ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها] ..

وكلمة [من] لا تعنى مجدداً واحداً ... بل تعنى عشرات ، ومئات ، وألوف المجددين ... على « طول » الزمان .. و « عرض » المكان !

والتجديد يكون [لأمر الدين] لا للدين نفسه !

وأمر الدين كله تتسع لتشمل كل المعارف التى فجرها هـذا الدين ، سواء أكانت فى أصول الدين ، أم أصول الفقه ، أم أصول الدنيا ...

— ٤ —

ان الأمم الكثيرة والاملاء التى لا تكاد تنتهى حصراً واستقصاء من الداخلين فى هذا الدين .. قد جروا معهم عن قصد أو عن غير قصد ، بحسن نية أو بسوء نية ... مجموعة من الأفكار ، والاتجاهات ، والمأثورات الشعبية ، والأساطير القومية ، والاتجاهات السياسية ، والانتماءات الحزبية ...

وكل ذلك — وغيره كثير — شكل ركاماً من الدخيل الذى ألصق بالثقافة الاسلامية الصاقاً ... ومثل من نسميه بالخرافات والبدع والأقاصيص .. !

* * *

ولقد كان المجال التاريخى — ولا زال ، وسيظل — معبراً للتصورات الباهتة ، والروايات الموضوعة ، التى تؤيد حزباً ضد حزب ، وتعين فريقاً على فريق ! ان « الرواية التاريخية » أصبحت على لسان المحاربين كالسيف الذى فى أيديهم يقتلون بها ... ! ويثيرون القلاقل فى صفوف أعدائهم ..!

واذا كانت « الحرب الباردة » تعتمد على « الاشاعة » و « الأكاذيب » .. فان « الاشاعة » و « الأكاذيب » تحولت الى روايات تاريخية .. بل الى روايات حديثية .. يضعها الوضاعون ، ثم يرفعونها بلا خوف ولا خجل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو يقفونها بلا حياء ولا استخزاء عند صحابته رضوان الله عليهم .. !

— ٥ —

وان الله الذى تعهد بحفظ « ذكره » و « وحيه » قيض لهذه الثقافة من ينفى عنها الخبث والعبث والضلال والتضليل والزيف والدخيل ...

وما هذا الكتاب الذى نقدمه للناس اليوم الا واحد من هذه « الأعمال الجليلة » التى قام بها « علماء أجلاء » ينافحون بها عن دين الله ، ويبعدون بها الخرافة والضلالة عن كواه .

ومؤلف هذا الكتاب هو الامام الحجة الثبت محمد بن عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن أحمد المعافرى الأشبيلى المعروف بالقاضى أبى بكر بن العربى، ولد فى ٢ ٢شعبان سنة (٤٦٨ هـ) وتوفى فى ربيع الأول سنة (٥٤٣ هـ) .

— ٦ —

* والعواصم من القواصم » مؤلف عظيم للقاضى أبى بكر بن العربى

* نشره الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة (١٣٤٧ هـ) فى جزئين وذلك عن مخطوطة جامع الزيتونة بتونس وبالمخطوطة خروم وسقطات وتقديم وتأخير ، ولعل ذلك من الناسخ .

* أخذ منه الشيخ محب الدين الخطيب قسماً من الجزء الثانى منه ابتداء من صفحة (٩٨) الى صفحة (١٩٣) ونشره معتمداً على هذه المطبوعة فقط ولم يلتفت الى أى مخطوطة أخرى [٣] . وسماه :

« العواصم من القواصم » . .

فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

وذلك للمرة الأولى سنة (١٣٧١ هـ) ثم توالت الطبعات عن هذه الطبعة نفسها .

* نشر الكتاب بعد ذلك كاملا فى قسمين الاستاذ الدكتور « عمار طالبى » الاستاذ بكلية الآداب جامعة الجزائر ورئيس قسم الفلسفة آنذاك :

ــ القسم الأول : دراسة لآراء أبى بكر بن العربى الكلامية ونقده للفلسفة اليونانية .

---

(٣) انظر مقدمته الكتاب ــ صفحة ٨ .

ـ القسم الثانى : النص الكامل والصحيح للمرة الأولى لكتاب : « العواصم من القواصم » .

* نشر الأستاذ محمود مهدى الاستانبولى (حفظه الله) ـ طبعة الشيخ محب الدين الخطيب نفسها محتفظاً بتعليقات الشيخ الخطيب كاملة الا أنه زاد عليه فى التعليق فقط فى اثبات بعض التحقيقات الحديثية والتاريخية .

ـ ٧ ـ

وما قام به الاخوة ـ الكرام ـ فى المكتب السلفى لتحقيق التراث (٤) هو :

● المقابلة على مخطوطات ثلاث كلها فى دار الكتب المصرية :

١ ـ الأولى برقم ٢٢٠٣١ ب

٢ ـ الثانية برقم ٦٢١ عقائد تيمور .

٣ ـ الثالثة برقم ٤ ش علم الكلام .

واثبات ما رأوه صحيحاً بين قوسين [ـ] .

● حذف التعليقات التى بناها الشيخ الخطيب على أخطاء مطبوعة الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس .

مع الاحتفاظ بكل التعليقات الأخرى ، وقليل ما حذفوا .

● عمل ترجمة للامام القاضى أبى بكر بن العربى وكتبه .

● زيادة تخريج وتحقيق الأحاديث النبوية . وان كان صديقنا العلامة

---

(٤) هو هيئة علمية تتكون من خيرة متخصصة فى تحقيق التراث (وهى تابعة لدار الكتب السلفية) تقوم بنشر النادر والثمين من تراثنا الاسلامى .
وقد اخذت على عاتقها اعادة نشر كتب التراث التى لم تأخذ حقها من التحقيق أو نشرت بدون الاعتماد على مخطوطات موثقة ، كذا اعداد الفهارس لتيسير البحث والاستفادة لطلاب العلم ـ والله الموفق وهو وحده المستعان .

محمود مهدى الاستانبولى ــ حفظه الله ــ قد قام بذلك ولكن صدق من قال « كم ترك الأول للآخر !! » •

وكذلك قد أثبتوا جميع الفوائد التى كتبها الشيخ محمود مهدى فى نشرته •

● توثيق نص الكتاب بالاعتماد على المخطوطات سالفة الذكر • دون أخطاء •

● اضافة بعض التعليقات التى اقتضاها الموضوع •

❊ ❊ ❊

وانني اذ أقدم هذا الكتاب العظيم ، لذلك المؤلف العظيم ، لا يسعنى الا أن أسجل هنا كلمة تحية وتقدير للشاب السلفى الغيور الأستاذ شرف حجازى : الذى قام باخراج هذا الكتاب ومتابعة العمل فيه ، على هذا النحو الجيد ••

وان كنت لا أنسى أن أسجل له ــ أعزه الله ووفقه ــ جهوده الكبيرة والكريمة فى سبيل اخراج كثير من كتب التراث النافعة ، بهذا الاخراج الطيب •

فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء •

وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك ••

الزيتون فى ٣ من شهر جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ ••

الدكتور محمد جميل غازى

رئيس المركز الاسلامى العام لدعاة التوحيد والسنة

ترجمة القاضى أبى بكر بن العربى

٤٦٨ ــ ٥٤٣ هـ

اسمه ونسبه :

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافرى الأشبيلى المالكى .

ولد فى ٢٢ شعبان سنة (٤٦٨ هـ) (٣١ مارس ١٠٧٦ م) بمدينة اشبيلية ، فى أحضان أسرة كانت لها حظوة لدى المعتمد بن عباد فى عصر دول الطوائف .

* * *

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

ــ قال الشيخ صديق حسن خان فى (التاج المكلل / ٢٨٠/٣٠٨) : امام فى الأصول والفروع ، سمع ودرس الفقه والأصول وجلس للوعظ والتفسير ، وصنف فى غير فن ، والتزم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى أوذى فى ذلك بذهاب كتبه وماله فأحسن الصبر على ذلك كله . ا هـ .

ــ وقال الشيخ العلامة أحمد بن محمد الشهير بالمقرى من كتابه « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » : علم الأعلام ، الطاهر الأثواب ، الباهر الأبواب ، الذى أنسى ذكاء اياس ، وترك التقليد للقياس ؛ وأنتج الفرع من الأصل ، وغدا فى الاسلام أمضى من النصل » ا هـ من التاج المكلل .

* * *

فوائد منقولة عنه :

١ ــ قوله : قال علماء الحديث ــ ما من رجل يطلب الحديث الا كان على وجهه نضرة ؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرءاً سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها ... » الحديث .

قال : وهذا دعاء منه صلى الله عليه وسلم لحملة علمه ، ولابد بفضل الله تعالى من نيل بركته » .

* * *

٢ ـ ومنها أيضاً :

قوله : تذاكرت بالمسجد الأقصى مع شيخنا أبى بكر الفهرى حديث أبى ثعلبة المرفوع « ان من ورائكم أياماً للعامل فيها أجر خمسين منكم ، فقالوا : منهم ؟ فقال : بل منكم ، لأنكم تجدون على الخير أعواناً ، وهم لا يجدون عليه أعوانا ، وتفاوضنا كيف يكون أجر من يأتى من الأمة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الاسلام وعضدوا الدين ، وأقاموا المنار ، واقتحموا الأمصار ، وحموا البيضة ، ومهدوا الملة .

وقد قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح فى البخارى : « لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهباً ما بلغ أحدهم ولا نصيفه » فتراجعنا القول وتحصل ما أوضحناه فى شرح الصحيح .. وخلاصته أن الصحابة كانت لهم أعمال كثيرة لا يلحقهم فيها أحد ، ولا يدانيهم فيها بشر ، وأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها فى الأجر من أخلص اخلاصهم وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين ، والاسلام وهو أيضاً انتهاؤه ، وقد كان قليلا فى ابتداء الاسلام صعب المرام لغلبة الكفار على الحق ، وفى آخر الزمان أيضاً يعود كذلك لوعد الصادق صلى الله عليه وسلم بفساد الزمان وظهور الفتن وغلبة الباطل واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق ، وركوب من يأتى من سنن من مضى من أهل الكتاب كما قال صلى الله عليه وسلم :

« لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء . [رواه مسلم] .

فلابد والله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق أن يرجع الاسلام الى واحد كما بدأ من واحد ، ويضعف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى اذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف وباع نفسه من الله تعالى فى الدعاء اليه كان له من الأجر أضعاف ما كان لمن كان متمكناً منه معاناً عليه بكثرة الدعاة الى الله تعالى ، وذلك قوله لأنكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا حتى ينقطع ذلك انقطاعاً تاماً — لضعف الدين وقلة اليقين .

كما قال صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله » . رواه مسلم — يروى برفع الهاء ونصبها ؛ فالرفع على معنى لا يبقى موحد يذكر الله عز وجل ؛ والنصب على معنى لا يبقى آمر بمعروف وناه عن منكر — .

* * *

٣ — ومن فوائده أيضاً :

أنه قال : كنت بمجلس الوزير العادل أبى منصور بن جهير ؛ فقرأ القارىء : « تحيتهم يوم يلقونه سلام » وكنت بظهر أبى الوفاء بن عقيل امام الحنبلية — بمدينة السلام — وكان معتزلى الأصول ، فلما سمعت الآية — قلت لصاحب لى كان يجلس على يسارى — هذه الآية دليل على رؤية الله تعالى فى الآخرة ، فان العرب لا تقول لقيت فلاناً الا اذا رأته ، فصرف أبو الوفاء وجهه مسرعاً الينا ؟ وقال : ينتصر لمذهب الاعتزال فى أن الله لا يرى فى الآخرة ، فقد قال تعالى : « فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم الى يوم يلقونه » وعندك ان المنافقين لا يرون الله تعالى فى الآخرة ؛ وقد شرحنا وجه الآية فى « المشكلين » وتقدير الآية : فأعقبهم هو نفاقاً فى قلوبهم الى يوم يلقونه ، فيحتمل ضمير — يلقونه — أن يعود الى ضمير الفاعل — فى أعقبهم — المقدر بقولنا — هو — ويحتمل أن يعود الى النفاق مجازاً على تقدير الجزاء » ا هـ .

* * *

٤ ــ ومن فوائده أيضاً :

قوله : انه كان بمدينة السلام امام من الصوفية وأى امام يعرف بابن عطاء ؛ فتكلم يوماً على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرئته مما نسب اليه من مكروه ، فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالحليقة من كل طائفة فقال يا شيخ يا سيدنا ! فاذن يوسف هم وماتم !! ــ فقال نعم ــ لأن العناية من ثم ! فانظروا الى حلاوة العالم والمتعلم ، وفطنة العامى فى سؤاله والعالم فى اختصاره واستيفائه .

ولذا قال علماؤنا الصوفية ان فائدة قوله تعالى : « فلما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً » ان الله أعطاه العلم والحكمة أيام غلبة الشهوة لتكون سبباً للعصمة . اهـ .

* * *

٥ ــ ومنها قوله :

كنت بمكة مقيماً فى سنة ٤٨٩ ، وكنت أشرب من ماء زمزم كثيراً وكلما شربته نويت العلم والايمان ؛ ففتح الله لى ببركته فى المقدار الذى يسره لى من العلم ؛ ونسيت أن أشربه للعمل ، وياليتنى شربته لهما حتى يفتح الله لي فيهما ولم يقدر فكان صفوى للعلم أكثر منه للعمل ، وأسأل الله الحفظ والتوفيق برحمته .

* * *

٦ ــ ومنها قوله :

حكاية عن الجوهرى : أنه كان يقول : اذ أمسكت علاقة الميزان بالابهام والسبابة وارتفعت سائر الأصابع كان شكلها مقروءاً بقولك « الله » فكأنها اشارة منه سبحانه لتيسير الوزن الى أن الله سبحانه مطلع عليك فأعدل فى وزنك . اهـ .

* * *

مؤلفـــــاته

للامام القاضى أبى بكر ابن العربى مؤلفات كثيرة لم يصلنا أغلبها ، وقد فضى أربعين سنة فى الاملاء والتدريس ، وفى بث ما حصـــله من العـــلوم ، ونستطيع أن نصنف أسماء مصنفاته حسب موضوعاتها .

أما التصنيف حسب تاريخ تأليفها فمن الصعب القيام به ، لأنه يحيـــل الى كتبه فى أماكن كثيرة من مصنفاته مما يدل على أنه يملى فى وقت واحـــد عدة كتب وأنه لا يقتصر على كتاب واحد حتى يفـــرغ منه ، ثم يبـــدأ فى عيره (٥) .

(ا) علوم القرآن :

١ ــ احــكام القرآن :

لا شك فى نسبة هذا الكتاب الى أبى بكر بن العربى لأنه فد ذكـــره فى كتابه « شرح صحيح الترمذى » المسمى بـ « عارضة الأحوذى » .

(جـ ١ ص ٥١ ، ٥٩ ، ١٦ ،١ ١٢٤ ، ٢٠٤) .

وذكره فى (سراج المريدين) (ورقة ٢٣٧) .

ونسبه اليه تلميذه أبو بكر بن خير الأشبيلى فى فهرست ما رواه عـــن شيوخه .

(ط . سرقسطة ١٨٩٣ ، ص ٥٤) .

ونسبه اليه ابن فرحون فى (الديباج ص ٢٨١) .

٢ ــ أنوار الفجر :

هو أعظم كتاب له ، كان كثيراً ما يفتخر به ، ويشيد بأهميته فى مختلف

---

(٥) آراء أبى بكر بن العربى الكلامية ــ د. عمار طالبى (جـ ٦٥/١) .

كتبه ، ذكر أنه ألفه فى مدة عشرين عاما ، وأن به ثمانين ألف ورقة • ولم يصل الينا شيء منه فيما نعلم [٦] •

وذكره المقرى فى نفخ الطيب (جـ ٢ ص ٢٤٢) •

٣ ـ قانون التأويل :

ذكر أبو بكر بن العربى أنه ألفه فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وصرح بذلك فى مقدمة كتابه (عارضة الأحوذى) (جـ ١ ص ٤٩) •

وذكره المقرى فى نفح الطيب (جـ ٢ ص ٢٤٢) •

٤ ـ الناسخ والمنسوخ :

ذكره فى كتابه سراج المريدين (ورقة ٢٣٧) وتحدث عنه فى عدة مواضع من « أحكام القرآن » وذكره ابن خير والمقرى • وابن فرحون فى الديباج (ص ٢٨٢) •

٥ ـ المقتبس فى القراءات :

نسبه اليه حاجى خليفة فى « كشف الظنون » [٢/٤٩٩] [٧] •

* * *

(٦) آراء أبى بكر بن العربى الكلامية (جـ ١ ص ٦٧) . د. عمار طالبى.
(٧) آراء أبى بكر بن العربى الكلامية (جـ ١ ص ٦٩) .

(ب) الحديث :

١ ـ عارضة الأحوذى فى شرح الترمذى :

ذكره بهذا العنوان ابن خلكان فى وفيات الأعيان (ط • محى الدين عبد الحميد ، القاهرة /٣/٤٠٢٤) وسماه المؤلف فى كتابه « سراج المريدين » (ورقة ٢٣٧) بشرح الترمذى •

وذكره المقرى فى (نفح الطيب) [٢/٢٤٣] •

وطبع الكتاب فى ثلاثة عشر مجلدا •

٢ ـ شرح الحديث :

ذكر المؤلف هذا الكتاب فى أحكام القرآن فى ثلاثة مواضع ويحتمل أن يكون هو نفس كتاب شرح صحيح الترمذى •

٣ ـ كتاب النيرين فى الصحيحين :

وسماه أحيانا شرح الصحيحين كما فعل فى كتابه « أحكام القرآن » وذكره فى كتابه العواصم من القواصم •

واقتصر أحيانا على تسميته « بالنيرين » كما فعل فى كتابه عارضة الأحوذى (١٠ / ٢٢) •

٤ ـ مختصر النيرين :

ذكره فى شرح صحيح الترمذى (١٠/٢٢) •

٥ ـ الأحاديث المسلسلات :

نسبه اليه أبو بكر بن خير الأشبيلى فى فهرست ما رواه عن شيوخه (ص ١٧٥) وأخذه عنه ، وذكره المقرى فى نفح الطيب (٢/٢٤٣) •

٦ ـ الأحاديث السباعيات :

نسبه اليه أبو بكر بن خير الأنسبيلى ودرسه عليه (ص ١٧٥) وذكره أيضاً المقرى فى نفح الطيب (٢/٢٤٢) .

٧ ـ شرح حديث أم زرع :

نسبة اليه المقرى (نفح الطيب ، ٢/٢٤٢)

٨ ـ شرح حديث الافك :

نسبة اليه المقرى (نفح الطيب ، ٢/٢٤٢)

٩ ـ شرح حديث جابر فى الشفاعة :

نسبة اليه المقرى (نفح الطيب ، ٢/٢٤٢)

١٠ ـ الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب :

ذكره المقرى (نفح الطيب ، ٢ / ٢٤٢) .

١١ ـ كتاب مصافحة البخارى ومسلم :

أخذه عنه أبو بكر الأشبيلى (ص ١٦٦ فى فهرسته) .

* * *

(جـ) مشكل القرآن والحديث :

يدخل تحت هذا القسم كتاب واحد هو كتاب « المشكلين » ذكره فى « أحكام القرآن » ونص عليه فى « عارضة الأحوذى » [١١/٢٧٥] .

* * *

(د) أصول الدين او علم الكلام :

١ ــ العواصم من القواصم :

وهو كتابنا هذا •

ــ وقد أشار المؤلف نفسه الى كتابه فى عـدة كتب من تأليفـه كسراج المريدين وعارضة الأحوذى (١٣/٢٥٥) ، (١٣/٢٢٩) •

ــ ونسبه اليه المقرى فى نفح الطيب (٢/٢٤٢)

ــ وابن فرحون فى الديباج (ص ١٢١)

ــ والشاطبى فى الاعتصام [١/١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٣١٦ ، ٣٤٣ ، جـ ٣/١٥٤]

ــ والذهبى فى تذكرة الحفاظ (جـ ٣ / ٣٢٤ ، ٣٢٥) •

٢ ــ الدواهى والنواهى :

ذكره فى كتبه كأحكام القرآن والعواصم من القواصم •

ونسبه اليه المقرى (نفح الطيب ، ٢/٢٤٢) •

وذكره حاجى خليفة [كشف الظنون ، جـ ١ /٤٩٦]

٣ ــ رسالة الغرة :

ذكرها المؤلف فى العواصم من القواصم وبين أنه كتبها رداً على رسالة لابن حزم تسمى « برسالة الدرة فى الاعتقاد » •

(العواصم من القواصم ص ٢٦٦ ــ طبعة د• عمار طالبى) •

٤ ــ الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا :

نوه بكتابه هذا فى عدة مواضع من مصنفاته كشرح الترمذى وأحكام القرآن •

ونسبه المقرى فى نفح الطيب اليه (٢/٢٤٢) •

قال الدكتور عمار طالبى ــ حفظه الله :

وقد عثرنا على الكتاب مخطوطاً فى خزانة الوثائق بالرباط سنة ١٩٦٧ ووقفنا عليه ، وهو يقع تحت رقم (ق ٤) .

٥ ــ كتاب المتوسط فى معرفة صحة الاعتقاد ، والرد على من خالف السنة ، وذوى البدع والالحاد :

ذكره فى كتابه « عارضة الأحوذى ، ١٢/١١٨ » .

ذكره أبو بكر بن خير الأشبيلى فى فهرست ما رواه عن شيوخه (ص ٢٥٩) ونسبه اليه المقرى فى نفح الطيب (٢/٢٤٣) .

٦ ــ كتاب المقسط فى شرح المتوسط :

ذكره فى كتابه « أحكام القرآن » ونص عليه فى غير ما كتاب من مؤلفاته .

ونسبه اليه أبو بكر بن خير فى فهرست ما رواه عن شيوخه (ص ٢٥٨)

٧ ــ نزهة المناظر وتحفة الخواطر :

وسماه أحيانا « نزهة المناظر وتحف الخواطر » ، ذكره فى العواصم من القواصم (ص ٧) [من طبعة ذه عمار طالبى] ولم يذكره المقرى ولا ابن خير .

* * *

(هـ) كتب الزهد :

١ ــ سراج المريدين فى سبيل المهتدين كاستنارة الأسماء والصفات فى المقامات والحالات الدينية والدنيوية ، بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية :

هو الكتاب الذى سماه « القسم الرابع من علوم القرآن فى التذكير » ذكره مؤلفه فى كتابه : [شرح صحيح الترمذى (عارضة الأحوذى ، ١/٢٨] وحاجى خليفة [كشف الظنون /٢/٢٣] نقلا عن تذكرة القرطبى .

ونسبه اليه ابن فرحون [الديباج المذهب / ٢٨٢] .

وذكره ابن الحاج العبدرى (٧٣٧ هـ) فى كتابه مدخل الشرع ، البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، جـ ٤ ، ص ٣٠١ .

ويوجد هـذا الكتاب كاملا مصـوراً فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠٣٤٨ ب) وهو مأخوذ عن نسخة الشيخ أحمد بن الصديق الغمـارى المغربى اه.

وتوجد نسخه أخرى منه فى مكتبة الكتانى بخط أندلسى واضـح .

٢ ـ سراج المهتدين :

نسبه اليه ابن فرحون (الديباج ص ٢٨٢) .

والمقرى فى نفح الطيب (١/٢٤٢) .

٣ ـ مراقى الزلفى :

نسبه اليه العبدرى فى [مدخل الشرع جـ ١ / ٦٦ ، ١١٩ ، جـ ٢/١٢٣ ، ١٢٥ ، جـ ٤ /٢٣ ، ٢٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥] .

والمقرى فى نفح الطيب (٢/٢٤٣) .

٤ ـ كتاب العقد الأكبر للقلب الأصغر :

نسبه اليه المقرى (نفح الطيب /٢/٢٤٢) .

٥ ـ تفصيل التفصيل بين التحميد والتهليل :

ذكره المقرى فى نفح الطيب جـ ٢ ص ٢٤٢ .

* * *

(و) أصول الفقه :

١ ـ كتاب المحصول فى أصول الفقه :

أشار اليه المؤلف فى أحكام القرآن .

وابن فرحون فى الديباج المذهب (ص ٢٩٢) ٠

والمقرى فى نفح الطيب (٢/٢٤٢) ٠

٢ ـ كتاب التمحيص :

ذكره المؤلف فى أحكام القرآن ، وفى العواصم من القواصم [٢٤ من طبعة د٠ عمار طالبى] وذكره فى سراج المريدين (ورقه ١٣٨) ٠

* * *

(ز) كتب الفقه (الفروع) :

١ ـ المسالك فى شرح موطأ الامام مالك :

بنى هذا الكتاب على أساس المسائل الفقهية فهو كتاب حديث وفقه فى آن واحد ، ولكن اخترنا أن نعتبره من كتب الفقه لاهتمام أبى بكر بن العربى فى شرحه بمسائل الفقه ، ولمعارضته فيه للظاهرية ، ونقده لها أعنف النقد فيما يتعلق بالرأى عند الامام مالك [٨] ٠

نسبه اليه ابن فرحون (الديباج ص ٢٨٢) ٠

والمقرى فى نفح الطيب (جـ ٢ ص ٢٤٢) وسماه « ترتيب المسالك فى شرح موطأ مالك » ٠

وتوجد من هذا الكتاب نسختان الأولى فى المكتبة الوطنية بالجزائر (رقم ٤٢٥) ، والثانية فى خزانة جامعة القرويين بفاس تحت رقم (١٨٠) وتاريخ نسخها ٧١١ هـ ٠

٢ ـ القبس على موطأ مالك بن أنس :

نسبه اليه أبو بكر بن خير وسماه (**القبس من شرح مالك بن أنس**) فهرست ما رواه عن شيوخه ص ٨٨ ٠

وذكره المقرى (نفح الطيب جـ ١ ، ص ٢٤٢) ٠

---

(٨) د٠ عمار طالبى ٠ آراء أبى بكر بن العربى الكلامية (جـ ١ ص ٧٨) ٠

وابن فرحون (الديباج ص ٢٨٢) •

ويوجد للكتاب سبعة نسخ متفرقة فى مكتبات الجزائر والمغرب وتركيا • انظر مجلة معهد المخطوطات العربية (مجلد ٥ ص ١٧٦ ، ١٩٢) •

٣ ـ شرح غريب الرسالة :

وهو شرح للألفاظ اللغوية والفقهية الغريبة من رسالة ابن أبى زيد القيروانى المالكى ٣٨٩ هـ •

نسبه اليه المقرى (نفح الطيب جـ ٢ ص ٢٤٢) •

٤ ـ تبيين الصحيح فى تعيين الذبيح :

نسبه اليه المقرى فى نفح الطيب جـ ١ ص ٢٤٢ •

٥ ـ كتاب ستر العورة :

ذكره المقرى فى نفح الطيب جـ ٢ ص ٢٤٢

٦ ـ كتاب التقصى :

ويبدو أنه فى الفقه لاشارة المؤلف اليه فى أحكام القرآن بصدد مسألة فى الوضوء •

٧ ـ تخليص التخليص :

ذكره مؤلفه فى كتابه أحكام القرآن وأحال اليه فى مسألة قصر الصلاة والنية فى الأحرام وابن فرحون (الديباج ٣٨٣) •

والمقرى (نفح الطيب جـ ٢ ص ٢٤٢) •

٨ ـ تخليص الطريقتين :

ذكره فى كتابه أحكام القرآن ، ويبدو أنه كتاب فى الفقه لأنه أحال اليه فى مسألة فقهية تتعلق بالتسمية فى الذبح •

* * *

(ح) الجدل والخلافات :

١ ـ الكافى فى أن لا دليل على النافى :

نسبه اليه المقرى (نفح الطيب ، جـ ٢ ص ٢٤٢) .

٢ ـ الانصاف فى مسائل الخلاف :

يقع هذا الكتاب فى عشرين مجلدا ، أشار اليه مؤلفه فى بعض مصنفاته وسماه « كتاب المسائل » [عارضة الأحوذى /١/٦٥] .

ونسبه اليه المقرى (نفح الطيب /٢/٢٤٢) .

وحاجى خليفة (١/١٦٠) من كشف الظنون .

* * *

(ط) اللغة والنحو :

١ ـ رسالة له فى النحو واللغة أطلق عليها « ماجئة المتفقهين ، الى معرفة غوامض النحويين ، واللغويين » :

ذكرها أبو بكر بن العربى فى عدة مواضع من كتبه ، فى أحكام القرآن وفى شرح الترمذى (عارضة الأحوذى /١/١٤٤) .

ونسبها اليه المقرى فى نفح الطيب ٢/٢٤٢ .

٢ ـ رده على ابن السيد البطليوسى :

رد أبو بكر بن العربى على أبى محمد عبـد الله بن السـيد البطليوسى (٥٢١ هـ) فى شرحه على ديوان أبى العلاء المعرى المسمى بلزوم مالا يلزم ورد ابن السيد على رد أبى بكر بن العربى بكتاب سماه (الانتصار عمن عدل عن الاستبصار) .

وقد نسب هـذا الرد الى أبى بكر بن العربى تلميذه أبو بكر بن خير الأشبيلى (فهرست ما رواه عن شيوخه ص ٤١٩) .

(ى) تاريخ :

١ ـ ترتيب الرحلة للترغيب فى الملة :

ذكره مؤلفه فى كتابه سراج المريدين ، ورقة ٩٧ .

وفى العواصم من القواصم (ص ٤٣ من طبعة د. عمار طالبى) .

ونسبه اليه المقرى (نفح الطيب جـ ٢ ص ٢٤٢) .

٢ ـ أعيان الأعيان :

نسبه اليه المقرى (نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٤٢) .

٣ ـ فهرست شيوخه :

ألف أبو بكر بن العربى كتاباً ترجم فيه لشيوخه ، سماه تلميذه أبو بكر ابن خير الأشبيلى « بكتاب فيه جملة من شيوخ الحافظ أبى بكر بن العربى » وذكر أنهم واحد وأربعون رجلا خرج عن كل واحد منهم حديثاً ، وأنه قرأه عليه (فهرست ما رواه عن شيوخه ص ١٦٦) .

* * *

* وأخيراً فان أبا بكر ذكر أن له كتاباً يسمى « بالأمالى » ذكر ذلك فى فى كتاب « سراج المريدين ــ ورقة ٩٧ » .

وذكره أيضا فى كتاب « العواصم من القواصم » [ص ١٧٦ من طبعة د. عمار طالبى] وان كان ذكره له فى العواصم قرن به « أنــوار الفجــر » وأغلب الظن أنه ليس كتاباً مستقلا وانما هو عبارة عن أماليه عامة بما فى ذلك أغلب كتبه التى كان يمليها .

* وذكر أبو بكر بن العربى أن له كتاباً سماه « بالعوض المحمود » غير أن هذا الكتاب محير لا نعرف أين نضعه غير أنه أشار الى أنه تحــدث فيه عن مسألة الرؤيا وبين اسم جزء من أجزاء هذا الكتاب وسماه « محاسن

الانسان » [انظر عارضة الأحوذى ١١/٩ ١٢٣ ، ١٣٠] فلعله أن يكـون في الأخلاق [٩] .

* * *

(٩) اعتمدنا فى نقل مؤلفات القاضى أبى بكر من العربى على الله سـبحانه وتعالى ثم على الجهد العظيم الذى قام به الدكتور عمار طالبى ـ حفظه الله وأثابه عن العلم وأهله خيرا .

وفـــــاته

أتاه أجله « بمغيلة » قرب مدينة « فاس » فى ربيع الأول سنة ٥٤٣ هـ ودفن فى فاس خارج باب المحروق . على مسيرة يوم من فاس غرباً منها .

وصلى عليه صاحبه أبو الحكم بن حجاج ، ودفن فى يوم الأحد ٧ ربيع الأول سنة ٥٤٣ هـ .

وبموته انطفأت شعلة من الذكاء متقدة ، وأفل نجم طلعة متوثبة ، وسكنت روح ذات طموح غالب ، وخمد ذهن نافذ كان ينير للناس ظلمات حالكة ، ويذهب باشكالات معضلة .

وفاضت نفس تواقة الى تحقيق العدل ، واشاعة مبادىء الأخلاق والدين فى الواقع الاجتماعى ، والى بث الروح العلمية النافذة الفاحصة ، والى تكوين جيل جديد على أسس تربوية جديدة .

أقبل صاحب هذه الروح من المشرق ليغرسها فى المغرب ، وكفاه أنه ما فارق الوجود حتى بذل جهده ، وحقق بعض الذى كان يتوق أليه » [١٠] .

رحمه الله رحمة واسعة .

* * *

---

(١٠) د. عمار طالبى . آراء أبو بكر بن العربى الكلامية (١/ ٨٨) .

وصف المخطوطات التى اعتمدنا عليها فى التحقيق

المخطوطة الأولى (د) :

كتبت بخط اندلسى جميل وواضح ، وان كانت فيها آثار رطوبة ومحو فى بعض أوراقها ، تقع تحت رقم ٢٢٠٣١ ب بها مائة وأربع وثلاثون ورقة (١٣٤) وفى كل ورقة ٢٣ سطراً ، مقاس حجمها المكتوب ٢٣ سطراً معاً ٢٧ ونصف / ١٩ ونصف ، لا يعرف ناسخها ، ولا تاريخ نسخها ويبدو من خطها أنها أقدم النسخ ، كتب على أول ورقة منها كتاب القواصم والعواصم س ١ للامام العالم الأجل س ٢ أبى بكر محمد بن عبد الله بن العربى رضى الله عنه س ٣ ، وكتب فى السطر الرابع بخط حديث : ألفه فى سنة ٥٣٠ فى شعبان وفى الورقة الثانية : بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، س ١ . قال الشيخ الفقيه الامام الأوحد الحافظ س ٢، العلامة الأمجد أبو بكر بن العربى رضى الله عنه ورحمه س ٣ . أول هذه النسخة الحمد لله رب العالمين اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد ... الخ ، وكتبت العناوين فيها وأوائل الفقرات بحروف بارزة سوداء . وآخر هذه النسخة مبتور ، كما ترى نقص بعض أوراق منها فى أثناء الكتاب كما هو مبين فى الهوامش ولكن نصها فى أغلب الأحيان يعتبر أصح النصوص وأوضحها رغم نقص بعض أوراقها . وينبغى التنبيه الى أنه قد وقع خلط فى بعض أوراقها . اذ ما نقص منها فى بعض مواضعها ، وجد فى آخر النسخة مرقماً على أنه تابع للنص ، ومسترسل معه ، والواقع أنه راجع الى ما نقص من مواضع أخرى ، وقد أشرنا الى ذلك كله فى الهوامش وآخر ما ورد فى النسخة : من رآنى فى المنام فقد رآنى حقاً ... [11] قطعاً انه لا يرى ذات النبى .

---

(١١) طمست منها كلمات .

المخطوطة الثانية (ز) :

أما النسخة الثانية فهى نسخة جيدة أيضاً ، الا أنها رغم أنها كاملة ، لا تبلغ جودة النسخة الأولى ، وهى واقعة تحت رقم ٦٢١ عقائد تيمور بدار الكتب المصرية أيضا ، والورقة الأولى منها مزخرفة ، وكتب فى آخر ظهرها : ٩٧ فى ثانى الملل والنحل لابن حزم كروية الأرض ، وقوله تعالى : والشمس (س ١) • تجرى لمستقر لها ، وفى قصة ذا القرنين ، « وجدها تغرب فى عين حمئة » (س ٢) وكتب على وجه الورقة الثانية ، الحمد لله ، أعلم أن كلام جميع الحكماء ، والفلاسفة وعلومهم مستفادة من الشرائع والملل السابقة ، وأن كفرهم وضلالهم — والعياذ بالله ، بسبب ارتباط العوائد الجارية ، فى العالم ، وخفاء تعلق القدرة بالموجودات وذلك مثل انكار النصارى ، وجود الكيمياء لغموض علمها ، وخفاء سرها ، وأيضا فلخفاء سر القدر ، والحكمة الالهية عند الخلق ، نعوذ بالله من الضلال ، والخذلان ، والاستهواء فى خارف (كذا) الدنيا والميل الى الراحة ، من مشقة التكليف ، الطارئة مشقتها على الطبع البشرى ، لأن وحده ، بمجرده لا يتوصل به ، الى شئ الا بما تقتضى التجربة ، والتكرار المقتضيان لآلاف عديدة وافرة من السنين ، تأمله منصفاً وفوق كل من ذوى العلم ، العليم هـ • وفى ظهر الورقة الثانية كتب عنوان : فهرست الكتاب ، وتحته كتب فهرست تفصيلى لمسائل الكتاب متفق مع ما ورد فيه من موضوعات وكتب ذلك على شكل جدول ذى أربع مربعات ، كل مربع يوضع فيه رقم الورقة وعنوان المسألة التى وردت فى تلك الورقة وفيما بعدها ، هذه المربعات الأربع على عرض الورقة ، أما على طولها فهى ثمانية مربعات ويكون ذلك مستطيلا ذا اثنين وثلاثين مربعاً صغيراً ، وكتب هذا الفهرست ابتداء من ظهر الورقة الثانية الى حوالى ثلثى وجه الورقة الخامسة وبقى ظهر الورقة المذكورة بياضاً مع وجود رسم ذلك الجدول •

وكتب على وجه الورقة الأولى التى تعتبر أول نص الكتاب حسب ترقيم الناسخ الذى اعتبر أوراق الفهرست زوائد ، كتب على الجانب الأيسر من أعلى : عقائد تيمور (ك ١) أى رقم الكتاب ورقم الكراس الأول منه •

وكتب فى وسط الورقة من أعلى : كتاب العواصم من القواصم (س ١) ، تأليف الشيخ الفقيه ، قاضي القضاة (س ٢) أبى بكر محمد بن عبد الله ابن العربى (س ٣) ، رحمه الله تعالى آمين (س ٤) . وكتب على الجانب الأيسر : وكانت بداءة نسخة يوم ٢ الأحد ثانى شهر ربيع الأنور بمولده الشريف صلى الله عليه وسلم من سنة ١٢٥٨ وكتب تحت ذلك بخط آخر يبدو أنه أحدث من الأول : ودخلت فى توبة عبيد الله محمد الملكى بن عزوز سنة ١٣١٣ ، وأسأل الله أن تبقى لذريتى باذن الله ينتفعون وينفعون بها ان شاء الله . ويبدو أن ذلك بخط الشيخ محمد المكى بن عزوز نفسه ، وهو من العلماء الجزائريين المعاصرين كانت لهم مكانة مرموقة فى العلوم الاسلامية فى المغرب الاسلامى ، ويبدو أنه أتى بهذه النسخة الى مصر حين وروده اليها، وذهابه الى تركيا مهاجراً ، وكتب على الورقة الثانية من النسخة : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وأولها : قال صالح بن عبد الملك بن سعيد قرأت على الامام الحافظ أبى بكر ابن العربى رضى الله عنه قال : الحمد لله رب العالمين، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم ... الخ .

بها ٢٢٦ ورقة . وقد أخطأ الناسخ فى الترقيم فعد الورقات (٢٢٩) أى أنه زاد ثلاث ورقات ، وذلك أنه أخطأ من ترقيم ورقة ٨٦ فكتبها ٨٩ واستمر على ذلك .

وفى كل ورقة ١٥ سطرا ومقاس حجمها ١٤ × ٩ بالنسبة للمكتوب فقط و ٢١ ونصف × ١٥ ونصف للمكتوب والهامش .

أما الناسخ فهو الحاج حمودة بن حمودة بوسن (التونسى مولداً الطرابلسى القربانى أصلا ونسباً ، المالكى مذهباً ، الأشعرى اعتقاداً ، وقد ذكر أنه ابتدأ بنسخ الكتاب فى ٢ ربيع الأنور سنة ١٢٥٨ هـ وفرغ من نسخه فى ١٢ ذى الحجة سنة ١٢٥٨ هـ . وقد كتب العناوين أيضاً بالحروف البارزة وكذلك أوائل الفقرات) .

وتمتاز هذه النسخة بالتعليقات التى كتبها الناسخ وبالمقارنات التى سجلها بالهوامش بين النسخ المتعددة التى قابل بها نسخته أو نسخ عنها .

المخطوطة الثالثة (ج) :

وهى تقع تحت رقم « ٤ توحيد ش » بدار الكتب المصرية .

وأول النسق :

قال صالح بن عبد الملك بن سعيد قرأت على الامام الحافظ ابى بكر ابن العربى رضى الله عنه قال : الحمد لله رب العالمين اللهم صلى على محمد وآل محمد ... الخ .

وبهذه النسخة ٢١٥ ورقة .

وفى كل ورقة ٢١ سطراً ، ومقاس حجمها المكتوب ١٦ × ٨ وبزيادة غير المكتوب ٢٢ × ١٦ .

أما الناسخ فهو غير مذكور .

وأما تاريخ النسخ فهو ١٤ يوم الأحد محرم سنة ١٢٨٩ هـ . وعلى العموم فهى أقل النسخ جودة لكثرة أخطائها ولجهل ناسخها .

* * *

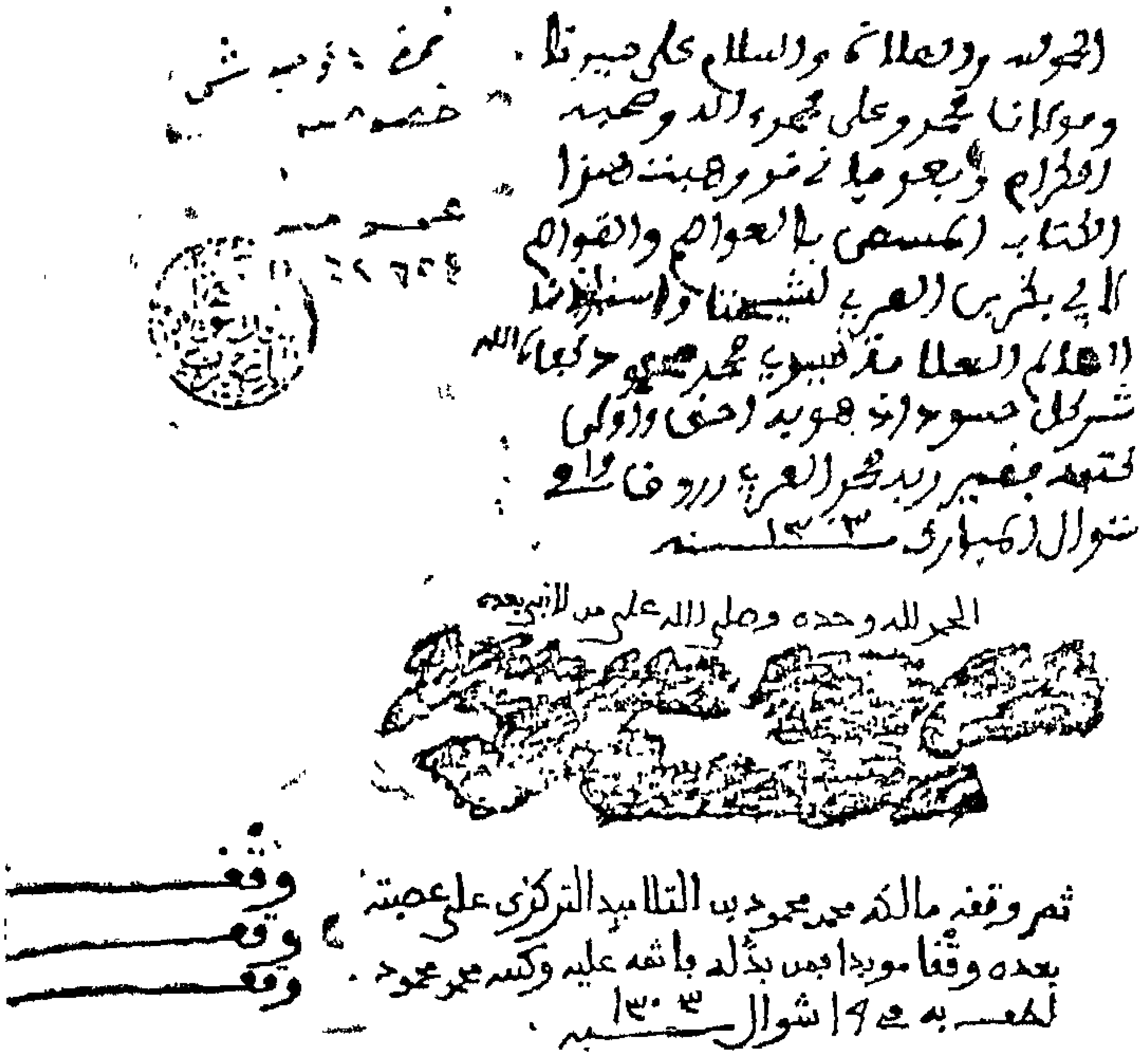

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

ثم وقفه مالكه محمد محمود بن التلاميد التركزي على عصبته

بعده وقفا مؤبدا ... بذلك ... عليه وكتبه محمد محمود

... في ١٧ شوال سنة ١٣٠٣

وقف

وقف

وقف

صفحة العنوان من المخطوطة « ج »

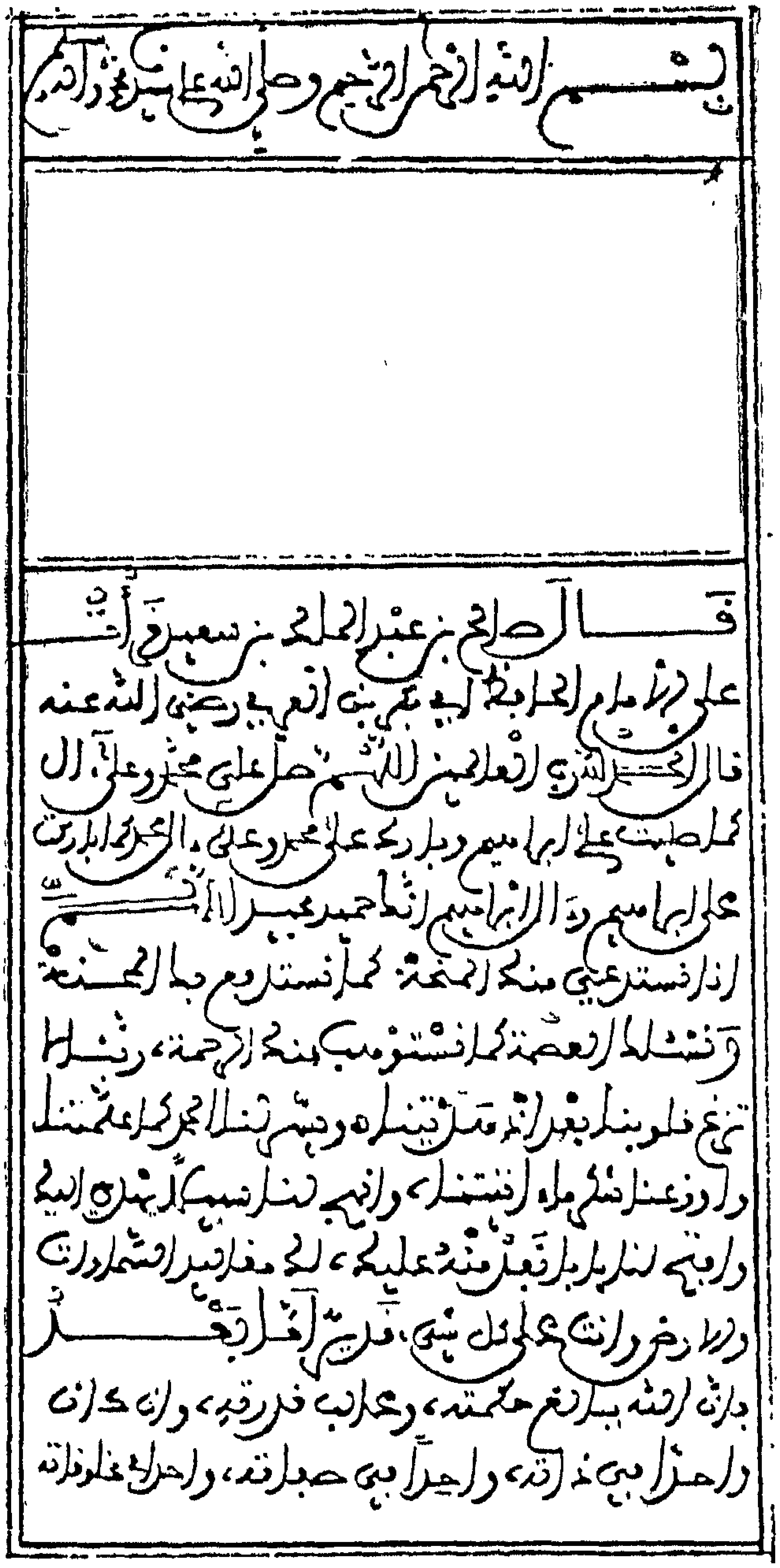
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قال صالح بن عبد الملك بن سعيد قرأت
على الإمام الحافظ أبي بكر بن العربي رضي الله عنه
قال الحمد لله الذي أنعم علينا اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم
إنا نستدعي منك المنحة كما نستدفع بك المحنة
ونسألك العصمة كما نستوهب منك الرحمة، ربنا لا
تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا الحمد كما علمتنا
ولا تجعلنا نشقى فيما استعملتنا، واجعل لنا سببا إلى هدي أنبيائك
واجعل لنا لما تعطينا منة عليك، لك مقاليد السماوات
والأرض وأنت على كل شيء قدير، أما بعد
فإن الله بالغ حكمته، وعجائب قدرته، وإن كان
واحدا في ذاته، واحدا في صفاته، واحدا في أفعاله

الصفحة الأولى من المخطوطة « ج »

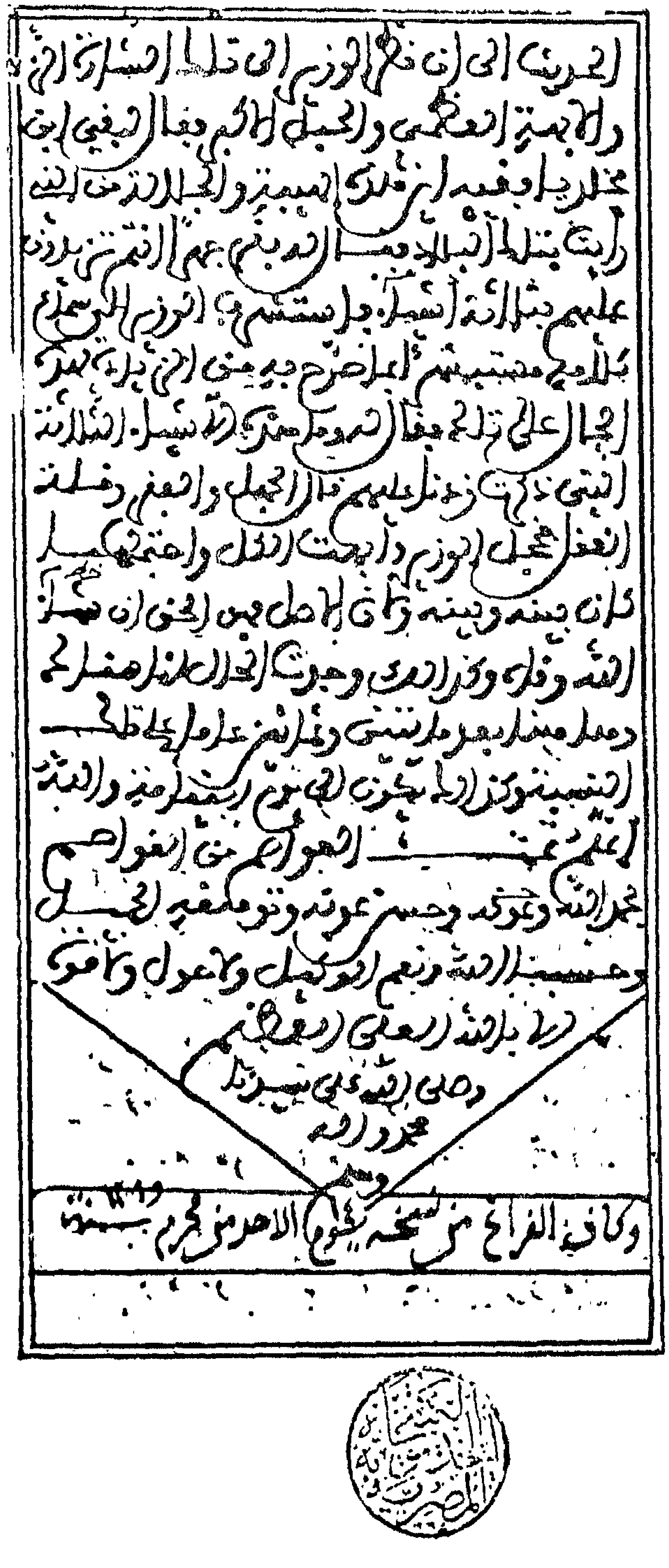

الصفحة الأخيرة من المخطوطة « ج »

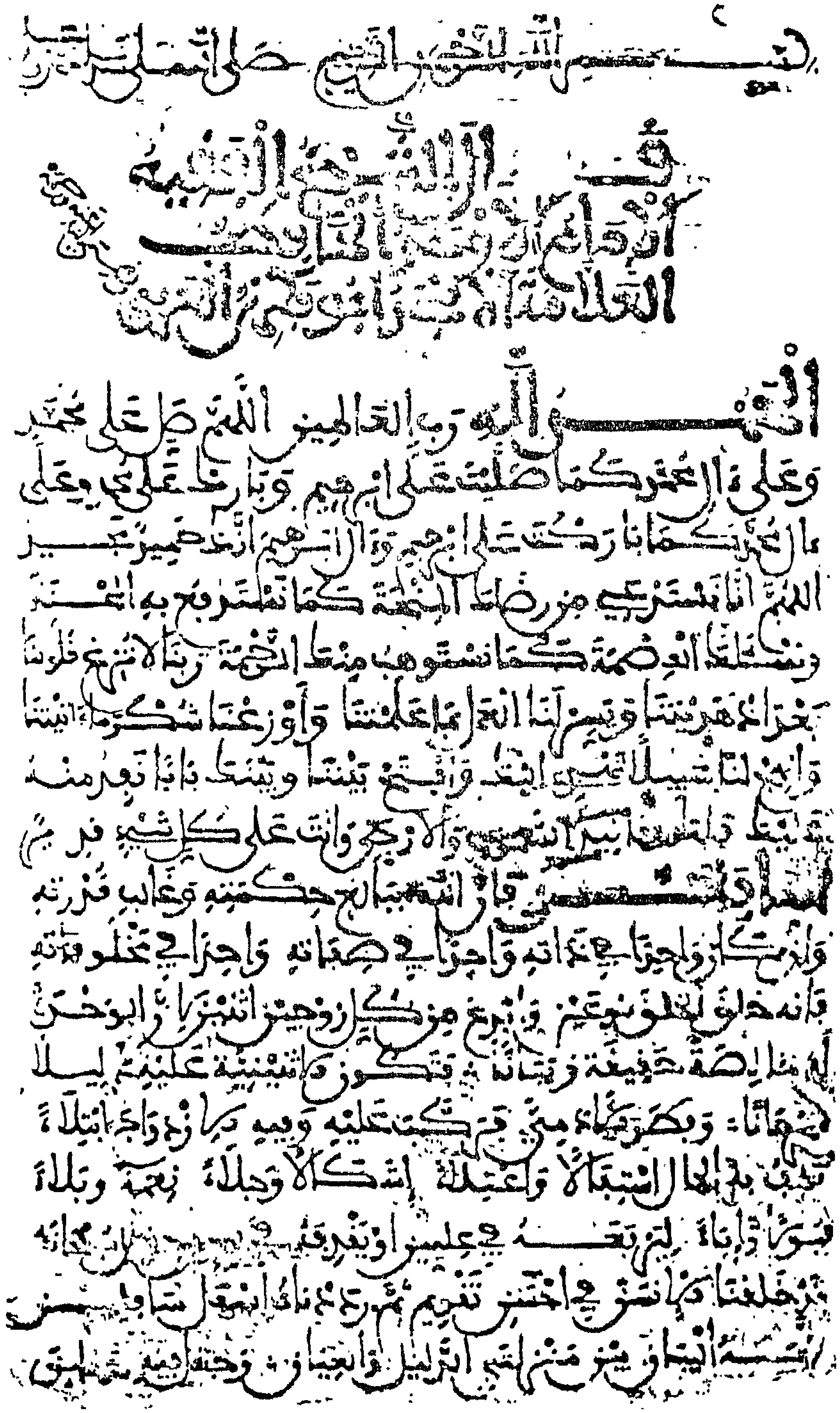
بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد [illegible]

[illegible]

الحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد
اللهم إنا نستوهبك من فضلك النعمة كما [illegible]
ونسألك العصمة كما نستوهب منك الرحمة ربنا لا تزغ قلوبنا
بعد إذ هديتنا ويسر لنا العمل بما علمتنا وأوزعنا شكر ما أوليتنا
[illegible]

الصفحة الأولى من المخطوطة « د »

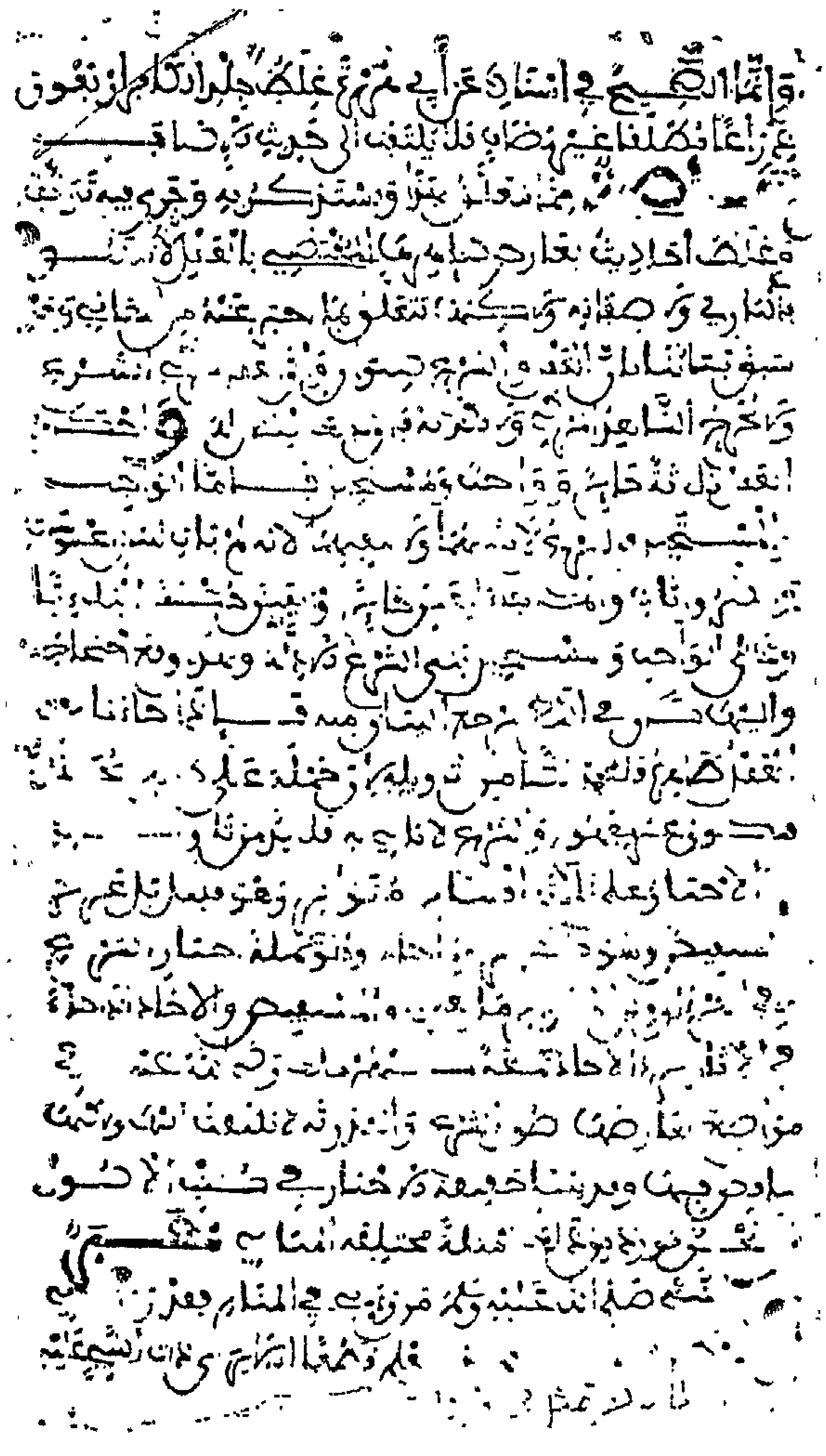

الصفحة الأخيرة من المخطوطة « د »

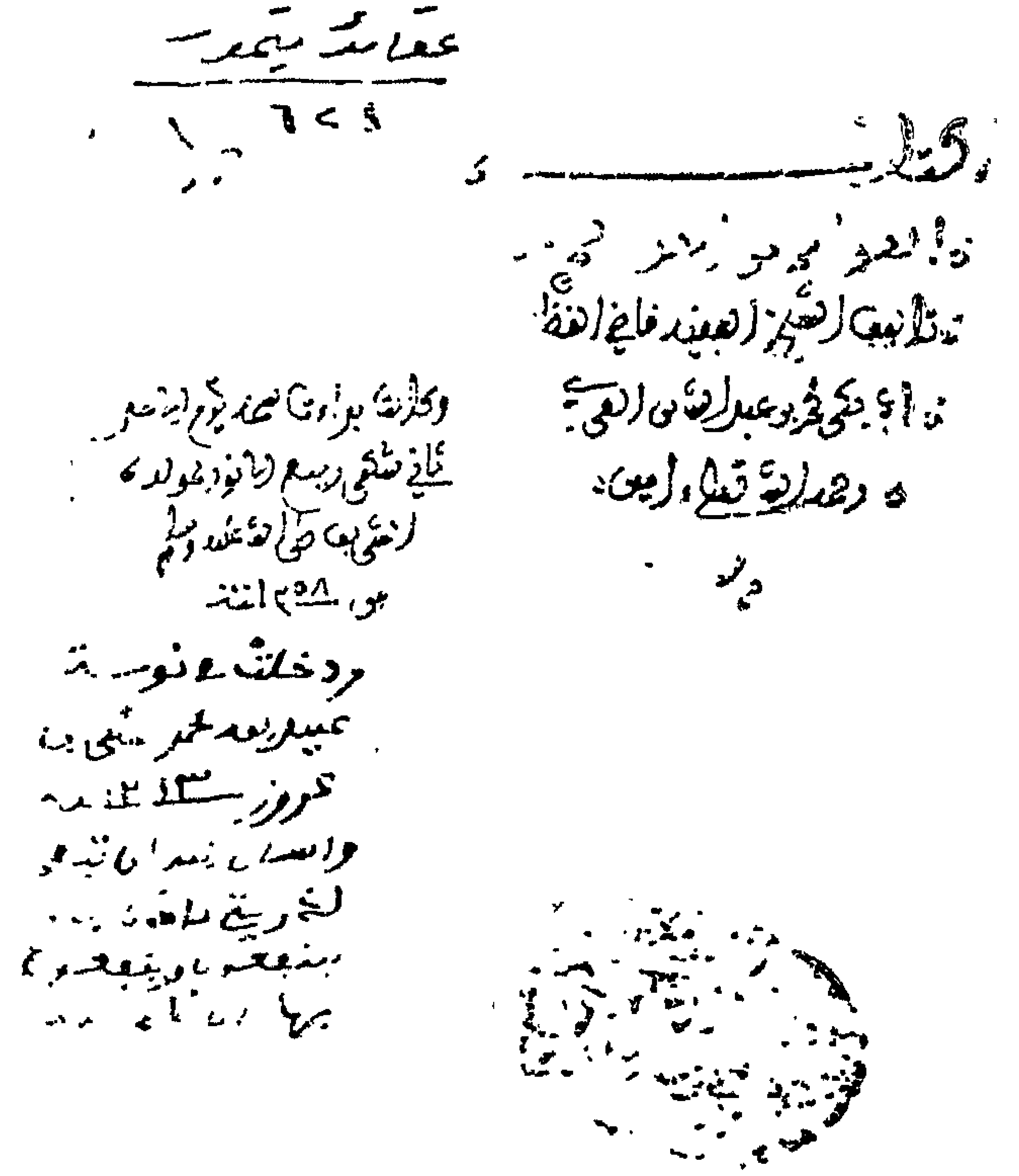

صفحة العنوان من المخطوطة « ز »

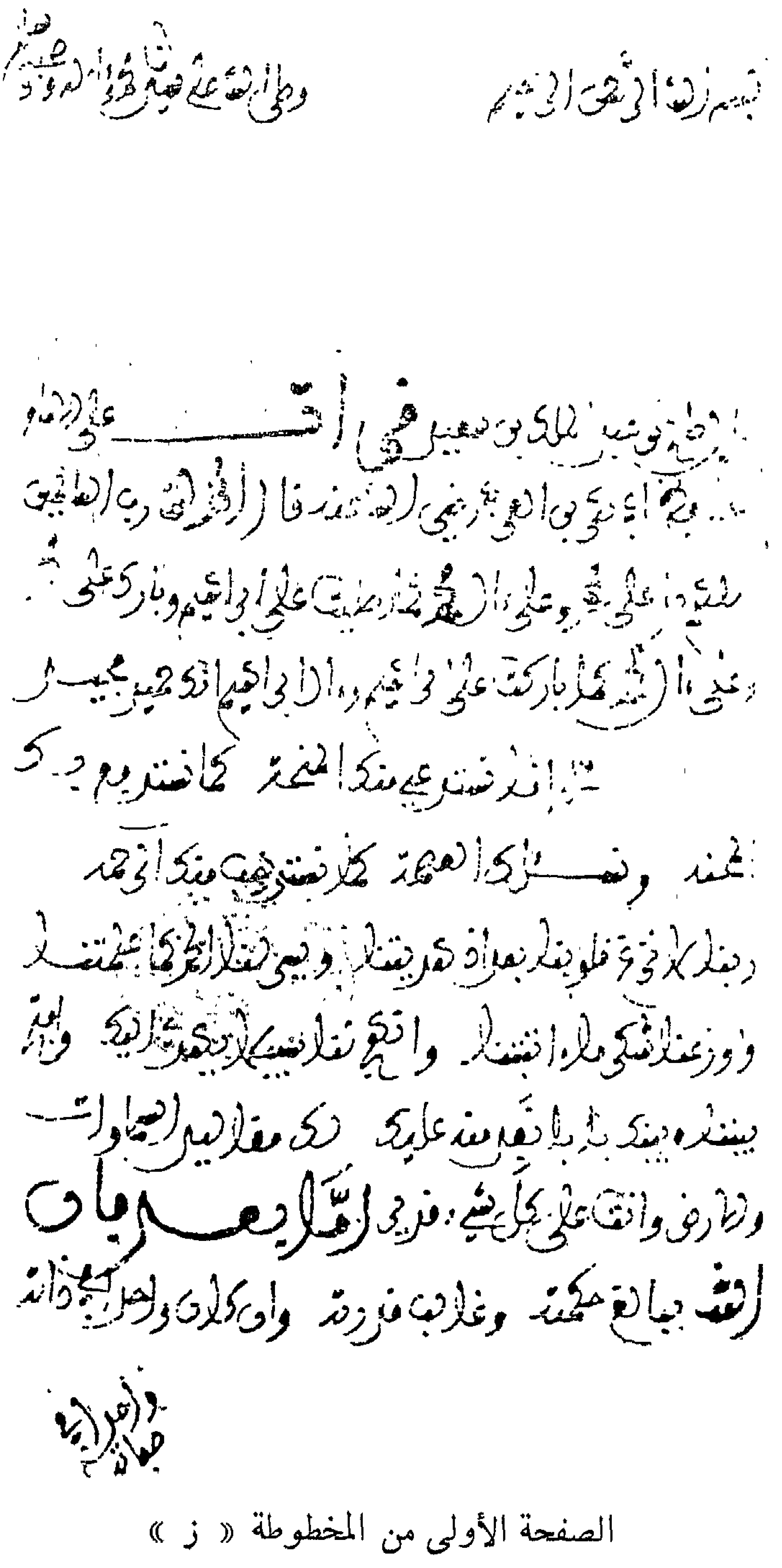

الصفحة الأولى من المخطوطة « ز »

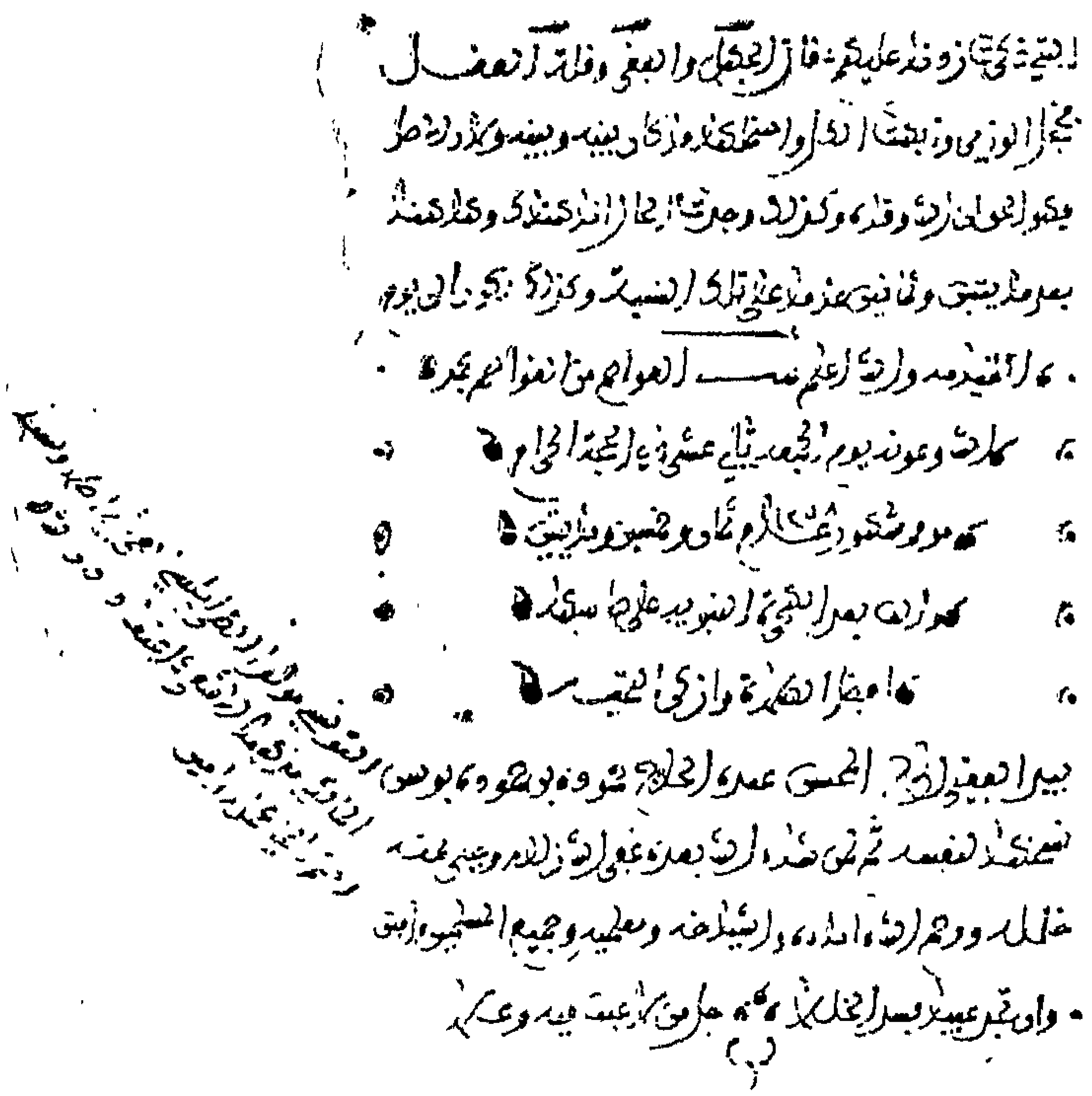

الصفحة الأخيرة من المخطوطة « ز »

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم للشيخ محمود مهدى الاستانبولى

حفظه الله

ان المسلمين ــ بل الانسانية كلها ــ أشد ما كانوا اليوم حاجة الى معرفة فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكرم معدنهم ، وأثر تربيته فيهم ، وما كانوا عليه من علو المنزلة التى صاروا فيها « الجيل المثالى » الفذ فى تاريخ البشر .

وشباب الاسلام معذورون اذ لم يحسنوا التأسى بالجيل المثالى فى الاسلام . لأن أخبار أولئك الأخيار قد طرأ عليها من التحريف والأغراض والبتر والزيادة وسوء التأويل فى قلوب شحنت بالغل على المؤمنين الأولين ، فأنكرت عليهم حتى نعمة الايمان !!

وقد أصبح من الفرض الدينى والقومى والوطنى على كل من يستطيع « تصحيح تاريخ صدر الاسلام » أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات ، وأن يبادر له ، ويجتهد فيه ما استطاع الى أن يكون أمام شباب المسلمين مثال صالح من سلفهم يقتدون به ، ويجددون عهده ، ويصلحون سيرتهم بصلاح سيرته (١) .

وهذا التوجيه يذكرنا بأثر ورد عن الصحابى الجليل « جابر بن عبد الله »

« اذا لعن آخر هذه الأمة أولها ، فمن كان عنده علم فليظهره ، فان كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ! » .

---

(١٢٦) من مقال « اليل المثالى » للاستاذ محب الدين الخطيب .

وقد كان أول من سارع الى القيام بهذا الواجب العلامة القاضى « أبو بكر ابن العربى » رحمه الله تعالى فى كتابه العظيم : « العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى ، وتبرئتهم مما نسبه اليهم الملاحدة والمفسدون والمضللون » .

وقد كشف فى هذا الكتاب عن نور الحق ، وخذل الباطل ، فاذا هو زاهق وأضاء المصباح بعدما كاد يخبو .

« فالى العالم الراقد فى جدثه الهانىء بمضجعه تحفله مسحة من النور الالهى نهدى غاديات من الدعوات ، ونستمطر وابلا من الرحمات ، فقد كان — بكتابه « العواصم من القواصم » — كالبدر طلع علينا على خابط ليل ضل السبيل ، وخانه الدليل . وكالغيث أصاب أرضاً قابلة فأنبتت من كل زوج بهيج ... » .

والعجب من كثير من علماء المسلمين أنهم نسوا كتاب « العواصم من القواصم » (*) ، فجهل الجيل المسلم الحقيقة التى تذبح على مائدة الخونة والمتآمرين على الاسلام ، ليضللوه وينفروه من سيرة « الجيل المثالى » خشية أن يقتدى به ويحلق — كما حلق سلفه من قبل — فى ذرا المجد والعظمة فيعيد سيرة الاسلام الأولى .

لهذا كله رأينا أن نتحف بهذا الكتاب العظيم القراء ، ليصحح الكثيرون منهم ما تلقوه من معلومات خاطئة ، آملين أن يضعوه بين أيدى أبنائهم وبناتهم ، لينجوا من الأفكار الخاطئة التى علقت فى أذهانهم بسبب الكتب التى يتداولونها ، والدروس التى يتلقونها ، فيتخذوا من سيرة الصحابة مثلا عالياً يحتذونه ، وشحنة ، بل شحنات قوية تدفع بهم الى الأمام .. الى آفاق العظمة والمجد والسؤدد ، والى التشوق الى حياة البطولة والجهاد والشوق لرائحة الجنة .

(*) المقصود من عنوان الكتاب : الحقائق التى تعصم المسلم من افتراءات المفسدين القاصمة المدمرة ، فتكشف عن أكاذيبهم وتجعلها هباء ! .

وزاد هذا الكتاب روعة ونفعاً وايضاحاً تعليقات فقيد الاسلام والعروبة العلامة محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى وأجزل ثوابه وأسكنه فسيح جناته •

وقد أضفنا اليه بعض التحقيقات الحديثية والتاريخية ، فجاء تحفة علمية ووثيقة تاريخية قليلة النظير •

والله ـ سبحانه ـ نسأل أن ينفع به ويدخر لنا ثوابه « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » •

محمود مهدى الاستانبولى

تصـــدير للعلامة

محب الدين الخطيب

رحمـــه الله

الحمد لله الذى أنعم على الانسانية برسالة الاسلام ، وصلى الله وسلم على الانسان الأعلى ، والمعلم الأكمل ، محمد بن عبد الله صفوته من خلقه • وأعلى مقام الذين قاموا بتحقيق رسالته ، ممن تشرفوا بصحبته ، وأحسنوا الخلافة على أمته • ومن واصلوا عملهم بعدهم ، ملتزمين سنتهم ، ومتحرين أهدافهم . الى يوم الدين •

وبعد فان هذا العالم الاسلامى الذى نعتز بالانتســاب اليـــه ، ونعيش لاسعاده والسعادة به ، قد افتتح أكثره فى الدولة الاسلامية الأولى بعــد الخلفاء الراشدين ، ودخل معظم شعوبه فى هداية الاسلام على أيدى الخلفاء الأمويين وولايتهم وقواد جيوشهم ، اتماماً لما بدأ به صاحبا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفتاه الأولان ــ أبو بكر وعمر ــ سلام الله عليهما ، ورضى عنهما وأرضاهما ، وأحسن جزاءهما عنا وعــن الاســلام نفســه وجميع أهله •

وان حادثة انتشار الاســلام ، ودخول الأمم فيــه ، أصبحت فى ذمــة التاريخ • والأجيال التى أتت بعد ذلك الى يومنا هذا منهــم من يفتخــر بذلك ، ويمتلىء قلبه سروراً به ، ويدعو بالخير لمن كانوا سبب هذا الخير العظيم • ومنهم من ابتأس به ، وامتلأ فؤاده حقداً على الذين عملوا فيه ، وجعل من دأبه أن يصمهم بكل نقيصة •

وقد نعذر الذين لم يذوقوا حلاوة الاسلام ، وحالت البيئة بينهم وبين الأنس بعظمته ، وشريف أغراضه ، وسيرة الذين قاموا به ، اذ نظروا الى

تاريخ الأسلام نظرة خاطئة ، واتخذوا له فى أذهانهم صورة غير صورته التى كانت له فى الواقع • ولكنى أعترف ــ ولا فائدة مــن الانكار ــ بأن فى المنسوبين الى الاسلام من يبغض حتى الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقلب جميع حسناته سيئات • وان أحد الذين شاهدوا بأعينهم عدل عمر ، وزهده فى متع الدنيا ، وانصافه لجميع الناس ، لم يستطع أن يمنع الحقد الذى فى فؤاده على الاسلام من أن يدفعه الى طعنه بالســكين دون أن يسىء اليه • وفى قوم طاعن (٢) عمر بالسكين من يؤلفون المؤلفات الى يومنا هذا فى تشويه حسنات هذا المثل الأعلى للعدل والانسانية والخير • وفى عصر عثمان (*) من ضاقت صدورهم بطيبة ذلك الخليفة الذى خلق قلبه من رحمة الله ، فاخترعوا له ذنوباً ، وما زالوا يكررونها على قلوبهم حتى صدقوها ، وتفننوا فى اذاعتها ، ثم استحلوا سفك دمه الحرام ، فى الشهر الحرام ، بجوار قبر أبى زوجتيه محمد عليه الصلاة والسلام • وما برحت الانسانية تشاهد المعجزات من رجالات الاسلام فى نشره وادخال الأمم فيه وتوسيع النطاق فى الآفاق لكلمة « الله أكبر •• حى على الفلاح » حتى نودى بها على جبال السند ، وفى ربوع الهند ، وعلى سواحل المحيط غرباً ، وفى أوديه أوربا وجبالها ، بما لم يملك أن يصفه حتى أعداء الاسلام الا بأنه معجزة • كل هذا فى زمن هذه الدولة الأموية التى لو صدر عن المجوس ، وعبدة الأوثان ، عشر ما صدر عنها من الخير ، وجزء من مائة جزء مما أثر عن رجالها من انصاف ومروءة وكرم وشجاعة وايثار وفصــاحة ونبــل ، لرفعوا لأولئك المجوس والوثنيين ألوية الثناء والتقــدير فى الخافقين • والتاريخ الصادق لا يريد من أحد أن يرفع لأحد لواء الثناء والتقدير ، لكنه يريد من كل من يتحدث عن رجاله أن يذكر لهم حسناتهم على قدرها ، وأن

---

(١٢٧) يحتفل بعض الزنادقة من كل عام فى اليوم الذى استشهد فيــــه الخليفة عمر على يد المجوسى أبى لؤلؤة الذى يعطونه لقب « بابا شجاع » !! فيا للخيانة الشنيعة والحقد الدفين !! (م) •

(*) ان عصر عثمان رضى الله عنه هو من أسعد وأعظم العصور الاسلامية برخائه وفتوحاته العظيمة وقد حاول تشويهه أناس لا دين لهم وأوضــحنا ذلك فى الصفحات المقبلة •

يتقى الله فى ذكر سيأتهم فلا يبالغ فيها ولا ينخدع بما أفتراه المغرضـون من أكاذيبها •

نحن المسلمين لا نعتقد العصمة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل من ادعى العصمة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كاذب • فالانسان انسان ، يصدر عنه ما يصدر عن الانسان ، فيكون منه الحق والخير ، ويكون منه الباطل والشر • وقد يكون الحق والخير فى انسان بنطاق واسع فيعد من أهل الحق والخير ، ولا يمنع هذا من آن تكون له هفوات • وقد يكون الباطل والشر فى انسان آخر بنطاق واسع ، فيعد من أهل الباطل والشر ، ولا يمنع هذا من أن تبدر منه بوادر صالحات فى بعض الأوقات •

يجب على من يتحدث عن أهل الحق والخير اذا علم لهم هفوات ، أن لا يسيء ما غلب عليهم من الحق والخير فلا يكفر ذلك كله من أجل تلك الهفوات • ويجب على من يتحدث عن أهل الباطل والشر اذا علم لهم بوادر صالحات ، أن لا يوهم الناس أنهم من الصالحات من أجل تلك الشوارد الشاذة من أعمالهم الصالحات •

ان أحداث المائة الأولى من عصور الاسلام كانت من معجزات التاريخ ، والعمل الذى عمله أهل المائة الأولى من ماضينا السعيد لم تعمل مثله أمة الرومان ، ولا أمة اليونان قبلها ، ولا أمة من أمم الأرض بعدها •

أما أبو بكر وعمر ، وسائر الخلفاء الأربعة الراشدين ، واخوانهم من العشرة المبشرين بالجنة ، وطبقتهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خصوصاً الذين لازموه وراقبوه وتمتعوا بجميل صحبته — من أنفق منهم من قبل الفتح وقاتل ، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا — فانهم جميعاً كانوا شموساً طلعت فى سماء الانسانية مرة ، ولا تطمع الانسانية بأن يطلع فى سمائها شموس من طرازهم مرة أخرى ، الا اذا عزم المسلمون على أن يرجعوا الى فطرة الاسلام ، ويتأدبوا بأدبه من جديد ، فيخلق الله منهم

خلقاً آخر يعيش للحق والخير ، ويجاهد الباطل والشر ، حتى تعرف الانسانية طريقها الحقيقى الى السعادة • وهذه الشموس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تتفاوت أقدارها ، وتتباين فى أنواع فضائلها ، الا أنها كلها كانت من الفضائل فى مرتقى درجاتها • واذا بدأ المشتغلون بتاريخ الاسلام من أفاضل المسلمين فى تمييز الأصيل عن الدخيل من سيرة هؤلاء الأفاضل العظماء ، فانهم ستأخذهم الدهشة لما اخترعه اخوان أبى لؤلؤة ، وتلاميذ عبد الله بن سبأ ، والمجوس الذين عجزوا عن مقاومة الاسلام وجهاً لوجه فى قتال شريف ، فادعوا الاسلام كذباً ، ودخلوا قلعته مع جنوده خلسة ، وقاتلوهم بسلاح (التقية) بعد أن حولوا مدلولها الى النفاق ، فأدخلوا فى الاسلام ما ليس منه ، وألصقوا بسيرة رجاله ما لم يكن فيها ولا من سجية أهلها • وبهذا تحولت أعظم رسالات الله وأكملها الى طريقة من الخمول والعطالة والجمود كان من حقها أن تقتل الاسلام والمسلمين قتلا ، لولا قوة الحيوية الخارقة التى فى الاسلام ، وهى التى يرجى اذا رجعنا اليها ، وجردناها من الطوارىء عليها ، وخلصنا سيرة رجالها مما شيبت به ، وسرنا فى طريقهم مخلصين : أن نعود مسلمين من ذلك الطراز الأول كما كان فى الواقع ، لا كما أراد مبغضوا الصحابة والتابعين لهم باحسان أن يعرضوه على الناس •

ونحن بتقديمنا هذه الحقائق من قلم الامام ابن العربى ، أو من النصوص الأصيلة التى علقنا بها عليها ، انما أردنا عكس ما يريد المتعرضون لهذه البحوث من ترديد خلافات عفى عليها الزمن • والصحابة كانوا أسمى أخلاقاً وأصدق اخلاصاً لله وترفعاً عن خسائس الدنيا من أن يختلفوا للدنيا ، لكن كان فى عصرهم من الأيدى الخبيثة التى عملت على ايجاد الخلاف وتوسيعه ، مثل الأيدى الخبيثة التى جاءت فيما بعد فصورت الوقائع بغير صورتها • ولما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم قدوتنا فى ديننا ، وهم حملة الكتاب الالهى والسنة المحمدية الى الذين حملوا عنهم أماناتها حتى وصلت الينا ، فان من حق هذه الأمانات على أمثالنا أن ندرأ عن سيرة حفظتها الأولين كل ما ألصق بهم من افك ظلماً وعدواناً ، لتكون

صورتهم التى تعرض على أنظار الناس هى الصورة النقية الصادقة التى كانوا عليها ، فتحسن القدوة بهم ، وتطمئن النفوس الى الخير الذى ساقه الله لنبشر على أيديهم . وقد اعتبر فى التشريع الاسلامى أن الطعن فيهم طعن فى الدين الذى هم رواته ، وتشويه سيرتهم تشويه للأمانة التى حملوها ، وتشكيك فى جميع الأسس التى قام عليها كيان التشريع فى هذه الملة الحنيفية السمحة . وأول نتائجه حرمان شباب الجيل ، وكل جيل بعده ، من القدوة الصالحة التى منّ الله بها على المسلمين ليتأسوا بها ، ويواصلوا حمل أمانات الاسلام على آثارها ، ولا يكون ذلك الا اذا ألموا بحسناتهم ، وعرفوا كريم سجاياهم ، وأدركوا أن الذين شوهوا تلك الحسنات وصوروا تلك السجايا بغير صورتها ، انما أرادوا أن يسيئوا الى الاسلام نفسه بالاساءة الى أهله الأولين . وقد آن لنا أن ننتبه من هذه الغفلة فنعرف لسلفنا أقدارهم لنسير فى حاضرنا على هدى ونور من سيرتهم الصحيحة وسريرتهم النقية الطاهرة .

وهذا الكتاب الذى ألفه عالم من كبار أئمة المسلمين بياناً لما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال وادحاضاً لما ألصق بهم وبأعوانهم من التابعين لهم باحسان ، يصلح على صغره لأن يكون صيحة من صيحات الحق توقظ الشباب المسلم الى هذه الدسيسة التى دسها عليهم أعداء الصحابة ومبغضوهم ، ليتخذوها نموذجاً لأمثالها من الدسائس ، فيتفرغ الموفقون الى الخير منهم لدراسة حقيقة التاريخ الاسلامى ، واكتشاف الصفات النبيلة فى رجاله ، فيعلموا أن الله عز وجل قد كافأهم عليها بالمعجزات التى تمت على أيديهم وأيدى أعوانهم فى احداث أعظم انقلاب عرفه تاريخ الانسانية . ولو كان الصحابة والتابعون بالصورة التى صورهم بها أعداؤهم ومبغضوهم لكان من غير المعقول أن تتم على أيديهم تلك الفتوح ، وأن تستجيب لدعوتهم الأمم بالدخول فى دين الله أفواجاً .

والقاضى أبو بكر بن العربى مؤلف « العواصم من القواصم » امام من أئمة المسلمين ، ويعتبره فقهاء مذهب الامام مالك أحد أئمتهم المقتدى بأحكامهم ، وهو من شيوخ القاضى عياض مؤلف كتاب « الشفا » فى التعريف بحقوق المصطفى ، ومن شيوخ ابن رشد العالم الفقيه والد أبى الوليد

الفيلسوف ، ومن تلاميذه عشرات من هذه الطبقة كما سترى من ترجمته الآتية بعد • (** **)وكتابه «العواصم من القواصم » من خيرة كتبه،ألفه سنة ٥٣٦ وهو فى دور النضج الكامل بعد أن امتلأت الأمصار بمؤلفاته وبتلاميذه الذين صاروا فى عصرهم أئمة يهتدى بهم • وهذا الكتاب فى جزئين متوسطى الحجم ، ومبحث الصحابة الذى نقدمه لقرائنا هو أحد مباحث جزئه الثانى (من ص ٩٨ الى ص ١٩٣ من طبعة المطبعة الجزائرية الاسلامية فى مدينة قسنطينة بالجزائر سنة ١٣٤٧) وكان قد وقف على تلك الطبعة شيخ علماء الجزائر الأستاذ عبد الحميد بن باديس رحمه الله • ومما يؤسف له أن الأصل الذى اعتمد عليه فى تلك الطبعة كان مكتوباً بقلم ناسخ غير متمكن ، فوقعت فيه تحريفات لفظية واملائية حرصنا على ردها الى أصلها ، بل ان النسخة المخطوطة التى طبعت عليها طبعة الجزائر يظهر أن المجلد وضع بعض ورقاتها فى غير موضعها ، فأرجعناها الى ما دل عليه السياق فى القول ، والترتيب فى المسائل • وفيما عدا ذلك التزمنا الأمانة فى عرض الكتاب الى أقصى غاية • وعلقت على كل بحث منه بما يزيده وضوحاً ، مقتبساً ذلك من أوثق المراجع وأمهات الكتب الاسلامية المعتمدة ، مبيناً فى كل نص مأخذه بكل أمانة ووضوح •

وأرجو الله أن يجزل ثواب الامام ابن العربى على دفاعه هذا عن أصحاب رسول الله الذين حملوا معه صلى الله عليه وآله وسلم أعظم رسالات الله ، وكانوا أصدق أعوانه على تبليغها فى حياته وبعد أن اختاره الله اليه • بل كانوا سبب كياننا الاسلامى ، ولهم ثواب انتمائنا الى هذه الملة الحنيفية السمحة التى لا عيب لها غير تقصيرنا فى التخلق بآدابها فى أنفسنا ، وتعميم سننها فى بيوتنا ومجتمعنا وأسواقنا ومحاكمنا ودور حكمنا • وعسى أن يكون فى قراء هذا الكتاب من يعاهد الله على أن يكون خيراً منا عملا وأصح منا علماً ، وعلى الله قصد السبيل •

محب الدين الخطيب (*)

(** **) نلفت نظر القارىء أن الترجمة المثبتة من اعداد المكتب السلفى للتراث وقد رتبناها على أبواب جديدة مما يجعلها أكثر فائدة (س) •

(*) توفى العلامة محب الدين الخطيب — رحمه الله — سنة ١٣٨٩ هـ

العواصم من القواصم
فى تحقيق مواقف
الصحابة بعد
وفاة النبى ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله [وسلم]

قال صالح بن عبد الملك بن سعيد :

قرأت على الامام محمد أبى بكر بن العربى [١٢] رضى الله عنه قال :

الحمد لله رب العالمين [١٣] اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم • وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم • انك حميد مجيد •

اللهم انا [نستدعى من رضاك] المنحة ، كما نستدفع بك المحنة • ونسألك العصمة ، كما نستوهب منك الرحمة •

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، ويسر لنا العمل كما علمتنا ، وأوزعنا شكر ما آتيتنا • وانهج لنا سبيلا [تهدى] اليك ، وافتح بيننا وبينك باباً نفد منه عليك ، لك مقاليد السماوات والأرض وأنت على كل شىء قدير •

* * *

---

(١٢) هو غير (ابن العربى) المتصوف الذى يكتب اسمه نكرة (م) .

(١٣) بهذا التحميد ، والدعاء السديد ، افتتح الامام ابن العربى الجزء الأول من كتابه (العواصم من القواصم) . فافتتحنا به هذا القسم من جزئه الثانى (من ص ٩٨ الى ص ١٩٣ من مطبوعة الجزائر سنة ١٣٤٧) وهو ما اخترنا افراده بهذا السفر خاصاً بتحقيق مواقف الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة النبى ﷺ ، كما أشرنا الى ذلك فى تصدير الكتاب . (خ)

قاصـــمة الظهر

بعد أن استأثر الله بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ــ وقد أكمل له ولنا دينه ، وأتم عليه وعلينا نعمته ، كما قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » (المائدة : ٣) ؛ وما من شيء فى الدنيا يكمل الا وجاءه النقصان ، ليكون الكمال الذى يراد به وجه الله خاصة ، وذلك العمل الصالح والدار الآخرة ، فهى دار الله الكاملة ــ قال أنس : « ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أنكرنا قلوبنا [١٤] » .

واضطربت الحال ، ثم تدارك الله الاسلام ببيعة أبى بكر ، فكان موت النبى صلى الله عليه وآله وسلم (قاصمة الظهر) ومصيبة العمر :

فأما على فاستخفى [١٥] فى بيته مع فاطمة [١٦] .

---

(١٤) فى مطبوعة الجزائر « نفوسنا » والمروى فى الحديث « قلوبنا » من وجوه متعددة أشار اليها الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢٧٣ ــ ٢٧٤) أحدها للامام أحمد عن أنس : « لما كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شيء » . قال : وما نفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأيدى حتى أنكرنا قلوبنا » . وهكذا رواه الترمذى ، وابن ماجه . وقال الترمذى : هذا حديث صحيح غريب . قال ابن كثير : واسناده صحيح على شرط الصحيحين . (خ)

(١٥) لأن فاطمة وجدت على أبى بكر لما أصرّ على العمل بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا نورّث ما تركنا صدقة » وسيأتى تفصيل ذلك فى ص (٦٢ ــ ٦٣) ، فعاشت فاطمة بعد موت النبى صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر معتزلة فى بيتها ومعها على . قال الحافظ ابن كثير فى البــــداية والنهاية (٦ : ٣٣٣) : فلما مرضت جاءها الصديق فدخل عليها فجعـــــل يترضاها فرضيت . رواه البيهقى من طريق اسماعيل بن أبى خالدعن الشعبى ثم قال : وهذا مرسل حسن باسناد صحيح . وقال البخارى (ك ٦٤ ب ٣٨ ج ٥ ص ٨٢ ــ ٨٣) من حديث عروة عن عائشة : « فلما توفيت دفنها زوجها علىّ ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها ، وكان لعلىٍّ من الناس وجه فى حياة فاطمة ، فلما توفيت استنكر علىٌّ وجوه الناس ، فالتمس مصالحة أبى بكـــر

وأما عثمان فسكت .

وأما عمر فأهجر وقال : « ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،

=

ومبايعته الخ » وبيعة عليّ هــذه هى الثانيــة بعد بيعتــه الأولى فى ســقيفة بنى ساعدة . وأضاف الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢٤٩) أن علياً لم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلف الصديق ، وخرج معه الى ذى القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتل أهل الردّة .

ويحتمل أن يكون مراد المؤلف باستخفاء عليٍّ ما كان منه ومن الزبير قبيل الاجتماع فى سقيفة بنى ساعدة ، وقد أشار عمر بن الخطاب الى ذلك فى خطبته الكبرى التى خطبها فى المدينة فى عقب ذى الحجة بعد آخر حجة حجها عمر ، وهذه الخطبة فى مسند الامام أحمد (١ : ٥٥ الطبعة الأولى — ج ١ رقم ٣٩١ الطبعة الثانية) من حديث ابن عباس . (خ)

(١٦) ان هذا الخبر لا يتفق مع الخبر الوارد فى أعلى هذا الكلام القائل بأن علياً لم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلف الصديق ... وانه خرج معه لما خرج ابو بكر شاهرا سيفه لقتال المرتدين .

والحقيقة لقد اضطربت الروايات فى بيان موقف على بن أبى طالب من خلافة ابى بكر الصديق ، ولعبت الدسائس دورها ، ونسجت الافتراءات والأكاذيب حولها بقصد زعزعة الثقة بالاسلام بصورة عامة ، وبالصحابة بصورة خاصة ، واظهارهم بمظهر الجشع والمتهالك على المناصب والأموال ولو بمخالفة الشريعة. ونحن ننقل فيما يلى أصح الروايات عن موقف على النبيل ثم نأتى على بعض الروايات الأخرى التى تقــول بامتناعه عــن البيعــة حتى وفاة فاطمــة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونوضح زيفها وكذبها .

قال العلامة محمد عزة دروزة فى كتــابه « الجنس العــربى » (٧ : ١٤ وما بعدها) : لقد روى الطبرى عن عبد الله بن سعيد الزهرى عن عمه يعقوب عن سعيد بن عمر عن الوليد بن عبد الله عن الوليد بن جميع الزهرى ان عمرو ابن حريث سأل سعيد بن زيد :

قال : فمتى بويع ابو بكر ؟ .

اشهدت وفاة النبى ؟

قال : نعم ..

قال : يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كرهوا أن يبقوا بعض يوم ، وليسوا فى جماعة قال : فخالف عليه أحد ؟ !

قال : لا ! الا مرتد أو من قد كاد أن يرتد لولا أن الله أنقذهم من الأنصار .

قال : فهل قعد أحد من المهاجرين ؟ قال : لا ! تتابعوا على بيعته من غــير ان يدعوهم (ج ٢ ص ٤٤٧) والمتبادر أن القائل أراد بما ذكره عن الأنصــار

=

. . . .

موقف سعد بن عباده وانصاره يوم السقيفة وتطلعهم الى رئاسة الحــكم ، فأنقذهم الله وجعلهم يتراجعون ويتابعون أبا بكر دون افتراق وخلاف ونزاع . والرواية تعبر عما كان من شدة حرص أصحاب رسول الله من مهاجرين وأنصار على سرعة البت فى أمر الرئاسة حتى تجتمع كلمتهم ، وتفيد أن الهاشميين أيضا ــ وهم من المهاجرين ــ قد تتابعوا على بيعة أبى بكر ولم يقعد منهم أحد . ولقد روى الطبرى خبر مبايعة على لأبى بكر فوراً ، وبحركة رائعة حيث روى بأسانيده عن حبيب بن أبى ثابت أن علياً كان فى بيته ، فأتى اليــه الخبر عــن جلوس أبى بكر للبيعة ، فخرج فى قميص ما عليه أزرار ولا رداء عجلا كراهية أن يبطىء عنه حتى بايعه ، ثم جلس اليه وبعث فأحضر ثوبه وتخلله ولزم مجلسه (٤٤٧/٢) .

وعلى كل حال فان المتفق عليــه فى روايات الشــيعة وغيرهم أن عليــاً وبنى هاشم بايعوا أبا بكر فوراً !كما يروى الطبرى ، أو بعد تردد كما تروى رواية الشيعة ، وتعاونوا معه ، حيث يدل هذا دلالة حاسمة على أنه لم يكن هناك وصية صريحة أو ضمنية من النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأن يكون الأمر لعلىٍّ من بعده وما رواه الطبرى كذلك بأسانيد أخرى خبر امتناع علىٍّ وبنى هاشم عن بيعة أبى بكر طوال حياة فاطمة ، لأن فاطمة جاءت هى والعباس الى أبى بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أرضه من فدك وسهمه من خيبر فقال لهما أبو بكر أما انى سمعت رسول الله يقول : « لا نورث ما تركنا صــدقة ، انما يأكل آل محمــد فى هــذا المال » وانى والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه الا صنعته . فهجرته فاطمة فلم تكلمه فى ذلك حتى توفيت بعد ستة أشهر من وفاة النبى صلى الله عليه وآله وســلم ورأى علىٌّ انصراف وجوه الناس عنه ، وكان لم يبايع أبا بكر هو ولا أحد من بنى هاشم والقصة طويلة وفى ختامها : بايع علىٌّ أبا بكر . اى بعد وفاة فاطمــة ويلحظ أن صيغة خبر الطبرى تجعل مسألة الميراث سببا لامتناع على ، وبنى هاشم عن مبايعة أبى بكر ، ومطالبتهم بالميراث من أبى بكر تقتضى أن تكون بعد الاعتراف بخلافته . وفى هذا من التناقض ما يجعل القصة متهافتة . وان كان لها أصل ما فكل ما يمكن أن يكون هو أنهم بعد مبايعتهم لأبى بكر طالبوا بمــا اجتهدوا أنه ميراثهم من النبى ، فأورد أبو بكر عليهم حديث النبى ﷺ الذى سمعه ووقف الأمر عند هذا الحد . ويكون ما عدا ذلك من مزيدات الشــيعة ومدسوساتهم . لأنه لا يمكن أن يكون على وفاطمة وبنو هاشم لم يصــدقوا أبا بكر فى الحديث الذى رواه ، كما لا يمكن أن يكونوا كابروا واصروا بعــد سماعهم لحديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم . ا هـ . (الجنس العــربى ١٧/٧) .

وانما واعده الله كما واعد موسى [١٧] ، وليرجعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليقطعن أيدى ناس وأرجلهم [١٨] » .

ومن الغريب أن أعداء الاسلام الذين يحملون على أبى بكر رضى الله عنه منع فاطمة من ارثها فى فدك وسهمها من خيبر ، بينما علىٌ نفسه لما تولى الخلافة لم يعط احد ورثها ولا لأحد من بنى هاشم ما تركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحديث : « لا نورث .... » .

واذا كان ابو بكر منع ذلك ، فيكون قد منع ابنته عائشة أيضاً من هذا الارث !!

وهناك روايات أخرى مختلطة ومكذوبة فى رفض على وبنى هاشم بيعة ابى بكر ضربنا عنها صفحا لتهافتها وللروايات الكثيرة التى تثبت مسارعة على لبيعة أبى بكر ومعاونته فى شؤون الخلافة ، وهو من أعرف الناس بفضله .(م)

(١٧) اشارة الى قول الله عز وجل فى سورة البقرة : ٥١ « واذ واعدنا موسى أربعين ليلة » ، وقوله سبحانه فى سورة الأعراف : ١٤٢ « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة » . (خ)

(١٨) مسند أحمد (٣ : ١٩٦ الطبعة الأولى) حديث أنس بن مالك عن يوم وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وفيه : « ثم أرخى الستر ، فقبض فى يومه ذاك . فقام عمر فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يمت، ولكن ربه أرسل اليه كما ارسل الى موسى ، فمكث عن قومه اربعين ليلة . وانى لأرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يقطع أيدى رجال المنافقين والسنتهم يزعمون (أو قال : يقولون) ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد مات » . وفى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٥) عن عائشة : « ... فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .. والله ما كان يقع فى نفسى الا ذاك ، وليبعثنه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم » ونقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢٤٢) ما رواه البيهقى من طريق ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة ابن الزبير قال : قام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوعد من قال « مات » بالقتل والقطع ، ويقول : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غشية لو قد قام قتل وقطع (*) . وفى (٥ : ٢٤١) من البداية والنهاية من حديث

(*) فى سنده ابن لهيعة ، فهو ضعيف فى هذه الحال . (م)

تنبيه : ــ يفهم من اطلاق الأستاذ محمود مهدى الاستانبولى أن فى الاسناد عبد الله بن لهيعة ان الحديث ضعيف . ولكن فى أمر ابن لهيعة تفصيل كبير فهو قد اختلط فى اخرة فمن سمع منه قبل الاختلاط فحديثه حسن كالعبادلة الثلاثة ومن سمع منه بعد الاختلاط فحديثه ضعيف . انظر تقريب التهذيب (٤٤٤/١) . (س)

وتعلق بال العباس وعليٍّ بأمر أنفسهما فى مرض النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال العباس لعلي : « انى أرى الموت فى وجوه بنى عبد المطلب، فتعال حتى نسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فان كان هذا الأمر فينا علمناه » (١٩) .

وتعلق بال العباس وعليٍّ بميراثهما فيما تركه النبى صلى الله عليه وآله وسلم من فدك وبنى النضير وخيبر (٢٠) .

واضطرب أمر الأنصار يطلبون الأمر لأنفسهم ، أو الشركة فيه مع المهاجرين (٢١) .

= عائشة وهى تذكر الساعة التى توفى فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا ، فأذنت لهما . ثم قاما ، فلما دنوا من الباب قال المغيرة : يا عمر ، مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال عمر : كذبت ، بل انت رجل تحوسك (أى تخالطك) فتنة ، ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يموت حتى يفنى الله المنافقين . ثم جاء أبو بكر .. وخرج الى المسجد وعمر يخطب الناس ويقول : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يموت حتى يفنى الله المنافقين .

ومعنى اهجر : خلط فى كلامه ، وهذى ، وأكثر الكلام فيما لا ينبغى . وذلك من هول ما وقع فى نفس عمر من هذا الحادث العظيم ، فهو لا يكاد يصدقه . (خ)

(١٩) فأجابه عليٌّ كرم الله وجهه : « انا والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وانى والله لا إسألها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . رواه البخارى فى كتاب المغازى من صحيحه (ك ٦٤ ب ٨٣ ج ٥ ص ١٤٠ ــ ١٤١) . ونقله ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢٢٧ و ٢٥١) من حديث الزهرى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن ابن عباس . ورواه الامام احمد فى مسنده (١ : ٢٦٣ و ٣٢٥ الطبعة الأولى و ج ٤ رقم ٢٣٧٤ و ج ٥ رقم ٢٩٩٩ الطبعة الثانية) . (خ)

(٢٠) سيأتى تفصيله ص ٤٨ عند الكلام على حديث « لا نورث ما تركنا صدقة » . (خ)

(٢١) فاجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة ، وبين ظهرانيهم سعد بن عبادة ، وهم يرون أن الأمر لهم لأن البلد بلدهم وهم انصار الله وكتيبة الاسلام ، أما قريش فان ذاقة منهم دفنت ، فلا ينبغى أن تختزل الأمر من دون الأنصار . وقال خطيب منهم ــ وهو الحباب ابن المنذر ــ « انا جذيلها المحكك ، وعذيقها

وانقطعت قلوب الجيش الذى كان قد برز مع أسامة بن زيد بالجرف (٢٢)

* * *

=

المرجب . منا أمير ومنكم أمير » . (وجذيلها المحكك : هو أصل شجرتها الذى تتحكك به الابل . وعذيقها المرجب : نخلتها التى دعمت ببناء أو خشب لكثرة حملها) . ومع ذلك فقد كان رجل من الأنصار ــ وهو بشير بن سعد الخزرجى والد النعمان بن بشير ــ يسابق عمر لمبايعة ابى بكر . وقبيـــل ذلك كان فى السقيفة الرجلان الصـــالحان عويم بن ســـاعدة الأوسى ومعن بن عدى حليف الأنصار ولم تعجبهما هذه النزعة من الأنصار فخرجا وهما يريان أن يقضى المهاجرون أمرهم غير ملتفتين الى أحد ، لكن حكمة أبى بكر ونور الايمان الذى ملأ قلبه كانا أبعد مدى وأحكم تدبيرا لهذه الملة فى أعظم نوازلها . (خ)

(٢٢) كان هذا الجيش سبعمائة ، والأمير عليهم أسامة بن زيد ، وكان قد ندبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمسير الى تخوم البلقاء (شرق الأردن) حيث قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وابن رواحة . ولما انتقل صلى الله عليه وآله وسلم الى الرفيق الأعلى أشار كثير من الصحابة ــ ومنهم عمر ــ أن لا ينفذ الصديق هذا الجيش لما وقع من الاضطراب فى الناس ولاسيما فى القبائل . نقل ابن كثير فى البداية والنهـــاية (٦ : ٣٠٤ ــ ٣٠٥) حديث القاسم وعمرة عن عائشة قالت : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتدت العرب قاطبة وأشربت النفاق ، والله لقد نزل بى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم كأنهم معزى مطيرة فى حش فى ليلة مطيرة بأرض مسبعة . فوالله ما اختلفوا فى نقطة الا صار أبى بخطلها وعثانها وفصلها » . (خ)

عاصـــــمة

فتدارك الله الاسلام والأنام ــ وانجابت (الغمة) انجياب الغمام ، ونفذ وعد الله باستئثار رسول الله (٢٣) واقامة دينه على التمام ، وان كان قد أصاب ما أصاب من الرزية الاسلام ــ بأبى بكر الصديق رضى الله عنه (٢٤) وكان اذ مات النبى صلى الله عليه وآله وسلم غائباً فى ماله بالسُّنح (٢٥) ، فجـاء الى منزل ابنته عائشة رضى الله عنها ــ وفيه مات النبى صلى الله عليه وآله وسلم ــ فكشف عن وجهه ، وأكب عليـه يقبـله وقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، طبت حياً وميتاً • والله لا يجمع الله عليك الموتتين ، أما الموتة التى كتب الله عليك فقدمتها • ثم خرج الى المسجد ــ والناس فيه ، وعمر يأتى بهجر من القول كما قدمنا ــ فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت » • ثم قرأ : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على

---

(٢٣) استأثر الله فلاناً ، وبفلان : اذا مات . (خ)

(٢٤) أى فتدارك الله الاسلام والأنام بأبى بكر . (خ)

(٢٥) فى البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥ : ٢٤٤) : كان الصديق قد صلى بالمسلمين صلاة الصبح ، وكان اذ ذاك قد أفاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افاقة من غمرة ما كان فيه من الوجع ، وكشف سترة الحجرة ونظر الى المسلمين وهم صفوف فى الصلاة خلف أبى بكر ، فأعجبه ذلك وتبسم صلى الله عليه وآله وسلم حتى هم المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به ، وحتى أراد أبو بكر أن يتأخر ليصل الصف ، فأشار اليهم صلى الله عليـه وآله وسلم أن يمكثوا كما هم . وأرخى الستارة ، وكان آخر العهد به صلى الله عليه وآله وسلم . فلما انصرف أبو بكر من الصلاة دخل عليه وقال لعائشة : ما أرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا قد أقلع عنه الوجع ، وهـذا يوم بنت خارجة ــ يعنى احدى زوجتيه ، وكانت ساكنة بالسنح شرقى المدينة ــ فركب على فرس وذهب الى منزله ، وتوفى صلى الله عليه وآله وسلم حين اشتد الضحى ... فذهب سالم بن عبيد وراء الصديق فأعلمه بموت النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فجاء الصديق حين بلغـه الخبـر ، وكان منـه ما سيذكره المؤلف . والسنح منازل بنى الحارث بن الخزرج فى عوالى المدينة ، بينها وبين مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ميل واحد . (خ)

عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزى الله الشاكرين » (آل عمران : ١٤٤) فخرج الناس يتلونها فى سكك المدينة كأنها لم تنزل الا ذلك اليوم [٢٦] .

واجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة يتشاورون ، ولا يدرون ما يفعلون . (وبلغ ذلك المهاجرين) فقالوا : نرسل اليهم يأتوننا . فقال أبو بكر : بل نمشى اليهم . فسار اليهم المهاجرون ، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، فتراجعوا الكلام ، فقال بعض الأنصار : منا أمير ومنكم أمير [٢٧] .. فقال أبو بكر كلاما كثيراً مصيباً ، يكثر ويصيب . منه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء . ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « الأئمة من قريش » [٢٨] وقال : « أوصيكم بالأنصار خيراً : أن تقبلوا

---

(٢٦) رواه البخارى فى كتاب فضائل الصحابة من صحيحه (ك ٦٢ ب ٥ ـ ج٤ ص ١٩٤) من حديث عائشة . وفى البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥ : ٢٤٢) من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى أحد اعلام المسلمين ، عن أبيه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، عن عائشة أم المؤمنين التى وقعت هذه الحوادث فى بيتها وفى المسجد النبوى الذى يطل بيتها عليه . وجميع دواوين السنة سجلت هذا الموقف العظيم للصديق الأكبر بأصح الأحاديث . وألفاظها قريب بعضها من بعض (خ)

(٢٧) الذى قال ذلك من خطباء الأنصار الحباب بن المنذر ، وقد تقدم فى هامش ٢١ ص ٥٦ . (خ)

(٢٨) الحديث فى مسند الطيالسى برقم ٩٢٦ عن أبى برزة ، وبرقم ٢١٣٣ منه عن انس ، وفى كتاب الأحكام من صحيح البخارى (ك ٩٣ ب ٢ ـ ج ٨ ص ١٠٤ ـ ١٠٥) عن معاوية أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « ان هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين» . وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان » . وفى مسند الامام أحمد (٣ : ١٢٩ الطبعة الأولى) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام على باب البيت ونحن فيه فقال « الأئمة من قريش . ان لهم عليكم حقاً .. الخ » ورواه الامام احمد ايضاً فى المسند (٣ : ١٨٣ الطبعة الأولى) عن أنس قال : كنا فى بيت رجل من الأنصار فجاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى وقف فأخذ بعضادة الباب فقال : « الأئمة من قريش ، ولهم عليكم حق ، ولكم مثل ذلك .. الخ » الامام أحمد كذلك (٤ : ٤٢١ الطبعة الأولى) عن أبى برزة يرفعه الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الأئمة من قريش : اذا استرحموا

=

من محسنهم ، وتتجاوزوا عن مسيئهم (٢٩) » • ان الله سمانا (الصادقين (٣٠)) وسماكم (المفلحين (٣١)) • وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (التوبة : ١١٩) • الى غير ذلك من الأقوال المصيبة والأدلة القوية • فتذكرت الأنصار ذلك وانقادت اليه ، وبايعوا أبا بكر الصديق رضى الله عنه (٣٢) •

= رحموا ، واذا عاهدوا وفوا ، واذا حكموا عدلوا . فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » (*) (خ)

(٢٩) فى كتاب مناقب الأنصار من صحيح البخارى (ك ٦٣ ب ١١) من حديث هشام بن زيد بن أنس قال : سمعت أنس بن مالك يقول : مر أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار يبكون (والظاهر أن ذلك كان فى مرض النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى مات به) فقال : ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس النبى صلى الله عليه وآله وسلم منا . فدخل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بذلك . قال : فخرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد عصب على رأسه حاشية برد . قال فصعد المنبر — ولم يصعده بعد ذلك اليوم — فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أوصيكم بالأنصار فانهم كرشى وعيبتى ، وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » . وبعده فى صحيح البخارى حديث لعكرمة عن ابن عباس ، وحديث لقتادة عن أنس بمعنى ذلك . وقريب من ذلك فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى ، وفى سنن الترمذى عن ابن عباس . (خ)

(٣٠،٣١) فى سورة الحشر : ٨ — ٩ « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم (الصادقون) * والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم (المفلحون) » . (خ)

(٣٢) نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢٤٧) من حديث الامام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى (ابن أخت أمير المؤمنين =

تكملة : ذكر العلامة القارى فى شرحه لشرح النخبة ان الحافظ قال فى هذا الحديث انه متواتر » أ هـ . وللحديث تكملة هى « .. لا يقبل منه فى صرف ولا عدل » رواه الامام أحمد والنسائى والضياء المقدسى فى « المختارة » . (س)

(*) الحديث صحيح لطرقه وشواهده الكثيرة (راجع تخريج الأرواء)(م)

وقال أبو بكر لأسامة : انفذ لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال عمر : كيف ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك ! ؟ فقال : لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ، ما رددت جيشاً أنفذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٣٣) .

وقال له عمر وغيره : اذا منعتك العرب الزكاة فاصبر عليهم . فقال :

عثمان) خطبة أبى بكر فى سقيفة بنى ساعدة ، ومنها قوله : لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادى الأنصار » (*) . ولقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وأنت قاعد : « قريش ولاة هذا الأمر : فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم » فاقل له سعد : « صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء » (**) .

(٣٣) نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٦ : ٣٠٥) عن الحافظ أبى بكر البيهقى حديث محمد بن يوسف الفريابى الحافظ (قال البخارى : كان أفضل أهل زمانه) ، عن عباد بن كثير الرملى أحد شيوخه (قال ابن المدينى: كان ثقة لا بأس به) ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (أحد التابعين ، توفى بالاسكندرية) عن أبى هريرة قال : « والله الذى لا اله الا هو ، لولا أبو بكر استخلف ما عبد الله » ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة . فقيل له : مه يا أبا هريرة . فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجه أسامه ابن زيد فى سبعمائة الى الشام ، فلما نزل بذى خشب قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وارتدت العرب حول المدينة . فاجتمع اليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا أبا بكر ، رد هؤلاء ، توجه هؤلاء الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ! ؟ فقال : « والذى لا اله غيره ، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله وعليه وآله وسلم ما ردت جيشاً وجهه رسول الله ، ولا حللت لواء عقده رسول الله » فوجه أسامة ، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد الا قالوا لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم . فلقوا الروم ، فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الاسلام . (خ)

(*) رواه البخارى . (م)

(**) رجاله ثقات الا حميد بن عبد الرحمن . وللحديث شواهد تقوية (راجع الأحاديث الضعيفة ١١٥٦) . (م)

« والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلتهم عليه . والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة [٣٤] » .

قيل : ومع من تقاتلهم ؟ قال : « وحدى ، حتى تنفرد سالفتى [٣٥] » ..

وقدم الأمراء على الأجناد والعمال فى البلاد مختاراً لهم ، مرتئياً فيهم ، فكان ذلك من أسد عمله ، وأفضل [مقدمة] [٣٦] .

---

(٣٤) لما مضى جيش أسامة فى طريقه الى شرق الأردن جعلت وفود القبائل تقدم المدينة ، يقرون بالصـــلاة ويمتنعون عـــن أداء الزكاة . قال ابن كثير (٦ : ٣١١) ومنهم من احتج بقوله تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهـــرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » (التوبة : ١٠٣) . قالوا : فلسنا ندفع زكاتنا الا الى من صلاته سكن لنا . وقد تكلم الصحابة مع الصديق فى أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الايمان فى قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون ، فامتنع الصديق من ذلك وأباه . وقد روى الجماعة فى كتبهم ــ سوى ابن ماجه ــ عن أبى هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبى بكر : علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا الا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها ؟ » فقال أبو بكر : « والله لو منعـــونى عناقا (وفى رواية : عقالا) كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأقاتلنهم على منعها ان الزكاة حق المال . والله لأقاتلن مـــن فرق بين الصلاة والزكاة » قال عمر : فما هو الا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكـــر للقتال ، فعرفت أنه الحق . وهذا الحديث فى مسند أحمد (١ : ١١ و ١٩ و ٣٥ ــ ٣٦ الطبعة الأولى ــ ج ١ رقم ٦٧ و ١١٧ و ٢٣٩ الطبعة الثانية) من حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبى هريرة . وفى البداية والنهـــاية (٦ : ٣١٢) : قال القاسم بن محمد (ابن أبى بكر الصديق ، وهو أحد الفقهاء السبعة) : اجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحة الأسدى ، وبعثوا وفوداً الى المدينة فنزلوا على وجوه النـــاس ، فأنزلوهم الا العبـــاس ، فحملوهم الى أبى بكر على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة . فعزم الله لأبى بكر على الحق وقال « لو منعونى عقالا لجاهدتهم » (خ)

(٣٥) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، ولا تنفـــرد احداهما عما يليها الا بالموت . (خ)

(٣٦) غير الشيخ محب الدين النص اجتهاداً منه فكتب (عمله وأفضل ما قدمه للاسلام) وهو فى جميع النسخ كما أثبتنا ، ولكنه لم ينبه الى ما عمله فى النص (صفحة ٤٧) .(س)

(٣٧) و فى طليعة هؤلاء القواد : أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجـــراح الفهرى ، وعمرو بن العاص السهمى ، وخالد بن الوليد المخـــزومى ، وخالد =

وقال لفاطمة وعلي والعباس : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا نورث ، ما تركنا صدقة » . فذكر الصحابة ذلك [٣٨] .

=

ابن سعيد بن العاص الأموى ، ويزيد بن ابى سفيان ، وعكرمة بن أبى جهل ، والمهاجر بن أبى أمية شقيق أم المؤمنين أم سلمة ، وشرحبيل بن حسنة ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وسهيل بن عمرو العامرى خطيب قريش ، والقعقاع ان عمرو التميمى ، وعرفجة بن هرثمة البارقى ، والعلاء بن الحضرمى حليف بنى أمية ، والمثنى بن حارثة الشيبانى ، وحذيفة بن محصن الغطفانى . وفى طليعة ولاته : عتاب بن أسيد الأموى ، وعثمان بن العاص الثقفى ، وزياد ابن لبيد الانصارى ، وأبو موسى الأشعرى ، ومعاذ بن جبل ، ويعلى بن منية ، وجرير بن عبد الله البجلى ، وعياض بن غنم ، والوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وعبد الله بن ثور أحد بنى غوث ، وسويد بن مقرن المزنى .

(٣٨) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (٦٢ ب ١٢ — ج ٤ ص ٢٠٩ — ٢١٠) حديث الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة أن فاطمة أرسلت الى أبى بكر تسأله ميراثها من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم تطلب صدقة النبى صلى الله عليه وآله وسلم التى بالمدينة وفدك وما بقى من خمس خيبر ، فقال أبو بكر : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة . انما يأكل آل محمد من هذا المال — يعنى مال الله — ليس لهم أن يزيدوا على المأكل » وانى والله لا اغير شيئاً من صدقات النبى صلى الله عليه وآله وسلم التى كانت عليها فى عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فتشهد عليٌ ثم قال : انا عرفنا يا ابا بكر فضيلتك (وذكر قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحقهم) . فتكلم أبو بكر فقال : والذى نفسى بيده ، لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى أن أصل من قرابتى . وأوسع منه فى كتاب المغازى بباب غزوة خيبر من صحيح البخارى (ك ٦٤ ب ٣٨ — ج ٥ ص ٨٢) .

وفى كتاب الوصايا من صحيح البخارى (ك ٥٥ ب ٣٢ — ج ٣ ص ١٩٧) وكتاب فرض الخمس منه (ك ٥٧ ب ٣ — ج ٤ ص ٤٥) حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا يقتسم ورثتى ديناراً ، ما تركت — بعد نفقة نسائى ومؤونة عاملى — فهو صدقة » . قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ١٥٨) : قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « لا نورث ، ما تركنا صدقة » رواه عنه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، والعباس بن عبد المطلب ، وأزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأبو هريرة ، والرواية عن هؤلاء ثابتة فى الصحاح والمسانيد . وقال قبل ذلك (٢ : ١٥٧) :

=

=
أن الله تعالى صان الأنبياء أن يورثوا دنيا لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح فى نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وورثوها لورثتهم . ثم ان من ورثة النبى صلى الله عليه وآله وسلم أزواجه ومنهم عائشة بنت أبى بكر وقد حرمت نصيبها بهذا الحديث النبوى ، ولو جرى أبو بكر مع ميله الفطرى لأحب أن ترث ابنته .

وفى كتاب فرض الخمس من صحيح البخارى (ك ٥٧ ب ١ — ج ٤ ص ٤٢) حديث ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين أخبرت أن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا نورث ، ما تركنا صدقة » ... فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال : « لست تاركا شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعمل به الا عملت به ، فانى أخشى ان تركت شيئاً من أمره أن أزيغ » .

وفى الباب نفسه من صحيح البخارى (ج ٤ ص ٤٢ — ٤٤) من حديث الامام مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان النصرى أنه قال : بينما أنا جالس فى أهلى حين متع النهار اذا رسول عمر بن الخطاب فقال : أجب أمير المؤمنين . فانطلقت معه .. فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ فقال : هل لك فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبى وقاص يستأذنون ؟ قال : نعم . فأذن لهم ... ثم جلس يرفأ يسيراً ثم قال : هل لك فى علىّ وعباس ؟ قال : نعم : فأذن لهما ، فدخلا فسلما فجلسا . فقال عباس : يا أمير المؤمنين اقض بينى وبين هذا — وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من بنى النضير — فقال الرهط ، عثمان وأصحابه : يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر . قال عمر : تيدكم . أنشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه ؟ قال الرهط : قد قال ذلك . فأقبل عمر على علىّ وعباس فقال : أنشدكما الله ، أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال ذلك ؟ قالا : قد قال ذلك . (وبعد أن ذكر أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان ينفق على أهله سنتهم من هذا المال ثم يجعل ما بقى مجعل مال الله ، واستشهدهم على ذلك فشهدوا ، قال) : ثم توفى الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال أبو بكر : أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقبضها ، فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق . ثم توفى الله أبا بكر ، فكنت أنا ولى أبى بكر ، فقبضتها سنتين من امارتى . أعمل فيها

وقال : سمعته صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا يدفن نبى الا حيث يموت (٣٩) » وهو فى ذلك كله رابط الجأش ، ثابت العلم والقدم فى الدين .

=

بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما عمل فيها أبو بكر ، والله يعلم انى فيها لصادق بار راشد تابع للحق . ثم جئتمانى تكلمانى وكلمتكما واحدة وأمركما واحد ، جئتنى يا عباس تسألنى نصيبك من ابن أخيك ، وجاءنى هذا — يريد علياً — يريد نصيب امرأته من أبيها ، فقلت لكما : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » . فلما بدا لى أن ادفعه اليكما قلت : ان شئتما دفعتها اليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبما عمل فيها أبو بكر ، وبما عملت فيها منذ وليتها . فقلتما : ادفعها الينا . فبذلك دفعتها اليكما . فأنشدكم بالله ، هل دفعتها اليهما بذلك ؟ قال الرهط : نعم . ثم اقبل على علىّ وعباس فقال : انشدكما بالله ، هل دفعتها اليكما بذلك ؟ قالا : نعم . قال : أفتلتمسان منى قضاء غير ذلك ! فوالله الذى باذنه تقوم السماء والأرض ، لا أقضى فيها قضاء غير ذلك ، فان عجزتما عنها فادفعاها الىّ فانى أكفيكماها .

وأود البخارى حديث مالك بن أوس هذا فى كتاب المغازى من صحيحه (ك ٦٤ ب ١٤ — ج ٥ ص ٢٣ — ٢٤) من حديث شعيب عن الزهرى عن مالك ابن أوس ، وفى كتاب النفقات من صحيحه (ك ٦٩ ب ٣ — ج ٦ ص ١٩٠ — ١٩٢) ، وفى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيحه (ك ٦٩ ب ٥ — ج ٨ ص ١٤٦ — ١٤٧) . وانظر كتاب الفرائض من صحيح البخارى (ك ٨٥ ب ٣ — ج ٨ ص ٣ — ٥) . ومسند الامام أحمد (١ : ١٣ الطبعة الأولى — ورقم ٧٧ ، ٧٨ الطبعة الثانية) .

وقد نبه شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ٢٣٠) الى أن أبا بكر وعمر أعطيا من مال الله اضعاف هذا الميراث للذين كانوا سيرثونه قال : وانما اخذ منهم قرية ليست كبيرة ، لم يأخذ منهم مدينة ولا قرية عظيمة . ثم قال (٣ : ٢٣١) وقد تولى علىّ بعد ذلك ، وصارت فدك وغيرها تحت حكمه ، ولم يعط لأولاد فاطمة ولا زوجات النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا ولد العباس شيئاً من ميراثه . . . الخ . (خ)

(٣٩) فى كتاب الجنائز من موطأ مالك (ك ١٦ ج ٢٧ — ص ٢٣١) أن مالكا بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفى يوم الأثنين ودفن يوم الثلاثاء صلى الناس عليه افذاذاً لا يؤمهم أحد . فقال ناس : يدفن عند المنبر . وقال آخرون : يدفن بالبقيع . فجاء أبو بكر الصديق فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ما دفن نبى قط الا فى مكانه الذى توفى فيه »

ثم استخلف عمر ، فظهرت بركة الاسلام ، ونفذ الوعد الصادق فى الخليفتين [٤٠] .

ثم جعلها عمر شورى ، فأخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من الأمر حتى

قال الحافظ ابن عبد البر : صحيح من وجوه مختلفة وأحاديث شتى جمعها مالك . وفى كتاب الجنائز من جامع الترمذى (ك ٨ ب ٣٣) حديث عائشة : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اختلفوا فى دفنه ، فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ما نسيته ، قال : « وما قبض الله نبياً الا فى الموضع الذى يجب أن يدفن فيه » ادفنوه فى موضع فراشه . وفى كتاب الجنائز من سنن ابن ماجه (ك ٦ ب ٦٥) عن ابن عباس : لقد اختلف المسلمون فى المكان الذى يحفر له ، فقال قائلون : يدفن فى مسجده ، وقال قائلون : يدفن مع أصحابه ، فقال أبو بكر : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ما قبض نبى الا دفن حيث يقبض » . ورواه ابن اسحاق (فى السيرة لابن هشام ٣ : ١٠٣ بولاق) من حديث عكرمة عن ابن عباس . وانظر البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥ : ٢٦٦ — ٢٦٨). (خ) .

(٤٠) وهو وعد الله عز وجل فى سورة النور : ٥٥ « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » . ولقد كان المجتمع الاسلامى — بتوجيه هذين الخليفتين — أسعد مجتمع انسانى عرفه التاريخ ، لأن الناس — من ولاة ورعية — كانوا يتعاملون بالايثار ، وكان الواحد منهم يكتفى بما يفى بحاجته ، ويبذل من ذات نفسه أقصى ما يستطيع أن يستخرج منها من جهد لاقامة الحق فى الأرض وتعميم الخير بين الناس . ويلقى الرجل الخير منهم رجلا لا تزال تنزع به نزعات الشر ، فلا يزال به حتى يخدر عناصر الشر المتوثبة فى نفسه ، ويوقظ ما كمن فيها من عناصر الخير الى أن يكون من أهل الخير . وفى المنتسبين الى الاسلام حتى يومنا هذا طوائف امتلأت قلوبهم بالضغن حتى على أبى بكر وعمر ، فضلا عمن استعان بهم أبو بكر وعمر من أهل الفضل والاحسان ، فصنعوا لهم من الأخبار الكاذبة شخصيات أخرى غير شخصياتهم التى كانوا عليها فى نفس الأمر ، ليقنعوا أنفسهم بأنهم ابغضوا أناساً يستحقون منهم هذه البغضاء . ولهذا امتلأ التاريخ الاسلامى بالأكاذيب ، ولن تتجدد للمسلمين نهضة الا اذا عرفوا سلفهم على حقيقته واتخذوا منه قدوة لهم ، ولن يعرفوا سلفهم على حقيقته الا بتطهير التاريخ الاسلامى مما ألصق به . (خ)

ينظر ويتحرى فيمن يقدم [41] فقدم عثمان ، فكان عند الظن به : ما خالف له عهداً ، ولا نكث عقداً ، ولا اقتحم مكروهاً ، ولا خالف سنة [42] .

---

(٤١) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٨ — ج ٤ ص ٢٠٤ — ٢٠٧) حديث عمرو بن ميمون احد تلاميذ معاذ وابن مسعود ومن شيوخ الشعبى وسعيد بن جبير وطبقتهما ، وقد اشتمل هذا الحديث على خبر مقتل امير المؤمنين عمر ، وكيف جعل عمر الخلافة شورى بين الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض ، وكيف اخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه منها . ثم انتهى الى تقديم عثمان . وهذا الحديث من أصح ما ثبت فى هذا الموضوع وأجوده . واقرأ بعد ذلك ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية عن موقف عمر فى جعله الأمر شورى فى كتاب منهاج السنة (٣ : ١٦٨ — ١٧٢) ، وفيه ارشاد دقيق الى ما كان عليه بنو هاشم وبنو امية من الاتفاق والمحبة والتعاون فى أيام النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وعمر ، وأن عثمان وعليا كان أحدهما أقرب الى صاحبه من سائر الأربعة اليهما . ونقل ابن تيمية فى (٣ : ٢٣٣ — ٢٣٤) قول الامام احمد : لم يتفق الناس على بيعة كما اتفقوا على بيعة عثمان : ولاه المسلمون بعد تشاورهم ثلاثة أيام ، وهم مؤتلفون متفقون متحابون متواردون معتصمون بحبل الله جميعاً . وقد أظهرهم الله ، واظهر بهم ما بعث به نبيه من الهدى ودين الحق ، ونصرهم على الكفار ففتح بهم بلاد الشام والعراق وبعض خراسان . الخ (خ)

(٤٢) وكيف لا يكون عثمان عند حسن الظن به وقد شهد له بطهارة السيرة وحسن الخاتمة رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى . قال الحافظ ابن حجر فى ترجمة عثمان من (الاصابة) : جاء من أوجه « متواترة » أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر عثمان بالجنة ، وعده من أهل الجنة ، وشهد له بالشهادة . والحديث الذى يتواتر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يرتاب فيه ولا يجنح الى غير مدلوله الا الذى يرضى لنفسه بأن يقتحم أبواب الجحيم . وروى الترمذى من طريق الحارث بن عبد الرحمن عن طلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لكل نبى رفيق ، ورفيقى فى الجنة عثمان » (*) . وقال الحافظ بن عبد البر فى ترجمة عثمان من كتاب (الاستيعاب) : ثبت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « سألت ربى عز وجل أن لا يدخل النار أحداً صاهر الى أو صاهرت اليه » (**) .

(*) قال الترمذى : هذا حديث غريب . وليس اسناده بالقوى . وهو منقطع . (م)

(**) صححه الحاكم عن طريق عمار بن سيف ووافقه الذهبى وفيه نظر فان عماراً هذا قال الحافظ ضعيف الحديث (راجع الأحاديث الضعيفة) . (م)

. . . .

وشهادة أخرى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الانسان الأفضل يتمنى مثلها أبو بكر وعمر ، فقد روى الامام مسلم فى كتاب فضائل الصحابة من صحيحه (ك ٤٤ ح ٣٦ – ج ٧ ص ١١٦ – ١١٧) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فى عثمان : « ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة ؟ » . وفى صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٧ – ج ٤ ص ٢٠٣) عن نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : كنا فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا نعدل بأبى بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان . ثم نترك أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا نفاضل بينهم . وقيل للمهلب بن أبى صفرة : لم قيل لعثمان ذو النورين ؟ قال : لأنه لم يعلم أن أحداً أرسل ستراً على ابنتى نبى غيره . وروى خيثمة فى فضائل الصحابة عن النزال بن سبرة العامرى (أحد الذين أخذوا عن أبى بكر وعثمان وعلى ، وهو من شيوخ الشعبى والضحاك وطبقتهما) قال : قلنا لعلى حدثنا عن عثمان ، فقال : « ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الأعلى ذا النورين » . وقال ابن مسعود حين بويع عثمان بالخلافة « بايعنا خيرنا ، ولم نأل » . ووصفه على بن أبى طالب بعد انقضاء أجله فقال « كان عثمان أوصلنا للرحم ، وكان من الذين آمنوا ، ثم اتقوا واحسنوا ، والله يحب المحسنين » . وروى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن أباه قال « لقد عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبوا عليه » . وعبد الله بن عمر كان شاهد عيان لخلافة عثمان من أولها الى آخرها ، وكان أشد الناس فى التزام السنة المحمدية ، ومع ذلك فانه يشهد لعثمان بأن كل ما عتبوا به عليه كان يحتمل أن يكون من عمر – وهو أبوه – ولو كان ذلك من عمر لما عتب أحد به عليه . وقال مبارك بن فضالة مولى زيد بن الخطاب : سمعت عثمان يخطب وهو يقول « يا أيها النا ما تنقمون علىَّ ، وما من يوم الا وأنتم تقتسمون فيه خيراً » . وقال الحسن البصرى : شهدت منادى عثمان ينادى : يا أيها الناس اغدوا على أعطياتكم ، فيغدون ويأخذونها وافية . يا أيها الناس اغدوا على أرزاقكم ، فيغدون ويأخذونها وافية . حتى – والله – سمعته أذناى يقول اغدوا على كسوتكم . فيأخذون الحلل . واغدوا على السمن والعسل . قال الحسن : أرزاق دارّة ، وخير كثير ، وذات بين حسن . ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً ، الا يوده وينصره ويألفه . فلو صبر الأنصار على الأثرة لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق ، ولكنهم لم يصبروا ، وسلوا السيف مع من سل ، فصار عن الكفار مغمداً ، وعلى المسلمين مسلولا (روى ذلك عنه الحافظ ابن عبد البر) . وقال ابن سيرين صنو الحسن البصرى وزميله وهو أيضاً كان معاصراً لعثمان : « كثر المال فى زمن عثمان حتى بيعت جارية بوزنها ، وفرس بمائة ألف درهم ، ونخلة بألف درهم » . وسئل عبد الله بن عمر بن الخطاب عن على وعثمان ، فقال للسائل : « قبحك الله ، تسألنى عن رجلين – كلاهما خير منى – تريد أن اغض من أحدهما وأرفع من الآخر ! ؟ » . (خ).

وقد كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بأن عمر شهيد ، وبأن عثمان شهيد [٤٣] ، وبأن له الجنة على بلوى تصيبه [٤٤] .

وهو زوجه رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أول

---

(٤٣) عن أنس أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صعد أحداً ، وأبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برجله ، فقال : « اثبت أحد ، فانما عليك نبى وصديق وشهيدان » رواه البخارى . ولعل هذا الحديث هو الذى دعا عثمان الى منع الصحابة من الدفاع عنه ، خشية على أرواح المسلمين ، ما دام المصير محتوماً ! . (م)

(٤٤) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٧ — ج ٤ ص ٢٠٢) حديث أبى موسى الأشعرى قال : ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم دخل حائطا (اى بستاناً) وأمرنى بحفظ باب الحائط ، فجاء رجل يستأذن ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ائذن له وبشره بالجنة » فاذا أبو بكر . ثم جاء آخر يستأذن ، فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » فاذا عمر . ثم جاء آخر يستأذن ، فسكت هنيهة ثم قال : « ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه» فاذا عثمان بن عفان . (وانظر صحيح البخارى ك ٦٢ ب ٥ و ٦ — ج ٤ ص ١٩٥ — ١٩٧ و ٢٠١ — ٢٠٢) . ومثله فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح مسلم (ك ٤٤ ح ٢٨ و ٢٩ — ج ٧ ص ١١٧ — ١١٩) من حديث أبى موسى الأشعرى أيضاً . وروى ابن ماجه فى الباب ١١ من مقدمة السنن (ج ١ ص ٢٨ طبعة مصر سنة ١٣١٣) عن محمد بن سيرين من أئمة التابعين ، عن كعب ابن عجرة البلوى حليف الأنصار وأحد الذين شهدوا عمرة الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزلت فيه آية الفدية ١٩٥ من سورة البقرة ، قال كعب بن عجرة : ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتنة فقربها فمر رجل مقنع راسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « هذا يومئذ على الهدى » فوثبت فأخذت بضبعى عثمان ، ثم استقبلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : هذا ؟ قال : هذا . وفى مسند أحمد (١ : ٥٨ الطبعة الأولى — رقم ٤٠٧ الطبعة الثانية) عن أبى سهلة مولى عثمان — وهو تابعى ثقة — أن عثمان قال يوم الدار حين حصر : « ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد الى عهداً ، فأنا صابر عليه » والحديث عند الترمذى (٤ : ٣٢٤) من طريق وكيع ، وقال : حديث حسن صحيح . وعند ابن ماجه (١ : ٢٨) حديثان أحدهما لأبى سهلة مولى عثمان والآخر لعائشة . وأوردهما الحاكم فى المستدرك على الصحيحين (٣ : ٩٩) عن عائشة . (خ)

مهاجر بعد ابراهيم الخليل صلى الله عليه وآله وسلم ، دخل به فى باب « أول من ... (٤٥) » وهو علم كبير جمعه الناس .

ولما صحت امامته قتل مظلوما (٤٦) ، ليقضى الله أمراً كان مفعـولا . ما نصب حرباً (٤٧) ولا جيش عسكراً (٤٨) ، ولا سعى الى فتنة (٤٩) ولا دعا الى بيعة (٥٠) ، ولا حاربه ولا نازعه من هو من أضرابه ولا أشكاله (٥١) ،

---

(٤٥) للجلال السيوطى وغيره من العلماء قبله وبعده كتب ألفوها فى تسمية الأشخاص الذين سبقوا غيرهم الى شىء من الأعمال المحمودة وغيرها ، فيقولون (مثلا) : كان عثمان أول من هاجر فى سبيل الله الهجرة الأولى الى الحبشة . (خ) .

تكملة : تسمى هذه الكتب بـ « الأوائل » منها :

ـ الأوائل : لأبى هلال العسكرى .

ـ الأوائل : للامام الطبرانى . (س)

ـ الأوائل للامام المزى .

(٤٦) روى الامام أحمد فى مسنده (٢ : ١١٥ الطبعة الأولى ــ ج ٨ رقم ٥٩٥٣ الطبعة الثانية) عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتنة ، فمر رجل ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما » قال (عبد الله بن عمر) : فنظرت ، فاذا هو عثمان بن عفان . قال الشيخ أحمد شاكر : والحديث رواه الترمـــذى (٤ : ٣٢٣) ونقل شارحه عن الحافظ ابن حجر أنه قال : اسناده صحيح . وروى الحاكم فى المستدرك (٣ : ١٠٢) نحوه من حديث مرة بن كعب وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى . (خ)

(٤٧) أى لقتال أهل القبلة . أما حروبه لاعلاء كلمة الله ونشر دعوة الحــق فكانت من أنشط ما عرفه التاريخ الاسلامى . (خ)

(٤٨) أى للدفاع عن نفسه ، وكبح جماح البغاة عليه . (خ)

(٤٩) بل كان أشد خلق الله كرها لها وحرصاً على تضييق دائرتها ، حقناً لدماء المسلمين ، ولو أدى ذلك به الى أن يكون هو ضحية لغيره . (خ)

(٥٠) وانما أتته منقادة على غير تشوف منه اليها ، قال شيخ الإســلام ابن تيمية فى منها ج السنة (٣ : ١٦٤) : « ان الصحابة اجتمعوا على عثمان رضى الله عنه لأن ولايته كانت أعظم مصلحة وأقل مفسدة من ولاية غيره . ثم قال فى الصفحة التالية : ولا ريب أن الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم وهو عنهم راض ــ اى الذين عينهم عمر ــ لا يوجد أفضل منهم ، وان كان فى كل منهم ما كرهه فان غيرهم يكون فيه من المكروه أعظم ، ولهـذا لم يتول بعد عثمان خير منه ولا أحسن سيرة . (خ)

(٥١) أضراب أمير المؤمنين عثمان وأشكاله هم اخوانه الذين أشركهـم أمير المؤمنين عمر فى الشورى ، اما الذين استطاع عبد الله بن سبأ وتلاميذه أن

ولا كان يرجوها لنفسه . ولا خلاف أنه ليس لأحد أن يفعل ذلك فى غير عثمان ، فكيف بعثمان رضى الله عنه .

وقد سموا من قام عليه ، فوجدناهم أهل أغراض سوء ، حيل بينهم وبينها (٥٢) ، فوعظوا وزجروا (٥٣) ، وأقاموا [بحمص] عند عبد الرحمن

= يوقعوهم فى حبائل الفتنة فبينهم وبين مستوى أهل الشورى أبعد مما بين الحضيض والقمة ، بل أبعد مما بين الشر والخير . وان الشر الذى اقحموه على تاريخ الاسلام بحماقاتهم وقصر انظارهم لو لم يكن من نتائجه الا وقوف حركة الجهاد الاسلامى فيما وراء حدود الاسلام سنين طويلة لكفى به اثما وجناية . قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ١٨٦) : ان خيار المسلمين لم يدخل واحد منهم فى دم عثمان . لا قتل ، ولا أمر بقتله ، وانما قتله طائفة من المفسدين فى الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتن . وكان علىٌ رضى الله عنه يقول « اللهم العن قتلة عثمان فى البر والبحر والسهل والجبل » (خ)

(٥٢) الذين شاركوا فى الجناية على الاسلام يوم الدار طوائف على مراتب : فيهم الذين غلب عليهم الغلو فى الدين فأكبروا الهنات وارتكبوا فى انكارها الموبقات . وفيهم الذين ينزعون الى عصبية يمنية على شيوخ الصحابة من قريش ، ولم تكن لهم فى الاسلام سابقة . فحسدوا أهل السابقة من قريش على ما أصابوا من مغانم شرعية جزاء جهادهم وفتوحهم ، فأرادوا أن يكون لهم مثلها بلا سابقة ولا جهاد . وفيهم الموتورون من حدود شرعية أقيمت على بعض ذويهم ، فاضطغنوا فى قلوبهم الاحنة والغل لأجلها . وفيهم الحمقى الذين استغل السبأيون ضعف عقولهم فدفعوهم الى الفتنة والفساد والعقائد الضالة. وفيهم من أثقل كاهله خير عثمان ومعروفة نحوه ، فكفر معروف عثمان عندما طمع منه بما لا يستحقه من الرئاسة والتقدم بسبب نشأته فى أحضانه . وفيهم من أصابهم من عثمان شىء من التعزير لبوادر بدرت منهم تخالف أدب الاسلام ، فأغضبهم التعزير الشرعى من عثمان ، ولو أنهم قد نالهم من عمر أشد منه لرضوا به طائعين . وفيهم المتعجلون بالرياسة قبل أن يتأهلوا لها اغترارا بما لهم من ذكاء خلاب أو فصاحة لا تغذيها الحكمة ، فثاروا متعجلين بالأمر قبل ابانه . وبالاجمال ، فان الرحمة التى جبل عليها عثمان وامتلأ بها قلبه أطمعت الكثيرين فيه ، وارادوا أن يتخذوا من رحمته مطية لأهوائهم . ولعلى اذا اتسع لى الوقت اتفرغ لدراسة نفسيات هؤلاء الخوارج على عثمان ، وتنظيم المعلومات الصحيحة التى بقيت لنا عنهم ، ليكون من ذلك درس وعبرة لطلاب التاريخ الأسلامى . (خ)

(٥٣) وقد وعظهم وزجرهم أهل العافية والحكمة والرضا من أعيان =

ابن خالد بن الوليد (٥٤) [يؤنبهم ويؤدبهم] ، حتى تابوا (٥٥) فأرسل بهم إلى عثمان فتابوا (٥٦) . وخيرهم فاختاروا التفرق فى البلاد ، فأرسلهم . فلما سار كل الى ما اختار أنشأوا الفتنة ، وألبوا الجماعة ، وجاءوا اليه (٥٧) بجملتهم ، فاطلع عليهم من حائط داره ووعظهم ، وذكرهم ، وورعهم عن دمه (٥٨) ، وخرج طلحة يبكى وبورع الناس ، وأرسل علىٌّ ولديه (٥٩) ، وقال الناس لهم (٦٠) : انكم أرسلتم الينا « أقبلوا الى من غيَّر سنة الله (٦١) » فلما جئنا قعد هذا فى بيته يعنون علياً — وخرجت أنت (٦٢) تفيض عينيك • والله لا برحنا حتى نريق دمه •

وهذا قهر عظيم ، وافتئات على الصحابة ، وكذب فى وجوههم وبهت

= أمصارهم وعلمائها فى الكوفة والبصرة والفسطاط ، ثم وعظهم وزجرهم معاوية فى مجالس له معهم عندما سيرهم عثمان الى الشام كما سيجىء عند كلام المؤلف على سطوهم على المدينة — بحجة الحج — فحولوا حجهم الكاذب الى البغى على خليفتهم وسفك دمه الحرام فى جوار قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام . (خ)

(٥٤) وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والياً لمعاوية على حمص وما يليها من شمال الشام الى أطراف جزيرة ابن عمر ، وسيأتى الحديث عن أحوالهم عندما قبض عليهم هذا الشبل المخزومى بمثل مخالب أبيه . (خ)

(٥٥) بل تظاهروا بأنهم تابوا ، « واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم » . (خ)

(٥٦) خيرهم عبد الرحمن بن خالد فى أن يذهبوا الى عثمان ، فذهب كبيرهم الاشتر النخعى ، وله قصة نذكرها فى موضعها من هذا الكتاب . (خ)

(٥٧) أى الى أمير المؤمنين عثمان . (خ)

(٥٨) ورعهم عن الشىء : كفهم ومنعهم بالحجة والحق المنير . (خ)

(٥٩) ليكونا فى حراسة أمير المؤمنين عثمان ، ويدافعا عنه بالسلاح اذا شاء . (خ)

(٦٠) أى قال البغاة يخاطبون علياً وطلحة والزبير . (خ)

(٦١) زعم البغاة أنهم تلقوا من على وطلحة والزبير رسائل يدعونهم بها للثورة على عثمان بدعوى أنه غيرَّ سنة الله . وسيأتى انكار علىّ وطلحة والزبير أنهم كتبوا بذلك ، والظاهر أن الفريقين صادقان ، وأن منظمي الفتنة من السبأيين زوروا الرسائل التى ذكرها البغاة الثائرون . (خ)

(٦٢) الخطاب لطلحة بن عبيد الله . (خ)

لهم . ولو أراد عثمان لكان مستنصراً بالصحابة ، ولنصروه فى لحظة (٦٣) . وانما جاء القوم مستجيرين متظلمين (٦٤) . فوعظهم ، فاستشاطوا . فأراد الصحابة [اليهم] (*) ، فأوعز اليهم عثمان لا يقاتل أحد بسببه أبداً . فاستسلم ، وأسلموه برضاه .

وهى مسألة من الفقه كبيرة : هل يجوز للرجل أن يستسلم ، أم يجب عليه ان يدافع عن نفسه ؟

واذا استسلم وحرم على أحد أن يدافع عنه بالقتل ، هل يجوز لغيره أن يدافع عنه ولا يلتفت الى رضاه ؟ اختلف العلماء فيها .

فلم يأت عثمان منكراً لا فى أول الأمر ، ولا فى آخره ، ولا جاء الصحابة بمنكره وكل ما سمعت من خبر باطل اياك أن تلتفت اليه (٦٦) .

* * *

---

(٦٣) ولقد راوده فى ذلك مراراً ، وعرض عليه معاوية أن ينقل دار الخلافة الى الشام ، أو يمده بجند من الشام لا يعرف له التاريخ الا التقدم والظفر . (خ)

(٦٤) أى أن البغاة ظهروا بمظهر المتظلم ، وهو يدعى أموراً يشكوها ، فكان عثمان يرى لهم حقاً عليه أن يبين لهم وللناس حجته فيما ادعوا ، ووجهة نظره فى الأمور التى زعموا أنهم جاوءا يتظلمون منها . (خ)

(*) كذا فى جميع النسخ « اليهم » (الا أن الشيخ محب الدين غيره الى « الهم » دون أن يشير الى ذلك . والظاهر أن النص كما هو مثبت والمقصود منه أنهم أرادوا القيام اليهم ومدافعتهم عن عثمان [من تعليق الدكتور عمار طالبى]) . (س)

(٦٦) ومعيار الأخبار فى تاريخ كل أمة الوثوق من مصادرها ، والنظر فى ملائمتها لسجايا الأشخاص المنسوبة اليهم . وأخبار التاريخ الاسلامى نقلت عن شهود عيان ذكروها لمن جاءوا بعدهم ، وهؤلاء رووها لمن بعدهم . وقد اندس فى هؤلاء الرواة اناس من أصحاب الأغراض زوروا أخباراً على لسان آخرين وروجوها فى الكتب اما تقرباً لبعض أهل الدنيا ، أو تعصباً لنزعة يحسبونها من الدين . ومن مزايا التاريخ الاسلامى — تبعاً لما جرى عليه علماء الحديث — أنه قد تخصص فريق من العلماء فى نقد الرواية والرواة ، وتمييز الصادقين منهم عن الكذبة ، حتى صار ذلك علماً محترماً له قواعد ، وألفت فيه الكتب ، ونظمت للرواة معاجم حافلة بالتراجم ، فيها التنبيه على مبلغ كل راو من الصدق والتثبت والأمانة فى النقل ، واذا كان لبعضهم نزعات حزبية أو مذهبية =

قاصمة

قالوا [مبعدين] (٦٧) ، متعلقين برواية كذابين : جاء عثمان فى ولايته بمظالم ومناكير ، منها :

١ ــ ضربه لعمار حتى فتق أمعاءه .

٢ ــ ولابن مسعود حتى كسر أضلاعه ، ومنعه عطاءه .

٣ـ وابتدع فى جمع القرآن وتأليفه ، وفى حرق المصاحف .

٤ ــ وحمى الحمى .

٥ ــ وأجلى أباذر الى الربذة .

٦ ــ وأخرج من الشام أبا الدرداء .

٧ ــ ورد الحكم بعد أن نفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٩ ــ ١٢ ــ وولى معاوية ، (وعبد الله بن عامر بن كريز (٦٨)) ، ومروان . وولى الوليد بن عقبة وهو فاسق ليس من أهل الولاية .

=

قد يجنح معها الى الهوى ذكروا ذلك فى ترجمته ليكون دارس اخبارهم ملماً بنواحى القوة والضعف من هــذه الأخبار . والذين يتهجمون على الكتابة فى تاريخ الاسلام وتصنيف الكتب فيه قبل أن يستكملوا العدة لذلك ــ ولاسيما فى نقد الرواة ومعرفة ما حققه العلماء فى عدالتهم أوتجريحهم ــ يقعون فى اخطاء كان فى امكانهم أن لا يقعوا فيها لو انهم استكملوا وسائل العلم بهذه النواحى. (خ)

(٦٧) فى ب ، ج ، ز = مبعدين ، وكتب على هامش (ز) فى نسخة مفترين وغيرها الشيخ محب الدين الخطيب الى متعدين . (س)

(٦٨) سقط اسم ابن كريز من الأصل سهواً من الناسخ أو من الطابع فى مطبوعة الجزائر ، مع انه ذكر فى الدفاع الآتى بعد . ومطبوعة الجزائر طبعت على أصل سقيم بخط ناسخ غير متمكن . وقد وقع تقديم وتأخير فى ترتيب التهم وأجوبتها ، ويلوح لنا أن مجلد الأصل المخطوط الذى طبعت عليه مطبوعة الجزائر وضع بعض الورق فى غير مواضعه عند التجليد ، فأعدنا ترتيب التهم وأجوبتها على نسق ، ولم نزد على الأصل كلمة ولم ننقص منه كلمة . وبذلك تلافينا الاضطراب الذى كان بادياً للقارىء فى المطبوعة الجزائرية . (خ)

١٣ ــ واعطى مروان خمس افريقية .

١٤ ــ (*) وكان عمر يضرب بالدرة وضرب هو بالعصا (٦٩) .

١٥ ــ وعلا على درجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد انحط عنها أبو بكر وعمر .

١٦ ــ ولم يحضر بدراً ، وانهزم يوم أحد ، وغاب عن بيعة الرضوان .

١٧ ــ ولم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان (الذى أعطى السكين الى أبى لؤلؤة ، وحرضه على عمر حتى قتله) .

١٨ ــ وكتب مع عبده على [جهله] كتابا الى ابن أبى سرح فى قتل من ذكر فيه (٧٠) .

* * *

عاصمة

هذا كله باطل سنداً ومتنا . أما قولهم « جاء عثمان بمظالم ومناكير » فباطل (٧١) .

١ ــ ٢ وأما ضربه [لعمار وابن مسعود] ومنعه عطاءه فزور (٧٢) ،

---

(٦٩) الدرة عصا صغيرة يحملها السلطان يزع بها . (خ)

(*) هذه الأرقام المسلسلة من عمل الشيخ محب الدين الخطيب وليست من عمل المؤلف رحمهما الله . (س)

(٧٠) تصرف الشيخ محب فاخر قوله : وكتب مع عبده على جهله [وعنده (خ) : جمله] كتابا الى ...) وقال انه رتب التهم على نسق ولكن جميع النسخ جاءت على خلاف ما تصرف فيه .. فقدم وأخر صفحات باكملها ــ ولا حول ولا قوة الا بالله . (س)

(٧١) كما ترى من الأدلة التى سيوردها المؤلف فى نقض هذه التهم واحدة بعد واحدة حتى يأتى على آخرها . (خ)

(٧٢) تقدم فى هامش ص (٧٠) قول عبد الله بن مسعود لما بويع عثمان : « بايعنا خيرنا ولم نأل » ويروى « ولينا اعلانا ذا فوق ولم نأل » . وعند ولاية عثمان كان ابن مسعود واليا لعمر على أموال الكوفة ، وسعد بن أبى وقاص واليا على صلاتها وحربها ، فاختلف سعد وابن مسعود على قرض استقرضه سعد ــ كما سيأتى ــ فعزل عثمان سعداً وأبقى ابن مسعود . والى هنا لا يوجد

وضربه لعمار افك مثله ، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبداً (٧٣) .

= بين ابن مسعود وخليفته الا الصفو . فلما عزم عثمان على تعميم مصحف واحد فى العالم الاسلامى يجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على أنه هو المصحف الكامل الموافق لآخر عرضة عرض بها كتاب الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته ، كان ابن مسعود يود لو أن كتابة المصحف نيطت به ، وكان يود أيضا لو يبقى مصحفه الذى كان يكتبه لنفسه فيما مضى . فجاء عمل عثمان على خلاف ما كان يوده ابن مسعود فى الحالتين : اما فى اختيار عثمان زيد بن ثابت لكتابة المصحف الموحد فلأن أبا بكر وعمر اختاره قبل ذلك لهذا العمل فى خلافة أبى بكر ، بل ان أبا بكر وعمر اختارا زيد بن ثابت فى البداية لأنه هو الذى حفظ العرضة الأخيرة لكتاب الله على الرسول صلوات الله عليه قبيل وفاته ، فكان عثمان على حق فى هذا ، وهو يعلم كما يعلم سائر الصحابة مكانة ابن مسعود وعلمه وصدق ايمانه .ثم كان على حق أيضا فى غسل المصاحف الأخرى كلها ومنها مصحف ابن مسعود ، لأن توحيد كتابة المصحف على أكمل ما كان فى استطاعة البشر هو من أعظم أعمال عثمان باجماع الصحابة ، وكان جمهور الصحابة فى كل ذلك مع عثمان على ابن مسعود (انظر منهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية ٣ : ١٩١ — ١٩٢) . وعلى كل حال فان عثمان لم يضرب ابن مسعود ولم يمنعه عطاءه ، وبقى يعرف له قدره كما بقى ابن مسعود على طاعته لامامه الذى بايع له وهو يعتقد أنه خير المسلمين وقت البيعة . (خ)

(٧٣) روى الطبرى (٥ : ٩٩) عن سعيد بن المسيب أنه كان بين عمار وعباس بن عتبة بن أبى لهب خلاف حمل عثمان على أن يؤدبهما عليه بالضرب . قلت وهذا مما يفعله ولى الأمر فى مثل هذه الأحوال قبل عثمان وبعده ، وكم فعل عمر مثل ذلك بأمثال عمار ومن هم خير من عمار بما له من حق الولاية على المسلمين . ولما نظم السبأيون حركة الأشاعات ، وصاروا يرسلون الكتب من كل مصر الى الأمصار الأخرى بالأخبار الكاذبة فأشار الصحابة على عثمان بأن يبعث رجالا ممن يثق بهم الى الأمصار حتى يرجعوا اليه بحقيقة الحال ، تناسى عثمان ما كان من عمار وأرسله الى مصر ليكون موضع ثقته فى كشف حالها ، فأبطأ عمار فى مصر ، والتف به السبأيون ليستميلوه اليهم ، فتدارك عثمان وعامله فى مصر هذا الأمر وجيء بعمار الى المدينة مكرماً . وعاتبه عثمان لما قدم عليه فقال له على ما رواه الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق (٧ : ٤٢٩) : « يا أبا اليقظان قذفت ابن أبى لهب أن قذفك . . وغضبت على أن أخذت لك بحقك وله بحقه . اللهم قد وهبت ما بينى وبين أمتى من مظلمة ، اللهم انى متقرب اليك باقامة حدودك فى كل أحد ولا ابالى . أخرج عنى يا عمار » فخرج، فكان اذا لقى العوام نضح عن نفسه وانتفى من ذلك ، واذا لقى من يأمنه أقر

وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن تشتغل بها لأنها مبنية على باطل (٧٤) ، ولا يبنى حق على باطل . ولا تذهب الزمان فى مماشاة الجهال ، فان ذلك لا آخر له .

= بذلك وأظهر الندم . فلامه الناس وهجروه وكرهوه . قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ١٩٢ — ١٩٣) : وعثمان أفضل من كل من تكلم فيه ، هو أفضل من ابن مسعود ، وعمار ، وأبى ذر ، ومن غيرهم من وجوه كثيرة كما ثبت ذلك بالدلائل ، فليس جعل كلام المفضول قادحا فى الفاضل بأولى من العكس . وكذلك ما نقل من تكلم عمار فى عثمان ، وقول الحسن فيه (أى فى عمار) . نقل أن عماراً قال : لقد كفر عثمان كفرة صلعاء . فأنكر الحسن بن على ذلك عليه ، وكذلك على وقال له : يا عمار ، أتكفر برب آمن به عثمان ؟ قال ابن تيمية : وقد تبين من ذلك أن الرجل المؤمن الذى هو ولى لله قد يعتقد كفر الرجل المؤمن الذى هو ولى لله ، ويكون مخطئاً فى هذا الاعتقاد ولا يقدح هذا فى ايمان واحد منهما وولايته . كما ثبت فى الصحيح أن أسيد ابن حضير قال لسعد بن عبادة بحضرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم : انك منافق تجادل عن المنافقين . وكما قال عمر بن الخطاب لحاطب بن ابى بلتعة : دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « انه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقدت غفرت لكم » فعمر أفضل من عمار ، وعثمان أفضل من حاطب ابن أبى بلتعة بدرجات كثيرة ، وحجة عمر فيما قال لحاطب أظهر من حجة عمار ، ومع هذا فكلاهما من أهل الجنة ، فكيف لا يكون عثمان وعمار من أهل الجنة وان قال أحدهما للآخر ما قال . مع أن طائفة من العلماء أنكروا أن يكون عمار قال ذلك . . . ثم قال شيخ الاسلام : وفى الجملة ، فاذا قيل ان عثمان ضرب ابن مسعود أو عماراً فهذا لا يقدح فى أحد منهم . فانا نشهد أن الثلاثة فى الجنة ، وانهم من أكابر أولياء الله المتقين . وان ولى الله قد يصدر عنه ما يستحق عليه العقوبة الشرعية ، فكيف بالتعزير . وقد ضرب عمر بن الخطاب ابىُ بن كعب بالدرة لما رأى الناس يمشون خلفه وقال : « هذا ذلة للتابع وفتنة للمتبوع » . فان كان عثمان ادب هؤلاء ، فاما أن يكون عثمان مصيباً فى تعزيرهم لاستحقاقهم ذلك ، ويكون ذلك الذى عزروا عليه تابوا منه وكفر عنهم بالتعزير وغيره من المصائب أو بحسناتهم العظيمة أو بغير ذلك . واما أن يقال كانوا مظلومين مطلقاً . فالقول فى عثمان كالقول فيهم وزيادة ، فانه أفضل منهم ، وأحق بالمغفرة والرحمة . . الخ . (خ) .

(٧٤) أى على ادعاء الكاذبين أعداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أمير المؤمنين عثمان ضرب عماراً حتى فتق أمعاءه ، وضرب ابن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنعه عطاءه . (خ)

٣ — وأما جمع القرآن ، فتلك حسنته العظمى ، وخصلته الكبرى ، وان كان وجدها كاملة ، لكنه أظهرها ورد الناس اليها ، وحسم مادة الخلاف فيها . وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه حسبما بيناه فى كتب القرآن وغيرها (٧٥) .

روى الأئمة بأجمعهم (٧٦) أن زيد بن ثابت قال : أرسل الىَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة (٧٧) ، فاذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : « ان عمر أتانا فقال : ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وانى أخشى ان

---

(٧٥) قد قمنا بعمل ترجمة جديدة لابن العربى فانظر هذه الكتب مفصلة فيها . (س)

(٧٦) وفى مقدمتهم الامام أحمد فى مسنده (١ : ١٣ الطبعة الأولى — رقم ٧٦ الطبعة الثانية . و ٥ : ١٨٨ — ١٨٩ الطبعة الأولى) . والامام البخارى فى صحيحه (كتاب التفسير ك ٦٥ السورة ٩ ب ٢٠ ج ٥ ص ٢١٠ — ٢١١ . وكتاب فضائل القرآن ك ٦٦ ب ٣ و ٤ ج ٦ ص ٩٨ — ٩٩ . وكتاب الأحكام ك ٩٣ ب ٣٧ ج ٨ ص ١١٨ — ١١٩ . وكتاب التوحيد ك ٩٧ ب ٢٢ ج ٨ ص ١٧٦ — ١٧٧) . (خ)

(٧٧) وذلك لما ارتدت بنو حنيفة برئاسة مسيلمة الكذاب وبتحريض عدو الله الرَّجال بن عنفوة بن نهشل الحنفى . وكانت قيادة المسلمين لسيف الله خالد بن الوليد ، واستشهد فى هذه الملحمة زيد بن الخطاب اخو عمر ، وكان حفظة القرآن من الصحابة يتواصون بينهم ويقولون : يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم . وتحنط خطيب الأنصار وحامل لوائهم ثابت بن قيس ولبس كفنه وحفر لقدميه فى الأرض الى أنصاف ساقيه ولم يزل يقاتل وهو ثابت بالراية فى موضعه حتى استشهد . وقال المهاجرون لسالم مولى أبى حذيفة : أتخشى أن نؤتى من قبلك ؟ فأجاب بئس حامل القرآن أنا اذن ! وقاتل حتى استشهد . وقال أبو حذيفة : زينوا القرآن بالفعال ، وما زال يقاتل حتى أصيب . وممن استشهد يومئذ حزن بن أبى وهب المخزومى جد سعيد ابن المسيب وكان شعار الصحابة يومئذ : وامحمداه ! وصبروا يومئذ صبراً لم يعهد مثله حتى الجأوا المرتدين الى حديقة الموت فاعتصم فيها مسيلمة ورجاله . فقال البراء بن مالك : يا معشر المسلمين القونى عليهم فى داخل الحديقة افتح لكم بابها . فاحتملوه فوق الجحف ورفعوه بالرماح والقوه فى الحديقة من فوق سورها ، فمازال يقاتل المرتدين دون بابها حتى فتحه ودخل المسلمون

يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وانى أرى أن تجمع القرآن . قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر » . قال زيد : قال [لى] أبو بكر : انك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فتتبع القرآن فاجمعه » . فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما [كلفانى وأمرانى] به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال عمر : « هذا والله خير » . فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر . فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال (٧٨) ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع [أبى] خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » حتى خاتمة براءة .

فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر . حتى قدم حذيفة بن اليمان على عثمان (٧٩) ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، [فأفزع] حذيفة اختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى الينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ، ثم نردها

= وكان النصر . وممن اقتحم الحديقة أبو دجانة من مجاهدى بدر حتى وصل الى مسيلمة وعلاه بالسيف فقتله ، وكسرت رجله رضى الله عنه فى تلك الوقعة ثم نال الشهادة . وفى البداية والنهاية (٦ : ٣٣٤ ــ ٣٤٠) أسماء كثيرين من شهداء هذا اليوم العظيم فى الاسلام ، ومنهم حفظة كتاب الله . (خ)

(٧٨) العسب (جمع عسيب) أى جريدة النخل ، وهى السعفة التى لاينبت عليها الخوص . واللخاف (جمع لخفة) وهى حجارة بيض رقاق . كانوا يكتبون عليهما اذا تعذر الورق (خ)

(٧٩) وحديثه عن ذلك فى صحيح البخارى (ك ٦٦ ب ٣ ــ ج ٦ ص ٩٩) عن ابن شهاب الزهرى عن أنس بن مالك . (خ) .

اليك . فأرسلت بها حفصة الى عثمـان ، فأمـر زيـد بن ثابت ، وعبد الله ابن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف (٨٠) .

---

(٨٠) العناية التي بذلها عظيما الاسلام أبو بكر وعمر ، وأتمها أخوهمـا وصنوهما ذو النورين عثمان في جمع القرآن وتثبيته وتوحيد رسمه ، كان لهم بها أعظم المنة على المسلمين ، وبها حقق الله وعده في قوله سبحانه « انا نحـن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » . وقد تولى الخلافة بعد هؤلاء الشـيوخ الثلاثة أمير المؤمنين عليّ فأمضى عملهم وأقر مصحف عثمان برسمه وتلاوته ، في جميع أمصار ولايته . وبذلك انعقد اجماع المسلمين في الصدور الأول على أن ما قام به أبو بكر وعمر وعثمان هو أعظم حسناتهم . بل نقل بعض علمـاء الشيعة هذا الاجماع على لسان أمير المؤمنين على بن أبي طالب . جاء في كتـاب تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني (ص ٤٦) أن على بن موسى المعروف بابن طاوس (٥٨٩ ــ ٦٦٤) وهو من علمائهم نقل في كتابه (سعد السعود) عـن الشهرستاني في مقدمة تفسـيره عن سويد بن علقمـة قال : سمعت عليّ ابن أبي طالب عليه السلام يقول : « أيها الناس ، الله ، الله ، اياكم والغلو في أمر عثمان وقولكم حراق المصاحف ، فوالله ما حرقها الا عن ملأ من أصـحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، جمعنا وقال : ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف الناس فيها ، يلقى الرجل الرجل فيقول قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يجر الى الكفر ؟ فقلنا : ما الرأي ؟ قال : أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد ، فانكم ان اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافا . فقلنا : نعـم ما رأيت » . ومما لا ريب فيه أن البغاة أنفسهم كانوا في خلافة عليّ رضي الله عنه يقرأون في مصاحف عثمان التي أجمع عليها الصحابة وعليّ فيهم . لكن نجم لهم أذناب في العصور التالية فضحوا أنفسهم بسخفهم وكفرهم ، كشـيطان الطاق محمد بن جعفر الرافضي فيما رواه الامام ابن حزم في (الفصل) ٤ : ١٨١ عن الجاحظ قال : أخبرني أبو اسحاق ابراهيم النظام وبشر بن خالد أنهـما قالا لمحمد بن جعفر الرافضي المعروف بشيطان الطاق : ويحك ، أما استحييت من الله أن تقول في كتابك في الامامة : ان الله تعالى لم يقل قط في القرآن « ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » ؟ قالا : فضحك والله شيطان الطاق ضحكا طويلا حتى كأنا نحن الذين أذنبنا . وشيطان الطـاق هذا أكبر دعاة الشيعة في زمن الامامين زيد وابن أخيه جعفر الصادق ، وهو الذي ابتدع أكذوبة أن الامامة معهود بها الى أشخاص بأعيانهم ، ولم يكن أحد يقول بذلك قبل شيطان الطاق هذا . وأنكرها عليه الامام زيد في مجلس جعفر.

ودعوى الرافضة بتبديل القرآن ، مع تصريح عليّ باجماع الصـحابة على ما قام به عثمان ، صارت مادة دسمة لدعاة النصارى يحتجون بها ، فقال لهم

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : « اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم » ففعلوا .

حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصه ، وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة ومصحف أن يحرق .

قال ابن شهاب [٨١] : وأخبرنى خارجة بن زيد بن ثابت أنه سمع زيد ابن ثابت قال : « فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة الأنصارى « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فألحقناها فى سورتها فى المصحف » .

وأما ما روى أنه حرقها أو خرقها ــ بالحاء المهملة أو الخاء المعجمة ، وكلاهما جائز ــ اذا كان فى بقائها فساد ، أو كان فيها ما ليس من القرآن ، أو ما نسخ منه ، أو على غير نظمه ، وقد [٨٢] سلم فى ذلك الصحابة كلهم [٨٣]

=

الامام ابن حزم فى الفصل (٢ : ٧٨) : « ان الروافض ليسوا من المسلمين ... وهى طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى فى الكذب والكفر » . قلت : وآخر من افتضح منهم بهذا الأمر وفضح به الشيعة جميعا حسين بن محمد تقى النورى الطبرسى بكتابه الذى اقترفه فى المشهد المنسوب لأمير المؤمنين على فى النجف سنة ١٢٩٢ وطبع فى ايران سنة ١٢٩٨ وعندى نسخة منه . وان من طبيعة التحزب والتعصب والتشيع أن يذهب بعقول أصحابه وأخلاقهم ، ثم يذهب بحياتهم ودينهم ، كما برهن على ذلك علماء علم النفس الاجتماعى وفى مقدمتهم الدكتور غوستاف لوبون . (خ)

(٨١) فيما رواه عنه الامام البخارى فى صحيحه (ك ٥٦ ب ١٢ ج ٣ ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ ، و ك ٦٤ ب ١٧ ج ٥ ص ٣١ ، و ك ٦٥ السورة ٩ ب ٢٠ والسورة ٣٣ ب ٣ ، و ك ٦٦ و ب٣ و ٤ ، و ك ٩٣ ب ٩٧ ، و ك ٩٧ ب ٢٢) (خ)

(٨٢) فى جميع النسخ [وقد] ، فاصلحها الشيخ محب الخطيب (فقد) ولكنه لم ينص على ذلك (صفحة ٧١) . (س)

(٨٣) ولقد حاول بعض الناس أن يلوموا عثمان رضى الله عنه على أمره باحراق المصاحف فقال لهم على بن أبى طالب رضى الله عنه : لو لم يصنعه

=

الا أنه روى عن ابن مسعود أنه خطب بالكوفة فقال : « أما بعد فان الله قال « ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة » واني غال مصحفي ، فمن استطاع منكم أن يغل مصحفه فليفعل » • وأراد ابن مسعود أن يؤخذ بمصحفه ، وأن يثبت ما يعلم فيه • فلما لم يفعل ذلك له قال ما قال ، فأكرهه عثمان على رفع مصحفه ، ومحا رسومه فلم تثبت له قراءة أبداً ، ونصر الله عثمان والحق بمحوها من الأرض » (٨٤) •

٤ ــ وأما [أمر] الحِمَى ، فكان قديماً (٨٥) ، فيقال ان عثمان زاد فيه

=

عثمان لصنعته أنا ، فجزى الله عثمان عن الأمة خير الجزاء ، فقد أحسن وبر فيما صنع ، وكان له فضل في رد الناس الى قراءة واحدة كفضل أبي بكر في جمع القرآن (راجع الاتقان للسيوطي) • (م) •

(٨٤) عبد الله بن مسعود من كبار علماء الصحابة ومن أجودهم قراءة لكتاب الله • وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة على حسن تلاوة ابن مسعود للقرآن ، فتسارع أبو بكر وعمر ليوصلا اليه البشرى بهذا الثناء النبوي • (انظر مسند أحمد ١ : ٢٥ ــ ٢٦ الطبعة الأولى ــ رقم ١٧٥ الطبعة الثانية) • الا أن ابن مسعود كان يكتب ما يوحى من القرآن في مصحفه كلما بلغه نزول آيات منه ، فهو يختلف في ترتيب هذه الآيات عما امتازت به مصاحف عثمان من الترتيب بحسب العرض الأخير على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقدر ما أدى اليه اجتهاد الصحابة المؤيد باجماعهم • ويحتمل أن يكون ابن مسعود فاته في مصحفه بعض ما استقصاه زيد بن ثابت وزملاؤه من الآيات التي كانت عند آخرين من قراء الصحابة • زد على ذلك أن ابن مسعود كانت تغلب عليه لهجة قومه من هذيل ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم رخص لمثل ابن مسعود أن يقرأوا بلهجاتهم ، ولكن ليس لابن مسعود أن يحمل الأمة في زمنه والأزمان بعده على لهجته الخاصة ، فكان من الخير توحيد (*) الأمة على قراءة كتاب ربها باللهجة المضرية التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم •

(٨٥) كان الشريف في الجاهلية اذا نزل أرضاً في حيه استعوى كلباً ، فحمى لخيله وابله وسوائمه مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره • فلما جاء الاسلام نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا حِمَى الا لله ورسوله » رواه البخاري

=

(*) قال ابن كثير في « فضائل القرآن » : « ادعى الطحاوي والباقلاني وابن عبد البر أن قراءة القرآن على سبع لغات كان رخصة في أول الأمر ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة !! » • (م)

لما زادت الراعية . واذا جاز أصله للحاجة اليه جازت الزيادة لزيادة الحاجة .

٥ ـ وأما نفيه (*) أبا ذر الى الربذة فلم يفعل (٨٦) ، كان أبو ذر زاهدا ،

من حديث الصعب بن جثامة فى كتاب المساقاة (ك ٤٢ ب ١١) وكتاب الجهاد (ك ٥٦ ب ١٤٦) من صحيحه . ورواه الامام أحمد فى مسنده (٤ : ٧١و٧٣ الطبعة الأولى) من حديث الصعب ابن جثامة أيضاً . وقد حمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكاناً يسمى (النقيع) وهو « نقيع الخضمات » كما فى مسند الامام أحمد (٢ : ٩١ و ١٥٥ و ١٥٧ الطبعة الأولى ـ رقم ٥٦٥٥ و ٦٤٣٨ و ٦٤٦٤ الطبعة الثانية) من حديث أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم حمى النقيع للخيل . قال حماد بن خالد راوى هذا الحديث عن عبد الله بن عمر العمرى : يا أبا عبد الرحمن خيله ؟ قال : خيل المسلمين (أى المرصودة للجهاد ، أو ما يملكه بيت المال) . والنقيع هذا فى المدينة على عشرين فرسخاً منها ومساحته ميل فى ثمانية أميال كما فى موطأ مالك برواية ابن وهب . ومعلوم أن الحال استمر فى خلافة أبى بكر على ما كان عليه فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن أبا بكر لم يخرج عن شىء كان عليه الحال فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، لاسيما وأن حاجة الجهاد الى الخيل والابل زادت عن قبل . وفى زمن عمر اتسع الحمى فشمل (سرف) و (الربذة) ، وكان لعمر عامل على الحمى هو مولى له يدعى هنياً ، وفى كتاب الجهاد من صحيح البخارى (ك ٥٦ ب ١٨٠) من حديث زيد بن أسلم عن أبيه نص وصية أمير المؤمنين عمر لعامله هذا على الحمى بأن يمنع نعم الأثرياء كعبد الرحمن بن عوف وعثمان ابن عفان ، وأن يتسامح مع رب الغنيمة ورب الصريمة لئلا تهلك ماشيتهما . وكما اتسع عمر فى الحمى عما كان عليه فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر لزيادة سوائم بيت المال فى زمنه ، اتسع عثمان بعد ذلك لاتساع الدولة وازدياد الفتوح . فالذى أجازه النبى صلى الله عليه وآله وسلم لسوائم بيت المال ، ومضى على مثله أبو بكر وعمر ، يجوز مثله لبيت المال فى زمن عثمان ، ويكون الاعتراض عليه اعتراضاً على أمر داخل فى التشريع الاسلامى . ولما أجاب عثمان على مسألة الحمى عندما دافع عن نفسه على ملأ من الصحابة أعلن أن الذين يلون له الحمى اقتصروا فيه على صدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع ، وانهم ما منعوا ولا نحوا منها أحداً . وذكر عن نفسه انه قبل أن يلى الخلافة كان أكثر العرب بعيراً وشاء ، ثم أمسى وليس له غير بعيرين لحجه . وسأل من يعرف ذلك من الصحابة : أكذلك ؟ قالوا : اللهم نعم . (خ) .

(٨٦) وانما اختار أبو ذر أن يعتزل فى الربذة فوافقه عثمان على ذلك كما سيأتى فى ص ٨٨ ، وأكرمه وجهزه بما فيه راحته . (خ)

(*) : وفى نسخة « د » : بعثه . (س)

وكان يقرّع عمال عثمان ، ويتلو عليهم « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » (التوبة : ٣٤) ، ويراهم يتسعون فى المراكب والملابس حين وجدوا ، فينكر ذلك عليهم ، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم ، وهو غير لازم . قال ابن عمر وغيره من الصحابة [وهو الحق] (*) : ان ما أديت زكاته فليس بكنز (٨٧) . فوقع بين أبى ذر ومعاوية كلام بالشام (٨٨) ، فخرج الى المدينة ، فاجتمع اليه الناس ، فجعل يسلك تلك الطرق ، فقال له عثمان : « لو اعتزلت » . معناه : انك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس . فان للخلطة شروطاً وللعزلة مثلها . ومن كان على طريقة أبى ذر فحاله يقتضى أن ينفرد بنفسه ، أو يخالط ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام فى الشريعة . فخرج الى الربذة زاهداً فاضلا ، وترك جلة فضلاء ، وكل على خير وبركة وفضل ، وحال أبى ذر أفضل ، ولا تمكن لجميع الخلق ، فلو كانوا عليها لهلكوا (٨٩) . فسبحان مرتب المنازل .

(*) زيادة من نسخة « د » . (س)

(٨٧) انظر البيان الفقهى والتفصيل الشرعى لهذه المسألة فى منهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية (٣ : ١٩٨ – ١٩٩) . (خ)

(٨٨) نقل الطبرى (٥ : ٦٦) واكثر المصادر الاسلامية انه لما ورد ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) الشام لقى أبا ذر فقال : يا أبا ذر الا تعجب الى معاوية يقول « المال مال الله ، الا ان كل شيء لله » كأنه يريد ان يحتجنه دون المسلمين ، ويمحو اسم المسلمين . فأتاه أبو ذر فقال : ما يدعوك الى أن تسمى مال المسلمين « مال الله » ؟ قال معاوية : يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره ؟ قال أبو ذر : فلا تقله . قال معاوية : فانى لا أقول انه ليس لله ، ولكن سأقول « مال المسلمين » . وأتى ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) أبا الدرداء ، فقال له (أبو الدرداء) : من أنت أظنك والله يهودياً . فأتى (ابن سبأ) عبد الله بن الصامت ، فتعلق به (ابن الصامت) فأتى به معاوية فقال : هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر . (خ)

(٨٩) الذى تحصل عندى من تتبع نصوص الشريعة فى أمر المال ، ومراقبتى لتطبيق هذه النصوص فى سيرة السلف وعملهم بها ، أن المسلم له فى نفسه وذويه من المال الذى يملكه ما يكفيه ويكفيهم بالمعروف كأمثاله وامثالهم من أهل العفة والقناعة والدين ، وما زاد عن ذلك فعليه أولا أن يؤدى زكاته الشرعية مباشرة بحسب اجتهاده ان لم يكن اداها للحكومة الاسلامية العاملة بأحكام الشرع . وبعد أداء زكاته يكون صاحب المال فى امتحان من الله كيف =

ومن العجب أن يؤخذ عليه فى أمر فعله عمر ، فقد روى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه سجن ابن مسعود فى نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد ، فأطلقهم عثمان ، وكان سجنهم لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٩٠) .

ووقع بين أبى ذر ومعاوية كلام ، وكان أبو ذر يطلق من الكلام ما لم يكن يقوله فى زمان عمر ، فأعلم معاوية بذلك عثمان . وخشى من العامة أن تثور منهم فتنة ، فان أبا ذر كان يحملهم على التزهد وأمور لا يحتملها

=

يحسن التصرف فيه بما يرضى الله ويزيد المسلمين قوة وسعادة وعزاً ، فان كان تاجراً فمن طريق التجارة ، أو مزارعاً فمن طريق الزراعة . أو صاحب مصنع فمن طريق الصناعة . والاسلام فى دور قيامه استفاد من ثروة أغنياء الصحابة عوناً ويسراً وقوة . وتجارة التاجر المسلم اذا اغنت المسلمين عن متاجر اعدائهم تعتبر قوة لهم بقدر ما يصدق صاحبها فى هذه النية ، وكذلك مصنع الصانع المسلم ، وزراعة الزارع المسلم . والنية فى هذه الأمور أمرها عظيم ، وميزانها العمل عندما تمس الحاجة اليه . وبالجملة فان للمسلم أن يكون غنياً بلا تحديد ، بشرط أن يكون ذلك من حله ، وأن يكتفى منه بما يكفيه بالمعروف ، محاولا دائماً أن يحرر نفسه من العبودية والانقياد للكماليات فضلا عن توافه الحضارة وسفاسفها . وبعد أن يؤدى زكاة ما يملك يعتبر مازاد عن حاجته كالأمانة لله تحت يده ، فيتصرف فيه بما يزيد المسلمين ثروة وقوة ويسراً وعزاً وسعادة . اما طريقة أبى ذر فى أن لا يبيت المسلم وعنده مال فليست الآن من مصلحة المسلمين . وطريقة اغنياء المسلمين الآن ــ فى أن يعيشوا لأنفسهم ومتعهم غير مبالين بعزة الاسلام وقوة دولته وحاجة أهله ــ فليست من الاسلام، والاسلام لا يعرف الذين لا يعرفونه . (خ)

(٩٠) فى كتاب الأحكام فى أصول الأحكام لابن حزم (٢ : ١٣٩) خبر مرسل رواه شعبة عن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه (إبراهيم ابن عبد الرحمن ابن عوف) قال : قال عمر لابن مسعود ولأبى الدرداء ولأبى ذر « ما هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » . قال : وأحسبه لم يدعهم أن يخرجوا من المدينة حتى مات . وقد نبه ابن حزم على أن هذا الخبر مرسل ولا يجوز الاحتجاج به ، وعلق عليه الشيخ احمد شاكر بأن البيهقى وافق ابن حزم على أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (المتوفى سنة ٦٦ أو ٦٥ عن ٧٥ سنة) لم يسمع من عمر . ولست أدرى هل اعتمد ابن العربى فى هذه الفقرة على هذا الخبر المرسل أم على خبر آخر لم نطلع عليه » (خ) .

الناس كلهم ، وانما هى مخصوصة ببعضهم ، فكتب اليه عثمان ـ كما قدمنا ـ أن يقدم المدينة ، فلما قدم اجتمع اليه الناس ، فقال لعثمان أريد الربذة (٩١) . فقال له . افعل . فاعتزل . ولم يكن يصلح له الا ذلك لطريقته (٩٢) .

٦ ـ ووقع بين أبى الدرداء ومعاوية كلام . وكان أبو الدرداء زاهداً فاضلا قاضياً لهم (٩٣) فلما اشتد فى الحق ، وأخرج طريقة عمر فى قوم لم يحتملوها عزلوه (٩٤) ، فخرج الى المدينة .

---

(٩١) ولقد ذهب ضحية فرية نفى عثمان أبا ذر الشيخ محمد أبو زهرة فراح يقول فى كتابه « المذاهب الاسلامية » (١/٤٢) : « فشكا « معاوية » « أبا ذر » الى « عثمان » فأحضره الى المدينة ، ثم نفاه الى الربذة » هذا خلاف الحقيقة وقد ثبت لنا ذلك فيما سبق . (م)

(٩٢) ذكر القاضى أبو الوليد بن خلدون فى العبر (بقية ٢ : ١٣٩) أن أبا ذر استأذن عثمان فى الخروج من المدينة وقال : « ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنى أن أخرج منها اذا بلغ البناء سلعا (*) فان له ، ونزل الربذة وبنى بها مسجداً ، وأقطعه عثمان صرمة من الابل ، وأعطاه مملوكين ، وأجرى عليه رزقاً . وكان يتعاهد المدينة . وبين المدينة والربذة ثلاثة أميال ، قال ياقوت : وكانت من أحسن منزل فى طريق مكة .

(٩٣) أى فى دمشق . (خ)

(٩٤) بل ان معاوية نفسه حاول السير على طريقة عمر ، كما نقل ذلك الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٨ : ١٣١) عن محمد بن سعد قال : حدثنا عارم ، حدثنا حماد ابن يزيد ، عن معمر ، عن الزهرى « ان معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه . ثم انه بعد عن ذلك » . وقد يظن من لا نظر له فى حياة الشعوب وسياستها أن الحاكم يستطيع أن يكون كما يريد أن يكون حيثما يكون . وهذا خطأ ، فللبيئة من التأثير فى الحاكم وفى نظام الحكم أكثر مما للحاكم ونظام الحكم (*) من التأثير على البيئة ، وهذا من معانى قول الله عز وجل : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . (خ)

(*) ان هذا الكلام مبالغ فيه ، وقد جاء الاسلام ليطور البيئات المنحرفة ويصلحها ، لا ليتطور معها كالحرباء .. والا كان لا معنى لنزوله !! وهذه حقيقة يجهلها الكثيرون . (م)

(*) قال أبو ذر : « والله ما سير عثمان أبا ذر ! ولكن رسول الله قال : (وذكرت الحديث السابق) فلما بلغ البنيان سلعاً خرج أبو ذر الى الشام . صححه الحاكم ووافقه الذهبى وبهذا الحديث تنهار الدعوى السابقة الى الحضيض !! (م)

وهذه كلها مصالح لا تقدح فى الدين ، ولا تؤثر فى منزلة أحـد مـن المسـلمين بحـال . وأبو الدرداء وأبو ذر [بـراءة] (*) مـن عـاب ، وعثمان برىء أعظم براءة وأكثر نزاهة ، فمن روى أنه نفى وروى سبباً فهو كله باطل .

٧ ـ وأما رد الحكم فلم يصح (٩٥) .

وقال علماؤنا فى جوابه : قد كان أذن له فيه رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم . وقال (أى عثمان) (٩٦) لأبى بكر وعمر ، فقالا له : ان كان معك شهيد رددناه . فلما ولى قضى بعلمه فى رده . وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله صلى الله عليـه وآله وسـلم ولو كان أباه ولا لينقض حكمه (٩٧) .

(*) كذا فى جميع النسخ وقد صححها الشيخ محب الدين هكذا [بريئان] ولم يشر الى ذلك (صفحة ٧٧) . (م)

(٩٥) اى لم يصح زعم البغاة على عثمان أن عثمان خالف فى ذلك ما يقتضيه الشرع . (خ)

(٩٦) كتبها الشيخ محب الدين وليست فى اى من النسخ ولكنه آراد توضيح السياق . (م)

(٩٧) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ١٩٦) : « وقـد طعن كثير من أهل العلم فى نفيه (اى فى نفى النبى صلى الله عليه وآله وسـلم الحكم) وقالوا ذهب باختياره . وقصة نفى الحكم ليست فى الصحاح ، ولا لها اسناد يعرف به أمرها » ثم قال « لم تكن الطلقاء تسكن بالمدينة ، فان كان طرده فانما طرده من مكة لا من المدينة ، ولو طرده من المدينة لكان يرسله الى مكة . وقد طعن كثير من أهل العلم فى نفيه كما تقدم وقالوا : هو ذهب باختياره .. واذا كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد عزر رجلا بالنفى لم يلزم أن يبقى منفياً طول الزمان فان هذا لا يعرف فى شىء من الذنوب ، ولم تأت الشريعـة بذنب يبقى صاحبه منفياً دائماً ... وقد كان عثمان شفع فى عبد الله بن سعد ابن ابى سرح فقبل صلى الله عليه وآله وسلم شفاعته فيه وبايعه ، فكيف لا يقبل شفاعته فى الحكم ، وقد رووا أن عثمان سأله أن يرده فأذن له فى ذلك . ونحن نعلم أن ذنبه دون ذنب عبد الله بن سعد بن أبى سرح . وقصة عبد الله ثابتـة معروفة بالاسناد ، وأما قصة الحكم فانما ذكرت مرسلة ، وقد ذكرها المؤرخون الذين يكثر الكذب فيما يروونه ، فلم يكن هناك نقل ثابت يوجب القدح فيمن هو دون عثمان . والمعلوم من فضائل عثمان ومحبة النبى صلى الله عليه وآله

=

٨ ــ وأما ترك القصر : فاجتهاد ، اذ سمع أن الناس افتتنوا بالقصر ، وفعلوا ذلك فى منازلهم ، فرأى أن السنة ربما أدت الى اسقاط الفريضة ، فتركها [مصلحة] (٩٨) خوف الذريعة (٩٩) . مع أن جماعة من العلمـــاء

=

وسلم له وثنائه عليه وتخصيصه بابنتيه وشهادته له بالجنة وارساله الى مكة ومبايعته له عنه وتقديم الصحابة له فى الخـلافة وشـهادة عمـر وغيره له بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات وهو عنه راض وأمثال ذلك مما يوجب العلم القطعى بأنه من كبار أولياء الله المتقين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه . فلا يدفع هذا بنقل لا يثبت اسناده ولا يعرف كيف وقع ويجعل لعثمان ذنب بأمر لا تعرف حقيقته ... الخ » وانظر أيضاً ٣ : ٢٣٥ ــ ٢٣٦ من منهــاج السنة . ونقل الامام أبو محمد بن حزم فى كتاب (الامامة والمفاضلة) المدرج فى الجزء الرابع من كتابه « الفصل » ص ١٥٤ قول من احتج لعثمان على مــن انكروا ذلك عليه : « ونفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن حداً واجبا ، ولا شريعة على التأبيد ، وانما كان عقوبة على ذنب استحق به النفى ، والتوبة مبسوطة ، فاذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحـد من أهل الاسلام ، وصارت الأرض كلها مباحة » . ونقل مجتهد الزيدية السـيد محمد بن ابراهيم الوزير اليمنى (المتوفى سنة ٨٤٠) فى كتابه الروض الباسم فى الذب عن سنة أبي القاسم (١ : ١٤١ ــ ١٤٢) قول الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلى المتشيع فى كتابه سرح العيون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذن فى ذلك لعثمان .

قال ابن الوزير : ان المعتزلة والشيعة من الزيدية يلزمهم قبـول هــذا الحديث وترك الاعتراض على عثمان بذلك ، لأن راوى الحديث عندهم مــن المشاهير بالثقة والعلم وصحة العقيدة . ثم بسط ابن الوزير الكلام على هـذا الموضوع بحجج واستدلالات استغرقت ثلاث صفحات دفاعاً عن أمير المؤمنين عثمان فى رده الحكم ، وهذه الحجج من احد ائمة الزيدية ومجتهديـن ــ بعـد روايته ذلك الحديث عن الامام المعتزلى المتشيع ــ لها دلالتها الخاصة ، بعـد الذى سمعته من امامى أهل السنة شيخ الاسلام ابن تيمية والقاضى ابن العربى، ومن امام أهل الظاهر ابى محمد بن حزم . (خ)

(٩٨) ب ، ج ، ز بدون هذه الكلمة ولكنها وجدت فى « د » . (م)

(٩٩) كان ذلك فى منى فى موسم الحج سنة ٢٩ . وقد عاتب عبدالرحمن ابن عوف عثمان فى اتمامه الصلاة وهم فى منى ، فاعتذر له عثمان بأن بعض من حج من أهل اليمن وجفاة الناس قالوا فى العام الماضى : ان الصلاة للمقيم ركعتان ، وهذا امامكم عثمان يصلى ركعتين . ثم قال عثمان لعبد الرحمن بن عوف : وقد اتخذت بمكة أهلا (أى انه صار فى حكم المقيم ، لا المسافر) ، فرايت أن اصلى اربعاً لخوف ما اخاف على الناس . ثم خرج عبد الرحمن ابن عوف من

. . . .

=

عند عثمان فلقى عبد الله بن مسعود وخاطبه فى ذلك فقال ابن مسعود : « الخلاف شر (*) قد بلغنى أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابى أربعا » . فقال عبد الرحمن بن عوف : « قد بلغنى أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابى ركعتين . وأما الآن فسوف يكون الذى تقول « يعنى : نصلى معه أربعاً » (الطبرى ٥ : ٥٦ ـ ٥٧) .

(*) قد يعترض معترض ، فيقول : كيف يقول ابن مسعود : « الاختلاف شر » ، والحديث النبوى يقول : « اختلاف امتى رحمة » وللاجابة عن هذا السؤال نقول ان هذا الحديث لا أصل له . ولقد جهد المحدثون فى أن يقفوا له على سند فلم يوفقوا ، حتى قال السيوطى فى « الجامع الصغير » : « ولعله خرج فى بعض كتب الحفاظ التى لم تصل الينا » !

وهذا بعيد عندى اذ يلزم منه أنه ضاع على الأمة بعض أحاديثه صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا مما لا يليق بمسلم اعتقاده . ونقل المناوى عن السبكى أنه قال :

« وليس بمعروف عند المحدثين ، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع » ، وأقره الشيخ زكريا الأنصارى فى تعليقه على تفسير البيضاوى (ق ٢/٩٢) .

ثم ان معنى هذا الحديث مستنكر عند المحققين من العلماء ، فقال العلامة ابن حزم فى « الأحكام فى أصول الأحكام » (٦٤/٥) بعد أن أشار الى أنه ليس بحديث :

« وهذا من أفسد قول يكون ، لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطاً ، وهذا مالا يقوله مسلم ، لأنه ليس الا اتفاق أو اختلاف ، وليس الا رحمة أو سخط » . وقال فى مكان آخر « باطل مكذوب » .

وان من آثار هذا الحديث السيئة أن كثيراً من المسلمين يقرون بسببه الاختلاف الواقع بين المذاهب الأربعة ولا يحاولون أبداً الرجوع بها الى الكتاب والسنة الصحيحة كما امرهم بذلك أئمتهم رضى الله عنهم ، بل ان أولئك ليرون أن مذاهب هؤلاء الأئمة رضى الله عنهم انما هى كشرائع متعددة ! (كما صرح المناوى فى « فيض القدير » (٢٠٩/١) ، يقولون هذا مع علمهم بما بينها من اختلاف وتعارض لا يمكن التوفيق بينها الا برد بعضها المخالف للدليل وقبول البعض الآخر الموافق له ، وهذا مالا يفعلون ! وبذلك فقد نسبوا الى الشريعة التناقض ! وهو وحده دليل على انه ليس من الله عز وجل لو كانوا يتأملون قوله

=

تعالى فى حق القرآن : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) فالآية صريحة فى أن الاختلاف ليس من الله ، فكيف يصح اذن جعله شريعة متبعة ، ورحمة منزلة ؟

وبسبب هذا الحديث ونحوه ظل أكثر المسلمين بعد الأئمة الأربعة الى اليوم مختلفين فى كثير من المسائل الاعتقادية والعملية ؛ ولو انهم كانوا يرون أن الخلاف شر كما قال ابن مسعود وغيره رضى الله عنهم ودلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة لسعوا الى الاتفاق ولأمكنهم ذلك فى أكثر هذه المسائل بما نصب الله تعالى عليها من الأدلة التى يعرف بها الصواب من الخطأ ، والحق من الباطل . ثم عذر بعضهم بعضاً فيما قد يختلفون فيه ، ولكن لماذا هذا السعى وهم يرون أن الاختلاف رحمة ، وان المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة !!

وان شئت أن ترى أثر هذا الاختلاف والاصرار عليه ، فانظر الى كثير من المساجد ، تجد فيها اربعة محاريب يصلى فيها اربعة من الأئمة ! ولكل منهم جماعة ينتظرون الصلاة معه كأنهم اصحاب اديان مختلفة ! وكيف لا وعالمهم يقول : ان مذاهبهم كشرائع متعددة ! يفعلون ذلك وهم يعلمون قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة) رواه مسلم وغيره. ولكنهم يستجيزون مخالفة هذا الحديث وغيره محافظة منهم على المذهب كأن المذهب محترم عندهم ومحفوظ أكثر من أحاديثه عليه الصلاة والسلام !

وجملة القول ان الاختلاف مذموم فى الشريعة ، فالواجب محاولة التخلص منه ما امكن ، لأنه من أسباب ضعف الأمة كما قال تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ، أما الرضا به وتسميته رحمة فخلاف للآيات الكريمة المصرحة بذمة ، ولا مستند له الا هذا الحديث الذى لا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وهنا قد يرد سؤال وهو :

ان الصحابة قد اختلفوا وافاضل الناس ، أفيلحقهم الذم المذكور ؟

وقد أجاب عنه ابن حزم رحمه الله تعالى فقال (٥/٦٧-٦٨) :

« كلا ما يلحق أولئك شيء من هذا ، لأن كل امرىء منهم تحرى سبيل الله ، ووجهته الحق ، فالمخطىء منهم مأجور أجراً واحداً لنيته الجميلة فى ارادة الخير ، وقد رفع عنهم الاثم فى خطأهم لأنهم لم يستعمدوه ولا قصدوه ولا استهانوا بطلبهم ، والمصيب منهم مأجور أجرين ، وهكذا كل مسلم الى يوم القيامة فيما خفى عليه من الدين ولم يبلغه ، وانما الذم المذكور والوعيد المنصوص ، لمن ترك التعلق بحبل الله تعالى وهو القرآن وكلام النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد بلوغ النص اليه وقيام الحجة به عليه ، وتعلق بفلان وفلان

قالوا : ان المسافر مخير بين القصر والاتمام (١٠٠) ؛ واختلف فى ذلك

---

(١٠٠) ما احسن كلام القاضى أبى بكر بأن ترك عثمان رضى الله عنه للقصر فى الصلاة فى السفر « فاجتهاد » وفى الحديث : « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وان اخطأ فله أجر » وعثمان فى هذه المرة قد اخطأ ، نقول ذلك بصراحة ، فان الحق أحق أن يتبع ، وهو مع ذلك مأجور على اجتهاده .

والدليل على خطئه من قول ابن عمر رضى الله عنهما : « صحبت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكان لا يزيد فى السفر على ركعتين ، وأبا بكر وعمر وعثمان كذلك » رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى .

قال الامام الشوكانى : « قوله : وكان لا يزيد فى السفر على ركعتين » فيه ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لازم القصر فى السفر ، ولم يصل فيه تماماً .

وحديث عائشة المتفق عليه : « فرضت الصلاة ركعتين ، فاقرت صلاة السفر ، وأتمت صلاة الحضر » .

وفى هذين الحديثين دليل قوى على أن القصر للوجوب ، لا للندب كما زعم بعضهم .

والى وجوب القصر فى السفر ذهب على وعمر وأكثر علماء السلف وفقهاء الأمصار وعمر بن عبد العزيز وقتادة والحسن . والحنفية . وقال حماد ابن سليمان : يعيد من يصلى فى السفر اربعاً ! وقال مالك : يعيد ما دام فى الوقت .

=

=

مقلداً عامداً للاختلاف داعياً الى عصبية وحمية الجاهلية ؟ قاصدا للفرقة متحرياً فى دعواه برد القرآن والسنة اليها ، فان وافقها النص أخذ به ، وان خالفها تعلق بجاهليته وترك القرآن وكلام النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهؤلاء هم المختلفون المذمومون . وطبقة أخرى وهم قوم بلغت بهم رقة الدين وقلة التقوى الى طلب ما وافق أهواءهم فى قول كل قائل ؛ فهم يأخذون ما كان رخصة فى قول كل عالم ، مقلدين له غير طالبين ما أوجبه النص عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم » .

ويشير فى آخر كلامه الى « التلفيق » المعروف عند الفقهاء ، وهو أخذ قول العالم بدون دليل وانما اتباعاً للهوى أو الرخص ، وقد اختلفوا فى جوازه والحق تحريمه لوجوه لا مجال الآن لبيانها . وتجويزه مستوحى من هذا الحديث وعليه استند من قال : « من قلد عالما لقى الله سالما » ! وكل هذا من آثار الاحاديث الضعيفة ، فكن على حذر منها ان كنت ترجو النجاة (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) . (الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١/٧٠ – ٧٢) . (م) .

الصحابة (١٠١) .

=

والقائلون بأن القصر للندب لا للوجوب لا حجة قاطعة لهم والأحاديث التى يحتجون بها غير صحيحة ومن أراد التحقق من ذلك فليراجع كتاب « نيـل الأوطار » للشوكانى (٣/٢١٣) .

وقد انكر جماعة من الصحابة على عثمان لما أتم بمنى ، وتأولوا له تأويلات، قال ابن القيم : إحسنها انه كان قد تأهل بمنى . والمسافر اذا أقام بموضع وتزوج فيه ، أو كان له زوجة أتم . وقد روى أحمد عن عثمان أنه قال : أيها الناس لما قدمت تأهلت بها . وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « اذا تزوج رجل ببلد فليصل به صلاة مقيم » وقد اعل البيهقى هـذا الحديث بانقطاعه وفى اسناده عكرمة بن ابراهيم وهو ضعيف كما قال البيهقى . قال فى الفتح : هذا حديث لا يصح لأنه منقطع ، وفى رواته من لا يحتج به . وكذلك لا يصح ما نسب الى عثمان أنه انما ترك القصر خشية من أن يظن بعض الأعراب ان الصلاة للمقيم ركعتين (راجع هامش ص ٦٤) .

واذا صح أن عائشة رضي الله عنها تأولت ما تأول عثمان رضى الله عنه فكان يصلى فى السفر أربعاً فيصدق عليها ما سبق وقلناه فى عثمان رضى الله عنـه من انها اجتهدت فأخطأت كما أخطأ الخليفة الراشـد . والعصـمة للأنبيـاء فقط . (م)

(١٠١) نقـل محمـد بن يحيى الأشعرى المالكى المعـروف بابن بكر (٦٧٤ ــ ٧٤١) فى كتابه (التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان) وهو مـن مخطوطات دار الكتب المصرية (برقم ٢٣ تاريخ) أنه روى عـن جماعة مـن الصحابة اتمام الصلاة فى السفر ، منهم عائشة وسلمان وأربعـة عشر مـن الصحابة . وفى أبواب التقصير من صحيح البخارى (ك ١٨ ب ٥ ــ ج ٢ ص ٣٦) حديث الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت : « الصلاة أول ما فرضت ركعتان ، فأقرت صلاة السفر ، وأتمت صلاة الحضر » قال الزهرى فقلت لعروة : ما بال عائشة تتم ؟ قال تم تأولت ما تأول عثمان . وفى مسـند احمد (٤ : ٩٤) عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال : لما قدم علينا معاوية حاجاً قدمنا معه مكة ، فصلى بنا الظهر ركعتين ، ثم انصرف الى دار الندوة . وكان عثمان حين أتم الصلاة اذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء الآخـرة أربعا أربعا ، فاذا خرج الى منى وعرفات قصر الصلاة ، فاذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتم الصلاة حتى يخرج من مكة . فلما صلى بنا (أى معاوية) الظهر ركعتين نهض اليه مروان وعمر بن عثمان فقالا له : ما عاب أحد ابن عمك بأقبح مما عبته . قال لهما : وما ذاك ؟ فقالا له : الم تعلم انه أتم الصلاة بمكة (فذكرهما أنه صلاهما مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وعمر) قالا : فان ابن عمك كان أتمها (والظاهر ان معاوية رأى أن القصر رخصة ، وأن المسافر على التخيير ، فصلى العصر أربعا) . (خ)

٩ ــ وأما معاوية : فعمر ولاه ، وجمع له الشامات كلها ، وأقره عثمان. بل انما ولاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، لأنه ولى أخاه يزيد ، واستخلفه يزيد ، فأقره عمر لتعلقه بولاية أبى بكر لأجل استخلاف واليه له ، فتعلق عثمان بعمر وأقره . فانظروا الى هذه السلسلة ما أوثق عراها ، [وأقدر سردها (١٠٢)] ولن يأتى مثلها بعدها أبداً (١٠٣) .

---

(١٠٢) سقطت من طبعة الشيخ محب الدين الخطيب ولكنها موجودة في المخطوطات وأثبتها الدكتور عمار طالبى . (س) .

(١٠٣) انما بلغت دولة الاسلام فى خلافة أبى بكر وعمر الذروة فى العزة ، وكانت مضرب الأمثال فى الفلاح الانسانى وسعادة المجتمع ، لأن أبا بكر وعمر كانا يكتشفان بنور الله عز وجل كوامن السجايا فى أهلها وعناصر الرجولة فى الرجال ، فيوليانهم القيادة ، ويبوئانهم مقاعد السيادة ، ويأتمنانهم على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهما يعلمان أنهما مسئولان عن ذلك بين يدى الله عز وجل . وقد رايت أن يزيد بن أبى سفيان وأخاه معاوية كانا من رجال دولة أبى بكر الصديق الذين اختارهم لحمل أعباء الأمة فى حربها وسلمها فأحسن بذلك كل الاحسان . ولما ولى يزيد قيادة أحد جيوشه خرج معه أبو بكر يشيعه ماشياً (الطبرى ٤ : ٣٠) . ومعاوية مذكور فى التاريخ بعد اخيه يزيد لأنه أصغر منه سنا ، لا لأنه أقل منه فى استكمال صفات القيادة والسيادة . وقبل أن يكون معاوية من رجال الدولتين البكرية والعمرية كان أحد الذين استعملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعان بهم ، وكان يدعوه لذلك فى بعض الأحيان ــ ومعاوية يأكل ــ ويلح فى دعوته ويرسل اليه المرة بعد المرة يستعجله فى المجيء اليه . فالنبى صلى الله عليه وآله وسلم ولى معاوية شيئاً من عمله قبل أن يوليه أبو بكر وعمر ، وولى يزيد بن أبى سفيان أيضاً كما فى فتوح البلدان للبلاذرى (ص ٤٨ طبع مصر سنة ١٣٥٠) . والذين يضطغنون البغضاء والحقد لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولاسيما بنى أمية منهم لم يستطيعوا أن ينكروا أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم استعمل معاوية فى الكتابة له فقالوا إنه كان يكتب له ولكنه لم يكن يكتب الوحى . وهم يقولون هذا بوحى أوحى اليهم من الشيطان ، وليس فى يدهم نص تاريخى أو دليل شرعى يرجعون اليه ، فميزوا بين أمور لا حجة لهم فى التمييز بينها . والنبى صلى الله عليه وآله وسلم لو كان يميز بين كتبته فى أمور دون أمور لتواتر ذلك عنه ولنقله الناقلون كما وقع فيما هو أقل من هذا شأناً . سألنى مرة أحد شباب المسلمين ممن يحسن الظن برأيى فى الرجال : ما تقول فى معاوية ؟ فقلت له : ومن أنا حتى أسأل عن عظيم من عظماء هذه الأمة وصاحب من خيرة أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ إنه مصباح من مصابيح =

الاسلام ، لكن هذا المصباح سطع الى جانب أربع شموس ملأت الدنيا بأنوارها فغلبت انوارها على نوره . نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٨ : ١٣٣) عن الليث بن سعد (وهو امام مصر وعالمها ورئيسها المتوفى سنة ١٧٥) قال : حدثنا بكير (وهو ابن عبد الله الأشج المدنى المصرى المتوفى سنة ١٢٧ قال عنه الامام النسائى : ثقة ثبت) عن بسر بن سعيد المدنى (المتوفى سنة ١٠٠ قال عنه ابن معين : ثقه . وقال عنه الليث بن سعد : كان من العباد المنقطعين أهل الزهد فى الدنيا والورع) أن سعد بن أبى وقاص (أحد العشرة المبشرين المبشرين بالجنة) قال : « ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب » يعنى معاوية . وروى ابن كثير أيضاً (٨ : ١٣٥) عن عبد الرزاق ابن همام الصنعانى أحد الأئمة الأعلام الحفاظ (وكان ينسب الى التشيع) ، عن معمر بن راشد أبى عروة البصرى ثم اليمانى وكان أحد الأعلام ، عن همام ابن منبه الصنعانى وكان ثقة قال : سمعت ابن عباس يقول : « ما رأيت رجلا اخلق بالملك من معاوية » . وهل يكون الرجل أخلق الناس بالملك الا أن يكون عادلا حكيما حليما ، يحسن الدفاع عن ملكه ، ويستعين الله فى نشر دعوة الله فى الممالك الأخرى ، ويقوم بالأمانة فى الأمة التى ائتمنه الله عليها ؟ والذى يكون اخلق الناس بالملك هل يلام عثمان على توليته ؟ ويا عجباً كيف يلام عثمان على توليته وقد ولاه من قبله عمر ، وتولى لأبى بكر من قبل عمر ، وتولى بعض عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن تصير الخلافة الى أبى بكر وعمر وعثمان . ان المخ الذى يعبث به الشيطان فيسول له مثل هذه الوساوس لا شك انه مخ فاسد ، يفسد على الناس عقولهم ومنطقهم قبل أن يفسد عليهم دينهم وتاريخهم ، فمن الواجب على محبى الحق والخير أن يتحاموا كل من يحمل فى رأسه مثل هذا المخ كما يتحامون المجذوم . روى الامام الترمذى عن أبى ادريس الخولانى من كبار علماء التابعين وأعلم أهل الشام بعد أبى الدرداء أن عمر ابن الخطاب لما عزل عمير بن سعد الأنصارى الأوسى عن حمص وولى معاوية ، قال الناس : عزل عميراً وولى معاوية (قال البغوى فى معجم الصحابة : وكان عمير يقال له « نسيج وحده » . قال ابن سيرين : ان عمر كان يسميه بذلك لاعجابه به . وكان عمير من الزهاد) فقال عمير : لا تذكروا معاوية الا بخير ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « اللهم اهد به » . ويروى أن الذى شهد هذه الشهادة لمعاوية أمير المؤمنين عمر ، فان كان هو الذى شهدها له وروى دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاوية بأن يهدى الله به فذلك أمر عظيم لعظم مكانة عمر . وان كان الذى شهد بذلك عمير ابن سعد الأنصارى مع أنه هو المعزول بمعاوية عن ولاية حمص فان ذلك لا يقل عظمة عما لو كانت الشهادة لمعاوية من عمر . وقد علمت أن عميرا من أصحاب

١٠ ـ وأما عبد الله بن كريز فولاه ـ كما قال ـ لأنه كريم العمات والخالات (١٠٥) .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه من زهاد الأنصار . قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣ : ١٨٩) : وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة ، وكان رعيته يحبونه ، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم . وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » . ولم يتسع المقام هنا لأكثر من هذا ، وسنكمل الصورة الحقيقية لمعاوية عند ذكر خلافته لتعلم الى أي حد كنا مخدوعين بأكاذيب أعداء الصدر الأول للاسلام . هذا قطعة من حديث صحيح كما سنرى فيما بعد . (خ)

(١٠٤) هو عبد الله بن عامر بن كريز توفي سنة ٥٩ هـ / ٦٧٨ على أصح الروايات (الذهبي : العبر ٦٧/١) . (س)

(١٠٥) هو عبشمي الآباء ، هاشمي الخؤولة . فان أم أبيه أروى بنت كريز أمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ولما ولد أتي به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لبني عبد شمس : « هذا أشبه بنا منه بكم » ثم تفل في فيه فازدرده ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أرجو أن يكون مسقياً (*) » ، فكان لا يعالج أرضاً الا ظهر منها الماء . ونشأ سخياً كريماً شجاعاً ميمون النقيبة كثير المناقب : افتتح خراسان كلها ، وأطراف فارس ، وسجستان ، وكرمان حتي بلغ أعمال غزنة ، وقضى على يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس . ويعتقد الايرانيون أن سلسلة ملوكهم بدأت بآدمهم الذي يسمونه (جيومرت) فلم يزل ملك أولاده منتظماً على سياق الى أن كان القضاء الأخير عليه بسلطان الاسلام في خلافة أمير المؤمنين عثمان بجهاد هذا العبشمي الآباء الهاشمي الخؤولة عبد الله بن عامر بن كريز . وهي حرقة في قلوب أهل النزعة المجوسية على الاسلام ، وعلى عثمان وابن كريز ، فهم يحقدون على هؤلاء ويحاربونهم الى اليوم بسلاح الكذب ، والبغض ، والدسائس ، وسيستمر ذلك الى يوم القيامة . أما صادقو الاسلام ممن انجبت ايران أيام كانت شافعية المذهب ، ولما كان ينبغ منها علماء السنة المحمدية قبل ذلك ، وفيهم كبار الأئمة والمحدثون والفقهاء ، فقد نزهوا قلوبهم عن أن يكون فيها غل للذين آمنوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم حتى فتح الله الأقطار على أيديهم ، وهدى الأمم بسببهم ، فهم يحبونهم ويجلونهم على أقدارهم . ونحن لا ندعي العصمة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله

(*) روى ابن عبد البر ـ كما جاء في الاصابة لابن حجر ـ نحو هذين الحديثين .

١١ ــ وأما تولية الوليد بن عقبة [فلأن] الناس ــ على فساد النيات ــ أسرعوا الى السيئات قبل الحسنات . فذكر [الاسفرائيون] [١٠٦] أنه انما ولاه للمعنى الذى تكلم به . قال عثمان : ما وليته لأنه أخى [١٠٧] ، وانما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتوأمة أبيه . وسيأتى بيانه ان شاء الله [١٠٨] .

= وسلم ونتوقع الخطأ من كل إنسان صحابياً كان أو من التابعين أو الذين يتبعونهم باحسان . ولكن الذين ملأوا الدنيا بالحسنات كأنها الجبال ، فان الذى يعمى عنها ، ويدس انفه فى مرمى القاذورات ليستخرج منها ما يذم العظماء به ، وان لم يجد يختلق ويكذب ، فان من كرامة المسلم على نفسه ان يترفع عن الاصغاء لأمثال هؤلاء والانخداع لهم . ودع عنك فتوح عبد الله ابن عامر بن كريز التى وصلت إلى اقصى المشارق ، وتقويضه آخر امل للامبراطورية المجوسية ، فان حسناته الانسانية أيضاً جديرة بالتسجيل . قال ابن كثير فى البداية والنهاية (٨ : ٨٨) انه « أول من اتخذ الحياض بعرفة لحجاج بيت الله الحرام واجرى اليها الماء المعين » . وقال عنه شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ١٨٩ ــ ١٩٠) : « ان له من الحسنات والمحبة فى قلوب الناس مالاينكر » . ومثل هؤلاء الرجال لو كانوا من سلف الانكليز أو الفرنسيين لخلدوا عظمتهم فى كتب الدراسة والثقافة والتهذيب ، فتهافتت وزارات معارفنا على نقل ذلك الى كتبنا المدرسية ، ليؤمن جيلنا بعظمة اسلاف المستعمرين . أما عظمة اسلافنا نحن فقد سلط الشيطان عليها قلوباً فاسدة تفيض بالسوء ، وصدق اكاذيبها الأكثرون منا ، فأمسينا كالأمة التى لا مجد لها ، بينما هى نائمة على تراث من المجد لا تحلم الانسانية بمثله . (م)

(١٠٦) وكتبها الشيخ محب الخطيب (الافترائيون) ــ ولكنها ليست فى أى من المخطوطات الثلاثة . (س) .

(١٠٧) هو أخوه لأمه اروى بنت كريز ، وامها البيضاء بنت عبد المطلب ابن هاشم . (خ)

(١٠٨) قد يظن من لا يعرف صدر هذه الأمة أن أمير المؤمنين عثمان جاء بالوليد بن عقبه من عرض الطريق فولاه الكوفة . أما الذين انعم الله عليهم بنعمة الأنس بأحوال ذلك العصر وأهله فيعلمون ان دولة الاسلام الأولى من خلافة أبى بكر تلقفت هذا الشاب الماضى العزيمة الرضى الخلق الصادق الايمان فاستعملت مواهبه فى سبيل الله الى أن توفى أبو بكر ، وأول عمل له فى خلافة أبى بكر أنه كان موضع السر فى الرسائل الحربية التى دارت بين الخليفة وقائده خالد بن الوليد فى وقعة المذار مع الفرس سنة ١٢ (الطبرى ٤ : ٧) ، ثم وجهه مدداً الى قائده عياض بن غنم الفهرى (الطبرى ٤ : ٢٢) ، وفى سنة ١٣ كان

والولاية اجتهاد [١٠٩] ، وقد عزل عمر سعد بن أبي وقاص وقدم أقل

=

الوليد يلي لأبي بكر صدقات قضاعة ، ثم لما عزم الصديق على فتح الشام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص في الحرمة والثقة والكرامة ، فكتب الى عمرو بن العاص والى الوليد بن عقبة يدعوهما لقيادة فيالق الجهاد ، فسار ابن العاص بلواء الاسلام نحو فلسطين وسار الوليد بن عقبة قائداً الى شرق الأردن (الطبرى ٤ : ٢٩ — ٣٠) . ثم رأينا الوليد في سنة ١٥ اميراً على بلاد بني تغلب وعرب الجزيرة (الطبرى ٤ : ١٥٥) يحمى ظهور المجاهدين في شمال الشام لئلا يؤتوا من خلفهم ، فكانت تحت قيادته ربيعة وتنوخ مسلمهم وكافرهم . وانتهز الوليد بن عقبة فرصة ولايته وقيادته على هذه الجهة التي كانت لا تزال مليئة بنصارى القبائل العربية فكان — مع جهاده الحربي وعمله الاداري — داعياً الى الله يستعمل جميع أساليب الحكمة والموعظة الحسنة لحمل نصارى اياد وتغلب على ان يكونوا مسلمين كسائر العرب . وهربت منه اياد الى الانضول وهو تحت حكم البيزنطيين ، فحمل الوليد خليفته عمر على كتابة كتاب تهديد الى قيصر القسطنطينية بأن يردهم الى حدود الدولة الاسلامية . وحاولت تغلب أن تتمرد على الوليد في نشره الدعوة الاسلامية بين شبابها واطفالها فغضب غضبته المضرية المؤيدة بالايمان الاسلامي ، وقال فيهم كلمته المشهورة :

اذا ما عصبت الراس مني بمشوذ   فغيّك مني تغلب ابنة وائل

وبلغت هذه الكلمة عمر ، فخاف أن يبطش قائده الشاب بنصارى تغلب فيفلت من يده زمامهم في الوقت الذي يحاربون فيه مع المسلمين حمية للعروبة، فكف عنهم يد الوليد ونحاه عن منطقتهم . وبهذا الماضي المجيد جاء الوليد في خلافة عثمان فتولى الكوفة له ، وكان من خير ولاتها عدلا ورفقاً واحساناً ، وكانت جيوشه مدة ولايته على الكوفة تسير في آفاق الشرق فاتحة ظافرة موفقة على ما سنذكره فيما بعد . (خ)

(١٠٩) للمؤلف في أواخر هذا الكتاب فصل عنوانه (نكتة) أشار فيه الى المعاني والحقائق التي يلاحظها ولي الأمر عند « اجتهاده » في تولية الولاة وعزلهم، وذلك لفقه عظيم ومعارف بديعة بيّنها ائمة الاسلام وعلماؤه في الفصول التي عقدوها للامامة وسياسة الدولة في كتبهم المصنفة في أصول الدين . وقد زعم طاغية الشيعة ومدلسهم الحسن ابن المطهر الحلي في كتابه منهاج الكرامة أن عثمان ولي أمور المسلمين من لا يصلح للولاية ، فأجابه شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣ : ١٧٣ — ١٧٦) ان علياً رضي الله عنه ولي زياد بن ابي سفيان وولي الأشتر النخعي وولي محمد بن ابي بكر وأمثال هؤلاء ، ولايشك عاقل ان معاوية بن ابي سفيان كان خيراً من هؤلاء كلهم . قال : ومن العجب أن الشيعة ينكرون على عثمان أنه ولي أقاربه من بني أمية ، ومعلوم ان علياً ولي

=

منه درجة[110] .

اقاربه من قبل أبيه وأمه فولى عبد الله بن عباس على اليمن ، وولى على مكة والطائف قثم بن العباس ، وأما المدينة فقيل انه ولى عليها سهل بن حنيف وقيل ثمامة ربيبه محمد بن أبى بكر الذى رباه فى حجره (لأنه تزوج أمه بعد وفاة أبى بكر وكان محمد صغيراً) . ثم ان الامامية تدعى أن عليا نص على أولاده فى الخلافة — أو على ولده ، وولده على ولده الآخر وهلم جرا — ومن المعلوم ان كان تولية الأقربين منكراً ، فتولية الخلافة العظمى أعظم من امارة بعض الأعمال ... واذا قال القائل : لعلى حجة فيما فعله ، قيل له : وحجة عثمان فيما فعله أعظم . واذا ادعى لعلى العصمة ونحوها مما يقطع عنه ألسنة الطاعنين ، كان ما يدعى لعثمان « الاجتهاد » الذى يقطع ألسنة الطاعنين أقرب الى المعقول والمنقول ... ثم قال : ان بنى أمية كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستعملهم فى حياته ، واستعملهم بعده من لا يتهم بقرابة فيهم : أبو بكر وعمر ، ولا تعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من بنى عبد شمس ، لأنهم كانوا كثيرين ، وكان فيهم شرف وسؤدد ، فاستعمل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى عزة الاسلام على أفضل الأرض : مكة عتاب بن أسيد ابن أبى العاص بن أمية ، واستعمل على نجران أبا سفيان بن حرب بن أمية ، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص على صدقات بنى مذحج وعلى صنعاء واليمن حتى مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واستعمل عثمان ابن سعيد بن العاص على تيماء وخيبر وقرى عرينة ، واستعمل أبان بن سعيد ابن العاص على بعض السرايا ثم استعمله على البحرين فلم يزل عليها بعد العلاء ابن الحضرمى (حليف بنى أمية) حتى توفى النبى صلى الله عليه وآله وسلم . فيقول عثمان : أنا لم أستعمل الا من استعمله النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومن جنسهم ومن قبيلتهم ، وكذلك أبو بكر وعمر بعده ... فكان الاحتجاج على جواز الاستعمال من بنى أمية بالنص الثابت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أظهر عند كل عاقل من دعوى كون الخلافة فى واحد معين من بنى هاشم بالنص ، لأن هذا كذب باتفاق أهل العلم بالنقل ، وذلك صدق باتفاق أهل العلم بالنقل (وانظر أيضاً منهاج السنة ٣ : ٢٣٦ — ٢٣٧) . والذى يستعرض حياة عمال عثمان وجهادهم وفضائلهم يراهم فى الذروة العليا من رجال الدولة ، ولا يتردد فى أنهم من بناة الأساس الأقوم فى مجد الاسلام الادارى والعسكرى ، ولهم ثواب نتائجه فى الفتوح وانتشار دعوة الاسلام بما يعده التاريخ من معجزاته الخارقة للعادات . (خ)

(١١٠) كان ذلك سنة ٢١ ، والذين تولوا بعد سعد : عبد الله بن عبد الله

١٢ — وأما قول [القائل] فى مروان والوليد فشديد عليهم ، وحكمهم عليهما بالفسق فسق منهم .

مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين . أما الصحابة فان سهل بن سعد الساعدى روى عنه[111] . وأما التابعون فأصحابه فى السن ، وان [كان] جازهم باسم الصحبة فى أحد القولين[112] وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه ، واعتبار [خلافه][113] ، والتلفت

= ابن عتبان (وفى زمانه كانت وقعة نهاوند) ثم زياد بن حنظلة (وألح فى الاستعفاء فأعفى) وولى بعدهما عمار بن ياسر (الطبرى ٤ : ٢٤٦ وما قبلها) . (خ)

(١١١) وروايته عنه فى صحيح البخارى وغيره . (خ)

(١١٢) وفى طليعة من روى عنه من كبار التابعين زين العابدين على ابن الحسين السبط ، نص على ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ١٢٣) ، والحافظ بن حجر فى الاصابة ، وترى تفصيله فى طبقات الشافعية الكبرى للتاج السبكى فى ترجمة اللغوى الشهير أبى منصور محمد بن أحمد ابن الأزهر صاحب تهذيب اللغة (٢٨٢ — ٣٧٠) . وممن نص الحافظ ابن حجر على روايتهم عن مروان : سعيد بن المسيب رأس علماء التابعين ، واخوانه من الفقهاء السبعة أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وعروة بن الزبير ، وأضرابهم كعراك بن مالك الغفارى المدنى فقيه أهل دهلك وكان يصوم الدهر ، وكعبد الله ابن شداد بن الهاد أحد الرواة عن عمر وعلى ومعاذ . وان رواية عروة بن الزبير عن مروان فى مسند الامام أحمد (الطبعة الأولى ٤ : ٣٢١ و ٣٢٣ و ٣٢٦ و ٣٢٨ و ٥ : ١٨٩) . ورواية عراك عن مروان نقلها امام أهل مصر الليث بن سعد عن يزيد بن حبيبة فى مسند أحمد (٤ : ٣٢٨) . ورواية عبد الله بن شداد بن الهاد عن مروان فى مسند أحمد (٦ : ٣١٧ و ٣٢٣) . والذى يتأمل فى الأحاديث المروية عن مروان يجد حملتها من الأئمة الثقات تسلسلت روايتهم عنه مدة جيلين وأكثر وكلهم أعلى مرتبة فى الاسلام من الذين يبردون الغل الذى فى قلوبهم بالطعن فى مروان ومن هو خير من مروان ، بل فى رواة أحاديث مروان عبد الرزاق امام أهل اليمن وكانت فيه نزعة تشيع . وفى مسند أحمد (٦ : ٣١٢) حديث عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أنه كان رسول مروان الى أم المؤمنين أم سلمة فى تحقيق بعض الأحكام الشرعية ، وفى ٦ : ٢٩٩ من مسند أحمد نموذج لعظيم عناية مروان بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتقصى ما يمكن أن يصدر عن أئمة المسلمين وأمرائهم . (خ)

(١١٣) فى ب ، ج ، د : خلافته (س) .

الى فتواه ، والانقياد الى روايته . وأما السـفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم (١١٤) .

وأما الوليد فقد روى بعض المفسرين أن الله سماه فاسـقاً فى قوله : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة » (الحجرات : ٦) فانها ــ فى قولهم ــ نزلت فيه ، أرسله النبى صلى الله عليه وآله وسلم الى بنى المصطلق ، فاخبر عنهم أنهم أرتدوا ، فأرسل رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم اليهم خالد بن الوليد فتثبت فى أمرهم فبين بطلان قوله . وقـد اختلف فيه ، فقيل : نزلت فى ذلك (١١٥) ، وقيل : فى على ، والوليد فى قصة

(١١٤) ومن غريب امر هؤلاء البغاة والمفترين انهم يحملون على مـروان ويتهمونه بمختلف التهم ، وهو منها براء . وقد وقع أسيراً يوم الجمل فى أيدى اصحاب على رضى الله عنه ، فلم يمسه احد بسوء ، لا باذن على ، ولا بغـير اذنه . (م) .

(١١٥) كنت فيـما مضى أعجب كيف تكون هـذه الآية نزلت فى الوليـد ابن عقبة ، ويسميه الله فاسقاً ، ثم تبقى له فى نفس خليفتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابى بكر وعمر المكانة التى سجلها له التاريخ واوردنا الأمثلة عليها فى هامش ص ٩٨ عند استعراضنا ماضيه فى بضعة عشر عاماً قبل أن يوليه عثمان الكوفة . ان هذا التناقض ــ بين ثقة ابى بكر وعمر بالوليد بن عقبة ، وبين ما كان ينبغى أن يعامل به لو أن الله سماه فاسقاً ــ حملنى على الشـك فى أن تكون الآية نزلت فيه ، لا استبعاداً لوقوع امر من الوليد يعد به فاسقاً ، ولكن استبعاداً لأن يكون الموصوم بالفسق فى صريح القرآن محل الثقة مـن رجلين لا نعرف فى أولياء الله عز وجل بعد رسوله صلى الله عليه وآله وسـلم من هو اقرب الى الله منهما . وبعد أن ساورنى هذا الشـك اعدت النظـر فى الأخبار التى وردت عن سبب نزول الآية « ان جاءكم فاسق بنبأ . . . » ، فلما عكفت على دراستها وجدتها موقوفة على مجاهد ، او قتادة ، او ابن ابى ليلى ، او يزيد بن رومان ، ولم يذكر أحد منهم اسماء رواة هذه الأخبار فى مدة مائة سنة او اكثر مرت بين أيامهم وزمن الحادث ، وهذه المائة من السنين حافلة بالرواة من مشارب مختلفة ، وان الذين لهم هوى فى تسوىء سمعة مثل الوليد ومن هم اعظم مقاماً من الوليد قد ملأوا الدنيا أخباراً مريبة ليس لها قيمـة علمية . وما دام رواة تلك الأخبار فى سبب نزول الآية مجهولين من علماء الجرح والتعديل بعد الرجال الموقوفة هذه الأخبار عليهم ، وعلماء الجرح والتعـديل لا يعرفون من امرهم حتى ولا اسماءهم ، فمن غير الجائز شرعاً وتاريخاً الحكم بصحة هذه الأخبار المنقطعة التى لا نسب لها . وهنالك خبران موصـولان =

أخرى . وقيل : ان الوليد سيق يوم الفتح في جملة الصبيان الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمسح رؤوسهم وبرك عليهم ، الا هو فقال : انه كان على رأسي خلوق ، فامتنع [صلى الله عليه وآله وسلم] (١١٦) من مسه . فمن يكون في مثل هذه السن يرسل مصدقا (١١٧) .

=

احدهما عن أم سلمة زعم موسى بن عبيد انه سمعه من ثابت مولى أم سلمة . وموسى بن عبيدة ضعفه النسائي وابن المديني وابن عدي وجماعة . وثابت المزعوم انه مولى أم سلمة ليس له ذكر في كل ما رجعت اليه من كتب العلم ، فلم يذكر في تهذيب التهذيب ولا في تقريب التهذيب ولا في خلاصة تهذيب الكمال، بل لم اجده ولا في تقصي الاتهام اعني (ميزان الاعتدال) و (لسان الميزان) . وذهبت الى مجموعة احاديث أم سلمة في مسند الامام أحمد فقرأتها واحداً واحداً فلم أجد فيها هذا الخبر ، بل لم أجد لأم سلمة اى خبر ذكر فيه اسم مولى لها يدعى ثابت . زد على كل هذا ان أم سلمة لم تقل في هذا الخبر ــ ان صح عنها ، ولا سبيل الى ان يصح عنها ــ ان الآية نزلت في الوليد ، بل قالت ــ اى قيل على لسانها ــ « بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (رجلا) في صدقات بني المصطلق » . والخبر الثاني الموصول رواه الطبري في التفسير عن ابن سعد عن أبيه عن عمه عن أبيه عن أبيه عن ابن عباس . والطبري لم يلق ابن سعد ولم يأخذ عنه ، لأن ابن سعد لما توفى ببغداد سنة ٢٣٠ كان الطبري طفلا في السادسة من عمره ولم يخرج الى ذلك الحين من بلده آمل في طبرستان لا الى بغداد ولا لغيرها . وابن سعد وان كان في نفسه من أهل العدالة في الدين والجلالة في العلم ، الا أن هذه السلسلة من سلفه يجهل علماء الجرح والتعديل اسماء اكثرهم فضلا عن أن يعرفوا شيئاً من احوالهم ، فكل هذه الاخبار من أولها الى آخرها لا يجوز أن يؤاخذ بها ، مجاهد كان موضع ثقة ابي بكر وعمر ، وقام بخدمات للاسلام يرجى له بها اعظم المثوبة ان شاء الله . اضف الى كل ما تقدم انه في الوقت الذي حدثت فيه لبني المصطلق الحادثة التي نزلت فيها الآية كان الوليد صغير السن كما سيأتي في الفقرة التالية . (خ)

(١١٦) زيادة من عمل الشيخ محب الدين الخطيب لتوضيح السياق ــ ولكنها ليست في اى من المخطوطات الثلاثة (س) ..

(١١٧) هذا الحديث عن سن الوليد بن عقبة يوم فتح مكة رواه الامام احمد في مسنده (٤ : ٣٢ الطبعة الأولى) عن شيخ له هو فياض بن محمد الرقي عن جعفر بن برقان الرقي عن ثابت بن الحجاج الكلابي الرقي عن عبد الله الهمداني وهو (عبد الله بن مالك ابن الحارث) عن الوليد بن عقبة ، والظاهر ان الوليد بن عقبة تحدث بهذا الحديث عندما اعتزل الناس في السنين الأخيرة

=

وبهذا الاختلاف يسقط العلماء الأحاديث القوية • وكيف يفسق (١١٨) رجل [يتمثل] هذا الكلام ؟ فكيف برجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ !

=

من حياته واختار الاقامة فى قرية له من أعمال الرقة ، فتسلسلت رواية الخبر فى الرواة الرقيين وأخذه الامام أحمد عن شيخ له منهم . وعبد الله الهمدانى ثقة ، لكن التبس اسمه فى غير هذه الرواية بهمدانى آخر يكنى أبا موسى واسمه مالك بن الحارث (أى على اسم والد عبد الله الهمدانى) وهو مجهول عند أهل الجرح والتعديل ، أما عبد الله الهمدانى الذى ينتهى اليه الخبر فى رواية الامام أحمد فمعروف وموثوق به ، وعلى روايته وامثالها اعتمد القاضى ابن العربى فى الحكم على سن الوليد بن عقبة بأنه كان صبياً عند فتح مكة وان الذى نزلت فيه آية « ان جاءكم فاسق بنبأ » هو شخص آخر . ومن عجيب أمر الذين كان لهم هوى فى تشويه سمعة هذا الصحابى الشاب المجاهد الطيب النفس الحسن السيرة فى الناس أنهم حاولوا ادحاض حجة صغر سنه فى ذلك الوقت بخبر آخر روى عن قدومه مع أخيه عمارة الى المدينة فى السنة السابعة للهجرة ليطلبا من النبى صلى الله عليه وآله وسلم رد اختهما ام كلثوم الى مكة . وأصل هذا الخبر – ان صح – مقدم فيه أسم عمارة على اسم الوليد ، وهذا مما يستأنس به فى أن عمارة هو الأصل فى هذه الرحلة وأن الوليد جاء فى صحبته ، وأى مانع يمنع قدوم الوليد صبياً بصحبة أخيه الكبير كما يقع مثل ذلك فى كل زمان ومكان ؟ فقول الوليد انه كان فى سنة الفتح صبياً ليس فى خبر قدومه مع أخيه الكبير الى المدينة فى السنة السابعة ما يمنعه أو يناقضه . فاذا تقرر عندك أن جميع الأخبار الواردة بشأن الوليد بن عقبة فى سبب نزول آية « ان جاءكم فاسق بنبأ » لا يجوز علمياً أن يبنى عليها حكم شرعى أو تاريخى ، واذا أضفت الى ذلك حديث مسند الامام أحمد عن سن الوليد فى سنة الفتح ، يتبين لك بعد ذلك حكمة استعمال أبى بكر وعمر للوليد وثقتهما به واعتمادهما عليه مع أنه كان لا يزال فى صدر شبابه . (خ)

(١١٨) قال محققو تفسير « زاد المسير فى علم التفسير » للامام ابن الجوزى (٧/٤٩١) طبعة المكتب الإسلامى الذى يديره الأخ الفاضل الأستاذ زهير الشاويش ، وهو أحد المشتركين فى التحقيق :

« ذكر الواحدى أن قوله تعالى : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » نزلت فى الوليد بن عقبة . . . ذكر ذلك فى أسباب النزول بغير سند ، ورواه الطبرى من حديث أم سلمة ، وفى سنده موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف ، ورواه أحمد فى « المسند » من حديث الحارث بن ضرار الخزاعى . وقال الحافظ ابن حجر فى « تخريج الكشاف » : رواه ابن اسحاق والطبرانى من حديث

=

وأما حده فى الخمر ، فقد حد عمر قدامة بن مظعون على الخمر وهـو أمير وعزله ، [ثم قيل (*) له صالحه] (١١٩) .

=

أم سلمة ، وفيه موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف . قال : ونحوه رواه احمد والطبرانى أيضاً من حديث الحارث بن ضرار الخزاعى . وأخرجه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن موسى بن المسيب عن سالم ابن الجعد عن جابر .. أ هـ . باختصار . مما سبق ندرك أنه لا مجال لقول المؤلف هنا برد الأحاديث القوية عند الاختلاف والاضطراب . (م)

لأهل العلم فى مثل هذه المسألة مذاهب :

ـ النظر فى الناسخ والمنسوخ .

ـ الجمع بينهما ان أمكن [تأويل مختلف الحديث] .

ـ النظر فى المحكم والمتشابه ، العام والخاص ، المطلق والمقيد .

الى غير ذلك من المذاهب ، وهذا كله ان كان الحديث فى نفسه صحيحا . (س)

(١١٩) قدامة بن مظعون الجمحى أحد السابقين الأولين ، هاجر الهجرتين وشهد بدراً ، وكان صهر أمير المؤمنين عمر على أخته ، وقيـل بل هو خال أم المؤمنين حفصة بنت عمر وأخيها عبيد الله . وفى إمارة قدامة على البحرين فى خلافة عمر قدم الجارود سيد بنى عبد القيس على عمر من البحرين وادعى أن قدامة شرب فسكر . فقال له عمر : من يشهد معك ؟ قال : أبو هريرة . فاستشهد أبا هريرة فقال : لم أره شرب ، ولكنى رأيته سكران يقيء . فقال له عمر : لقد تنطعت فى الشهادة . واستقدم قدامة من البحرين ، فقـال الجارود لعمر : اقم على هذا كتاب الله . فقال له عمر : أخصم انت أم شهيد ؟ فقال : شهيد . فقال عمر : قد أديت شهادتك . فصمت الجارود . ثم غدا على عمر فقال : اقم على هذا حد الله . فقال عمر : لتمسـكن لسانك أو لأسوءنك . فقال : يا عمر ، ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر وتسوؤنى .. ثم جيء بزوجة لقدامة فأقامت الشهادة على زوجها . وأراد عمر أن يقيم عليه الحد ، فقال له الصحابة : لا نرى أن تحده مادام مريضاً . ثم عاوده فقالوا له كما قالوا من قبل . فقال عمر : لأن يلقى الله تحت السياط أحب الى من أن ألقاه وهو فى عنقى . وجلده . فغاضبه قدامة . وعند قفولهما من الحج جيء به الى عمر ، فكلمه عمر واستغفر له . ومن حسن حظ قدامـة ابن مظعون انه قرشى من بنى جمح ، ولو انه كان قرشياً من بنى عبد شمس لانطلقت السنة السوء بالبذاءة عليه واختراع الأكاذيب فيه مادام فى الدنيـا كذب . (خ)

(*) فى جميع النسخ هكذا ، وأصلحه الشيخ محب الدين الخطيب [وقيل انه صالحه] . ولم يشر ـ رحمه الله ـ الى ذلك . (س)

وليست الذنوب مسقطة للعدالة اذا وقعت منها التوبة (١٢٠) .

وقد قيل لعثمان : انك وليت الوليد لأنه أخوك لأمك أروى بنت كريز

---

(١٢٠) هذا حق ، ولكن فى مثل ما تقدم عن قدامة بن مظعون ، وفى مثل ما هو مشهور عند الناس عن ابى محجن الثقفى الشاعر الفارسي الذى كان له يوم اغر فى حرب القادسية . اما الوليد بن عقبة المجاهد الفاتح العادل المظلوم (الذى كان منه لأمته كل ما استطاعه من عمل طيب ، ثم رأى بعينه كيف يبغى المبطلون على الصالحين وينفذ باطلهم فيهم ، فاعتزل الناس بعد مقتل عثمان فى ضيعة له منقطعة عن صخب المجتمع ، وهى تبعد خمسة عشر ميلا عن بلدة الرقه من أرض الجزيرة التى كان يجاهد فيها ويدعو نصاراها الى الاسلام فى خلافة عمر) فقد آن لدسائس الكذابين فيه آن ينكشف عنهـــا عوارها . ولا يضير هذا الرجل أن يتأخر انكشاف الحق فيه ثلاثة عشر قرناً ، فان الحق قديم ولا يؤثر فى قدمه احتجابه . أراد الوليد بن عقبة ــ منذ ولى الكوفة لأمير المؤمنين عثمان ــ أن يكون الحاكم المثالى فى العدل والنبل والسيرة الطيبة مع الناس ، كما كان المحارب المثالى فى جهاده وقيامه للاسلام بما يليق بالذائدين عن دعوته ، الحاملين لرايته ، الناشرين لرسالته . وقد لبث فى امارته على الكوفة خمس سنوات ، وداره الى اليوم الذى زايل فيه الكوفة ليس لها باب يحول بينه وبين الناس ممن يعرف أو لا يعرف ، فكان يغشاها كل مــن شاء متى شاء من ليل أو نهار . ولم يكن بالوليد حاجة لأن يستتر عن الناس ؛

فالستر دون الفاحشات ولا   يلقاك دون الخير من ستر

وكان ينبغى أن يكون الناس كلهم محبين لأميرهم الطيب لأنه أقام لغربائهم دور الضيافة ، وأدخل على الناس خيراً حتى جعل يقسم المال للولائد والعبيد ورد على كل مملوك من فضول الأموال فى كل شهر ما يتسعون به من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم . وبالفعل كانت جماهير الشعب متعلقة بحب هذا الأمير المثالى طول مدة حكمه . الا ان فريقاً من الأشرار وأهل الفساد أصاب بنيهم سوط الشريعة بالعقاب على يد الوليد ، فوقفوا حياتهم على ترصد الأذى له . ومن هؤلاء رجال يسمى أحدهم أبا زينب بن عوف الأزدى وآخر يسمى أبا مورع وثالث اسمه جندب ابو زهير قبضت السلطات على أبنائهم فى ليلة نقبوا بها على ابن الحيسمان داره وقتلوه ، وكان نازلا بجواره رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جيش خزاعة يوم فتح مكة فجــاء هو وابنه من المدينة الى الكوفة ليسيرا مع احد جيوش الوليد بن عقبة التى كان يواصل توجيهها نحو الشرق للفتوح ونشر دعوة الاسلام ، فشهد هـذا الصحابى وابنه فى تلك الليلة سطو هؤلاء الأشرار على منزل ابن الحيسمان ، وأدى شهادته هو وابنه على هؤلاء القتلة السفاحين ، فانفذ الوليد فيهم حكم الشريعة على باب القصر فى الرحبة ، فكتب آباؤهم العهد على أنفسهم للشيطان

ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، فقال : بل لأنه ابن عمة رسول الله صلى

=

بأن يكيدوا لهذا الامير الطيب الرحيم ، وبثوا عليه العيون والجواسيس ليترقبوا حركاته ، وكان بيته مفتوحا دائماً . وبينما كان عنده ذات يوم ضيف له من شعراء الشمال كان نصرانياً فى اخواله من تغلب بأرض الجزيرة واسلم على يد الوليد ، فظن جواسيس الموتورين أن هذا الشاعر الذى كان نصرانياً لابد أن يكون ممن يشرب الخمر ولعل الوليد إن يكرمه بذلك ، فنادوا أبا زينب وأبا المورع واصحابهما ، فاقتحموا الدار على الوليد من ناحية المسجد ، ولم يكن لداره باب ، فلما فوجىء بهم نحى شيئاً ادخله تحت السرير ، فأدخل بعضهم يده فأخرجه بلا اذن من صاحب الدار ، فلما اخرج ذلك الشيء من تحت السرير اذا هو طبق عليه تفاريق عنب ، وانما نحاه الوليد استحياء أن يروا طبقه ليس عليه الا تفاريق عنب ، فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون من الخجل ، وسمع الناس بالحكاية فأقبلوا يسبونهم ويلعنونهم . وقد ستر الوليد عليهم ذلك وطواه عن عثمان وسكت عن ذلك وصبر . ثم تكررت مكايد جندب وابى زينب وأبى المورع ، وكانوا يغتنمون كلّ حادث فيسيئون تأويله ويفترون الكذب . وذهب بعض الذين كانوا عمالا فى الحكومة ونحاهم الوليد عن أعمالهم لسوء سيرتهم فقصدوا المدينة وجعلوا يشكون الوليد لأمير المؤمنين عثمان ويطلبون منه عزله عن الكوفة . وفيما كان هؤلاء فى المدينة دخل ابو زينب وابو المورع دار الامارة بالكوفة مع من يدخلها من غمار الناس وبقيا فيها الى أن تنحى الوليد ليستريح ، فخرج بقية القوم ، وثبت ابو زينب وابو المورع الى أن تمكنا من سرقة خاتم الوليد من داره وخرجا . فلما استيقظ الوليد لم يجد خاتمه ، فسأل عنه زوجتيه ــ وكانتا فى مخدع تريان منه زوار الوليد من وراء ستر ــ فقالتا ان آخر من بقى فى الدار رجلان ، وذكرتا صفتهما وحليتهما للوليد ، فعرف انهما ابو زينب وابو المورع ، وادرك انهما لم يسرقا الخاتم الا لمكيدة بيّتاها ، فارسل فى طلبهما فلم يوجدا فى الكوفة ، وكانا قد سافرا تواً الى المدينة ، وتقدما شاهدين على الوليد بشرب الخمر (واكبر ظنى انهما استلهما شهادتهما المزورة من تفاصيل الحادث الذى سبق وقوعه لقدامة بن مظعون فى خلافة عمر) فقال لهما عثمان : كيف رأيتما ؟ قالا : كنا فى غاشيته ، فدخلنا عليه وهو يقىء الخمر . فقال عثمان : ما يقىء الخمر الا شاربها . فجىء بالوليد من الكوفة فحلف لعثمان واخبره خبرهم ، فقال عثمان « نقيم الحدود ، ويبوء شاهد الزور بالنار » .

هذه قصة اتهام الوليد بالخمر كما فى حوادث سنة ٣٠ من تاريخ الطبرى ، وليس فيها ــ على تعدد مصادرها القديمة ــ شيء غير ذلك . وعناصر الخبر عند الطبرى أن الشهود على الوليد اثنان من الموتورين الذين تعددت شواهد غلهم عليه ، ولم يرد فى الشهادة ذكر الصلاة من أصلها فضلا عن أن تكون

=

الله عليه وآله وسلم أم حكيم البيضاء جدة عثمان وجدة الوليد لأمهما أروى

=

اثنتين أو أربعاً . وزيادة ذكر الصلاة هي الأخرى أمرها عجيب . فقد نقل خبرها عن الحضين بن المنذر (أحد أتباع علي) انه كان مع علي عند عثمان ساعة أقيم الحد على الوليد ، وتناقل عنه هذا الخبر فسجله مسلم في صحيحه (كتاب الحدود) ب ٨ ح ٣٨ ــ ج ٥ ص ١٢٦) بلفظ شهدت عثمان بن عفان وأتي بالوليد قد صلى الصبح (ركعتين) ثم قال : أزيدكم ؟ فشهد عليه رجلان أحدهما حمران انه شرب الخمر ، وشهد آخر انه رآه يتقيأ » . فالشاهدان لم يشهدا بأن الوليد صلى الصبح ركعتين وقال ازيدكم ، بل شهد أحدهما بأنه شرب الخمر وشهد الآخر بأنه تقيأ . أما صلاة الصبح ركعتين وكلمة أزيدكم فهي من كلام حضين ، ولم يكن حضين من الشهود . ولا كان في الكوفة في وقت الحادث المزعوم ، ثم انه لم يسند هذا العنصر من عناصر الاتهام الى انسان معروف ، ومن العجيب ان نفس الخبر الذي في صحيح مسلم وارد في ثلاثة مواضع من مسند أحمد رويا عن حضين ، والذي سمعه من حضين في صحيح مسلم هو الذي سمعه منه في مسند احمد بمواضعه الثلاثة ، فالموضعان الأول والثاني (ج ١ ص ٨٢ و ١٤٠ الطبعة الأولى ــ ج ٢ رقم ٦٢٤ و ١١٨٤ الطبعة الثانية) ليس فيهما ذكر للصلاة عن لسان حضين فضلا عن غيره ، فلعل أحد الرواة من بعده أدرك أن الكلام عن الصلاة ليس من كلام الشهود فاقتصر على ذكر الحد . وأما في الموضع الثالث من مسند أحمد (ج ١ ص ١٤٤ ــ ١٤٥ الطبعة الأولى ــ ج ٢ رقم ١٢٢٩) فقد جاء فيه على لسان حضين « أن الوليد صلى بالناس الصبح اربعاً » وهو يعارض ما جاء على لسان حضين نفسه في صحيح مسلم ، ففي إحدى الروايتين تحريف الله أعلم بسببه . وفي الحالتين لا يخرج ذكر الصلاة عن انه من كلام حضين وحضين ليس بشاهد ، ولم يرو عن شاهد ، فلا عبرة بهذا الجزء من كلامه . وبعد ان علمت بأمر الموتورين فيما نقله الطبري عن شيوخه . ازيدك علما بأمر حمران ، وهو عبد من عبيد عثمان كان قد عصى الله قبل شهادته على الوليد فتزوج في مدينة الرسول امرأة مطلقة ودخل بها وهي في عدتها من زوجها الأول ، فغضب عليه عثمان لهذا ولأمور أخرى قبله فطرده من رحابه واخرجه من المدينة ، فجاء الكوفة يعبث فيها فساداً ، ودخل على العابد الصالح عامر بن عبد القيس فافترى عليه الكذب عند رجال الدولة وكان سبب تسييره الى الشام . وأنا أترك أمر هذا الشاهد والشاهدين الآخرين قبله الى ضمير القارئ يحكم به عليهم بما يشاء ، وفي اجتهادي أن مثل هؤلاء الشهود لا يقام بهم حد الله على ظنين من السوقة والرعاع فكيف بصحابي مجاهد وضع الخليفة في يده امانة قطر وقيادة جيوش فكان عند الظن به من حسن السيرة في الناس وصدق الرعاية لأمانات الله ، وكا وضع امثقة عند ثلاثة من أكمل خلفاء الاسلام

المذكورة أم حكيم توأمة عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأي حرج على المرء أن يولي أخاه أو قريبه (١٢١، ١٢٢) ؟ .

=

أبي بكر وعمر وعثمان . وان قرابة الوليد من عثمان التى يزعم الكذبة انها سبب المحاباة منه لهم انما كانت سبب التسامح من عثمان فى عزلهم والقسوة عليهم لئلا يقال ان له هوى فى ذوى قرابته . ورأينا الذين يتسلون بأعراض الناس يتفكهون بأبيات ستة منسوبة الى ماجن خسيس النفس وردت فى ص ٨٥ من ديوانه ، ولا تحملهم سليقة النقد على الشعور بما فى هذه الأبيات من التضارب والتعارض . فأين مدحه فيها للوليد بقوله :

ورأوا شمائل ماجد أنف　　يعطى على الميسور والعسر

فنزعت مكذوبا عليك ولم　　تردد الى عوز ولا فقر

من بقية الأبيات التى قيها :

نادى وقد تمت صلاتهم　　أأزيدكم ثملا وما يدرى

فالذى يقول البيت الأخير لا يعقل أن يقول معه البيتين الأولين فيكون مادحاً وذاماً فى قطعة واحدة لا تزيد على ستة أبيات . وقد كانت لى مقالة مطولة عن (التخليط فى الشعر) ضربت فيها الأمثلة على دس أبيات غريبة فى قصائد من وزنها ورويها لغير ناظمها . وعلى كل حال فالشهود الذين شهدوا بين يدى عثمان لم يدعوا حكاية الصلاة ، مع أنهم لم يكونوا ممن يخاف الله واليوم الآخر . والآن أقولها لوجه الله صريحة مدوية ان الوليد لو كان من رجال التاريخ الأوربى كالويس التاسع الذى أسرناه فى دار ابن لقمان بالمنصورة لعدوه قديساً ، لأن لويس لم يحسن الى فرنسا كاحسان الوليد بن عقبة الى أمته ، ولم يفتح للنصرانية كفتح الوليد للاسلام ، والعجب لأمة تسىء الى أبطالها ، وتشوه جمال تاريخها ، وتهدم أمجادها كما يفعل الأشرار منا ، ثم ينشر كيد هؤلاء الأشرار حتى يظن الأخيار أنه هو الحق . (خ)

(١٢١)وقد تقدم فى هامش ص ٩٨ إن أمير المؤمنين على بن أبى طالب جعل الأمراء فى مدة خلافته على أكثر أمصار حكمه من ذوى قرابته . وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولى رجال بنى أمية وشبابهم . وكذلك فعل ابو بكر وعمر ، فلم يفعل عثمان الا الذى سبقه اليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وصاحباه . بل ان عثمان لما أقام الحد على أخيه لأمه فعل ما لا نظن أحداً يفعله بشهادة الشهود المغرضين الذين لم يريدوا الله بشهادتهم . واذا كان الشهود على الوليد من هذه الطبقة المغرضة ، فقد شهد له بظهر الغيب قاض من أعظم قضاة الاسلام فى التاريخ علماً وفضلاً وانصافاً وهو الامام عامر بن شراحيل الشعبى . روى الطبرى (٥ : ٦٠) أن الشعبى سمع فى أوائل بطولة مسلمة بن عبد الملك حفيداً للوليد بن عقبة يتحدث عن جهاد مسلمة ، فقال

. . . .

الشعبى : « كيف لو ادركتم الوليد غزوة وامارته ؟ ان كان ليغزو فينتهى الى كذا وكذا ... ما قصر ، ولا انتقض عليه احد . حتى عزل عن عمله وعلى الباب (اى الدربند ، وراء بحر الخزر فى روسيا ، وكان من امنع معاقل الدنيا) عبد الرحمن الباهلى (وهو من أعظم قواد الوليد) . وان كان مما زاد عثمان على يده (أى على يد الوليد) أن رد على كل مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة فى كل شهر يتسعون بها من غير ان ينقص مواليهم من ارزاقهم » . فهذه الشهادة من الامام الشعبى للوليد فى جهاده الحربى الظافر ، وفى احسانه لرعيته فى معايشهم ، تفقأ عيون المبطلين ، وتقر أعين الصالحين ، وصدق أمير المؤمنين عثمان يوم طيب قلب اخيه المظلوم بقوله « نقيم الحدود ، ويبوء شاهد الزور بالنار » . « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك غفور رحيم » . (خ)

(١٢٢) ومما يؤسف له ان الشيخ محمدا أبا زهرة الاستاذ فى كلية الشريعة بجامعة القاهرة انساق مع من انساقوا فى أن من أسباب الثورة على عثمان رضى الله عنه :

« اشتهاره بحبه لقرابته ، وليس فى ذلك اثم ولا لوم ، ولكنه ولاّهم وقرّبهم ، وكان يستشيرهم فى كثير من شؤون الدولة ، وفيهم من ليس أهل للثقة ، وبمقدار الاكثار من استشارتهم لم يكثر من استشارة عليه الصحابة : كعلى بن أبى طالب ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة وغيرهم .. (المذاهب الاسلامية ص ٤٣) » .

نستدرك على عبارة الاستاذ أبى زهرة ما يلى :

أولا : ليس فى تولية الأقارب اثم ولوم ما داموا اكفاء مخلصين ، فقد ولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن عمه علياً بن أبى طالب على الاخماس باليمن والقضاء بها كما ولى كثيراً من رجال بنى امية المناصب الهامة ، وهم يمتون اليه بالقرابة (راجع جوامع السيرة لابن حزم) وكذلك فعل على بن ابى طالب لما ولى الخلافة فكان من ولاته عبد الله بن عباس وقثم ابن عباس ، وثمامة بن عباس ..

ثانياً : كنا نتمنى من الاستاذ أبى زهرة ان يذكر لنا مثالا من أقرباء عثمان رضى الله عنه الذين ليسوا أهلا للثقة كما زعم . كما تقدم معنا .

ولعله يقصد بذلك مروان بن الحكم ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح الذى قال عنه (ص ٤٤) « كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد أباح دمه اذ ارتد بعد ايمان ، وقدولاه بعد عمرو بن العاص ... » .

أما مروان فقد تحدث عنه مؤلف العواصم ما فيه الكفاية ..

واما عبد الله بن سعد فقد ذكر الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى منهاج

١٣ ــ وأما اعطاؤه خمس افريقية لواحد فلم يصح (١٢٣) . على أنه قد

=

السنة (١٩٦/١) : « كان عثمان شفع فى عبد الله بن سعد فقبل صلى الله عليه وآله وسلم شفاعته فيه وبايعه ! » .

وقد ابلى هذا الصحابى بلاء حسناً فى محاربة الروم ففتح بلاد النوبة وصالحه أهلها على دفع الجزية واشترك مع معاوية رضى الله عنه فى تأسيس الأسطول الاسلامى وفى معركة « ذات الصوارى » فى حرب الروم حتى أتم النصر للمسلمين عليهم ، وكان لاسطول ابن سعد الفضل فى حماية سواحل مصر وافريقية من غزو الروم فرحمه الله وجزاه عن الاسلام خير الجزاء .

ثالثاً : وما قاله الاستاذ ابو زهرة من اكثار استشارته لاقربائه من بنى امية ، وعدم الاكثار من استشارة كبار الصحابة ، فكلام متهافت لا دليل له عليه ، والأدلة على عكس ما يقول أكثر من أن تذكر ، وهى مبينة بتفصيل فى بطون كتب التاريخ ويعرفها حتى صغار الطلبة !

وقد كان عثمان رضى الله عنه عالماً بكل ذلك ، فكيف يكون من الحزم أن يتقاتل المسلمون ويذهب منهم كثير من الضحايا ، وهو عارف أنه مقتول لا محالة ؟ ! .

ومما أخذه الاستاذ ابو زهرة وغيره على عثمان رضى الله عنه كما جاء فى المصدر السابق (ص ٤٦) .

« لم يكن رضى الله عنه حازماً مع الذين ثاروا عليه وهاجموا داره .. ولو انه أخذ أولئك العصاة بالشدة .. لأدى ذلك الى نجاته ... ولقد كان عظماء الصحابة على استعداد لنصرته ، وكلما هموا بحمل السلاح ثبطهم ... وقد منعهم سيدنا عثمان ايثاراً للعاقبة ومنعاً للقتل والقتال بين المسلمين .. » .

لقد غاب عن الاستاذ أبى زهرة ان عثمان رضى الله عنه كان عالماً بمصيره فقد بشره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة على بلوى تصيبه كما جاء فى صحيح البخارى ، كما بشره بالشهادة أيضاً فعن انس أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صعد احداً ، وأبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برجله فقال : « اثبت احد ، فانما عليك نبى وصديق وشهيدان » رواه البخارى » .

ان الحزم كل الحزم كان ما فعله هذا الخليفة الراشد ! (م)

(١٢٣) والذى صح هو اعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن أبى سرح جزاء جهاده المشكور ، ثم عاد فاسترده منه . جاء فى حوادث سنة ٢٧ من تاريخ الطبرى (٥ : ٤٩ مصر ، ١ : ٢٨١٤ ــ ٢٨١٥ طبع أوربا) أن عثمان لما أمر عبد الله ابن سعد ابن أبى سرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها قال له : « ان فتح الله عليك غدا افريقية فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلا » . فخرج بجيشه حتى قطعوا أرض مصر وأوغلوا فى أرض افريقية

=

ذهب مالك وجماعة الى أن الامام يرى رأيه فى الخمس ، وينفذ فيه ما أداه اليه اجتهاده . وأن اعطاءه لواحد جائز ، وقد بينا ذلك فى مواضعه (١٢٤) .

= وفتحوها سهلها وجبلها ، وقسم عبد الله على الجند ما أفاء الله عليهم وأخذ خمس الخمس وبعث بأربعة أخماسه الى عثمان مع وثيمة النصرى . فشكا وفد ممن معه الى عثمان ما أخذه عبد الله بن سعد ، فقال لهم عثمان : أنا أمرت له بذلك ، فان سخطتم فهو رد . قالوا : انا نسخطه . فأمر عثمان عبد الله بن سعد بأن يرده فرده . ورجع عبد الله بن سعد الى مصر وقد فتح افريقية .

(١٢٤) أى فى مؤلفاته الأخرى عند بسطه هذه المسألة من أحكام الفقه الاسلامى . قال الامام عامر بن شراحيل الشعبى : « انما القطائع على وجه النفل من خمس ما أفاء الله » . قال : « وأقطع عمر طلحة وجرير بن عبد الله والربيل بن عمرو . وأقطع (أى عمر) أبا مفزر دار الفيل » . وممن أقطعهم عمر بن الخطاب نافع أخو زياد وأبى بكرة لأمهما ، أقطعه أرضاً فى البصرة لخيله وابله مساحتها عشرة أجربة (انظر ترجمة نافع فى الاصابة) قال القاضى أبو يوسف فى كتاب الخراج (ص ٦١) وقد أقطع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتألف على الاسلام أقواماً ، وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا أن فى اقطاعه صلاحاً (وضرب أبو يوسف الأمثلة على ذلك) . وانظر باب القطائع فى ص ٧٧ ــ ٧٨ من كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشى طبع السلفية . وذكر الامام الشعبى بعض الذين أقطعهم عثمان فقال : « وأقطع الزبير ، وخباب ، وعبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وابن هبار أزمان عثمان ، فان يكن عثمان أخطأ فالذين قبلوا منه الخطأ أخطأوا ، وهم الذين أخذنا عنهم ديننا » (الطبرى ٤ : ١٤٨) . وأقطع على بن أبى طالب كردوس بن هانىء الكردوسية ، وأقطع سويداً بن غفلة أرضاً لدا ذويه . فكيف ينكرون على عثمان ويسكتون عن عمر وعلى . وللقاضى أبى يوسف كلام سديد فى هذا الموضوع فى كتاب الخراج (ص ٦٠ ــ ٦٢ طبعة السلفية سنة ١٣٥٢) . وما زعمه الزاعمون من أن عثمان كان يود ذوى قرابته ويعطيهم ، فمودته ذوى قرابته من فضائله ، وعلى اثنى على عثمان بأنه أوصل الصحابة للرحم ، وعثمان أجاب عن موقفه هذا بقوله : « وقالوا : انى أحب أهل بيتى وأعطيهم . فأما حبى لهم فانه لم يمل معهم على جور ، بل أحمل الحقوق عليهم . وأما اعطاؤهم فانى انما أعطيهم من مالى ، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسى ، ولا لأحد من الناس . وقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالى أزمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وعمر ، وأنا يومئذ شحيح حريص . أفحين أتت على أسنان أهل بيتى وفنى عمرى وودعت الذى لى فى أهلى قال الملحدون ما قالوا ؟ » وقال الطبرى (٥ : ١٠٣) : وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه فى بنى أمية =

١٤ — وأما قولهم انه ضرب بالعصا ، فما سمعته ممن أطاع أو عصى ، وانما هو باطل يحكى ، وزور ينثى [١٢٥] ، فيالله وللنهى .

١٥ — وأما علوه على درجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فما سمعته ممن فيه تقية . وانما هى اشاعة منكر ، ليروى ويذكر ، فيتغير قلب من يتغير . قال علماؤنا : ولو صح ذلك فما فى هذا ما يحل دمه . ولا يخلو أن يكون ذلك حقاً فلم تنكره الصحابة عليه اذ رأت جوازه ابتداء أو لسبب اقتضى ذلك . وان كان لم يكن فقد انقطع الكلام [١٢٨] .

١٦ — وأما انهزامه يوم حنين ، وفراره يوم أحد ، ومغيبه عن بدر وبيعة

=

وجعل ولده كبعض من يعطى ، فبدأ ببنى أبى العاص فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف عشرة آلاف فأخذوا مائة ألف ، وأعطى بنى عثمان مثل ذلك ، وقسم فى بنى العاص وبنى العيص وفى بنى حرب . بل تمادى شيخ الاسلام ابن تيمية مع أوسع الاحتمالات فذكر فى منهاج السنة (٣ : ١٨٧ — ١٨٨) ان سهم ذوى القربى ذهب بعض الفقهاء الى أنه لقرابة الامام كما قاله الحسن وأبو ثور ، وأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يعطى أقاربه بحكم الولاية .. وقيل هو لمن ولى الأمر بعده .. قال : وبالجملة فعامة من تولى الأمر بعد عمر كان يخص بعض أقاربه اما بولاية أو بمال . ثم قال فى (٣ : ٢٣٧) : « ان ما فعله عثمان فى المال له ثلاثة مآخذ : أحدهما أنه عامل عليه ، والعامل يستحق مع الغنى . الثانى أن ذوى القربى هم ذوو قربى الامام . الثالث أنهم (أى ذوو قربى عثمان) كانوا قبيلة كثيرة ليسوا مثل قبيلة أبى بكر وعمر ، فكان يحتاج الى اعطائهم وولايتهم أكثر من حاجة أبى بكر وعمر الى تولية أقاربهما واعطائهم . وهذا مما نقل عن عثمان الاحتجاج به » (خ)

(١٢٥) نثى الخبر والحديث : أذاعه وأظهره . والنثا مثل الثناء ، الا انه فى الخير والشر ، والثناء فى الخير خاصة . (م)

(١٢٨) كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضيق المساحة فى عصر النبوة وخلافة أبى بكر ، وكان من مناقب عثمان فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم عندما زاد عدد الصحابة أن اشترى من ماله مساحة من الأرض وسع بها المسجد النبوى ، ثم وسعه أمير المؤمنين عمر فأدخل فيه دار العباس بن عبد المطلب . ثم ازداد عدد المصلين بازدياد عدد سكان المدينة وقاصديها فوسعه أمير المؤمنين عثمان مرة أخرى وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع وجدد بناءه . فاتساع المسجد وازدياد غاشيته وبعد أمكنة بعضهم عن منبر الخطابة يجوز أن يكون من ضرورات ارتفاع الخطيب ليراهم ويروه ويسمعوه . (خ)

الرضوان ، فقد بين عبد الله بن عمر وجه الحكم فى شأن البيعة وبدر وأحد . وأما يوم حنين فلم يبق الا نفر يسير مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن لم يجر فى الأمر تفسير من بقى ممن مضى فى الصحيح ، وانما هى أقوال ، منها أنه ما بقى معه الا العباس وابناه عبد الله وقثم ، فناهبك بهذا الاختلاف ، وهو أمر قد اشترك فيه الصحابة ، وقد عفا الله عنه ورسوله ، فلا يحل ذكر ما أسقطه الله ورسوله والمؤمنون ، أخرج البخارى (١٢٩) : جاء رجل الى ابن عمر فسأله عن عثمان ، فذكر عن محاسن عمله وقال : لعل ذلك يسوؤك ؟ قال : نعم . قال : فأرغم الله بأنفك . ثم سأله عن على ، فذكر محاسن عمله وقال :هوذاك بيته أوسط بيوت النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال : لعل ذلك يسوؤك ؟ قال : أجل . قال : فأرغم الله بأنفك . انطلق فاجهد على جهدك . وقد تقدم فى حديث « بنى الاسلام على خمس » زيادة فيه للبخارى فى على وعثمان (١٣٠) . وقد أخرج البخارى أيضاً (١٣١) من حديث عثمان بن عبد الله بن موهب قال : جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا : هؤلاء قريش . قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يا ابن عمر ، انى سائلك عن شيء فحدثنى عنه ، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟ قال : نعم . فقال : تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد ؟ قال : نعم . قال : الله أكبر ! قال ابن عمر : تعالى أبين لك . أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له . وأما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه (١٣٢) . وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو

---

(١٢٩) فى كتاب فضائل الصحابة (ك ٦٢ ب ٩ — ج ٤ ص ٢٠٨) من حديث سعد بن عبيدة . (خ)

(١٣٠) لعل المؤلف يشير الى حديث ابن عمر فى كتاب التفسير من صحيح البخارى (ك ٦٥ ب ٢ تفسير البقرة الحديث ٣٠ ج ٥ ص ١٥٧) (خ)

(١٣١) فى كتاب فضائل الصحابة (ك ٢٦ ب ٧ ج ٤ ص ٢٠٣ — ٢٠٤) (خ)

(١٣٢) وبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم ببشرى النصر فى بدر مع زيد بن حارثة الى عثمان فى المدينة . قال أسامة بن زيد فيما رواه الطبرى ٢ : ٢٨٦ — : « فأتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ

كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عثمان (١٣٣) وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان الى مكة (١٣٤) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده اليمنى : « هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال : « هذه لعثمان (١٣٥) » . ثم

=

صلى الله عليه وآله وسلم التى كانت عند عثمان بن عفان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلفنى عليها مع عثمان » ثم فى ربيع الأول من السنة التالية لغزوة بدر تزوج عثمان أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأدخلت عليه فى جمادى الآخرة . (خ)

(١٣٣) وقبل أن يبعث عثمان دعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال عمر : يا رسول الله انى أخاف قريشا على نفسى ، وليس فى مكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى . ولكنى أدلك على رجل هو أعز منى فيها : عثمان بن عفان . فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبعثه الى أبى سفيان وأشراف قريش . ويوم تدون الدول الاسلامية تاريخ السفارات فى الاسلام ، سيكون اسم عثمان أول سفراء الاسلام فى التاريخ . (خ)

(١٣٤) لأن عثمان لما أدى رسالته فى السفارة التى بعث لها احتبس أياماً ، فلم يعد الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الموعد الذى كان يقدر له أن يعود فيه ، فوصل الخبر الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأن سفيره قتل ، فدعا النبى صلى الله عليه وآله وسلم الصحابة الى بيعة الرضوان ، انتصاراً لعثمان ، على نية أن يذهب بأصحابه الى مكة فيناجز المشركين لما بلغه عن قتلهم عثمان . فبيعة الرضوان كانت رمزاً من رموز الشرف لعثمان ، وأى شرف أعظم من اجتماع قوى الاسلام بقيادة الرسول الأعظم للأخذ بثأر هذا الرجل الحبيب الى المسلمين ، والرفيع المنزلة عند سيد الأولين والآخرين . ثم لما علم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ــ فى اللحظة الأخيرة التى اجتمع فيها الصحابة لعقد البيعة ــ أن عثمان حى ، مضى فى اتمام البيعة ، على سنته صلى الله عليه وآله وسلم فى أنه اذا بدأ بخير يمضى فى اكماله ولو زال سببه . وحينئذ كان لعثمان الشرف المضاعف بأن يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نابت عن يده فى عقد البيعة عنه . فبيعة الرضوان كانت انتصاراً لعثمان، وجميع الصحابة بايعوا بأيدى أنفسهم الا عثمان فان أشرف يد فى الوجود نابت عن يده فى اعطاء بيعته ولو لم يكن لعثمان من الشرف فى حياته كلها الا هذا لكفاه . (خ)

(١٣٥) أخرج البخارى نحوه فى صحيحه (٢٩١/٧) .(م)

قال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك (١٣٦) .

١٧ ـ وأما امتناعه عن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان ، فان

---

(١٣٦) لو أن أمير المؤمنين عثمان كان من حواريي المسيح عليه السلام ، وكانت له من سيدنا عيسى بن مريم مثل هذه المنقبة التي كرمه الله بها من نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لعبدته النصارى لأجلها . فالعجب لأمة يكون فيها جهلة يعيبون على عثمان ـ في زمانه ـ غيبته عن بيعة الرضوان، ويكون فيهم من يستشعر الشجاعة في نفسه عند الاقدام على سفك دم هذا الخليفة الرحيم لأمور هذا منها ، ثم يحمل مثل هذا الجهل في دماغه رجل جاء يعبد الله بأداء فريضة الحج فيواجه به جماعة الصحابة من قريش ورئيسهم عبد الله بن عمر ، ثم تمس الحاجة الى التعرض لبيان هذه الحقائق في عصر القاضي ابي بكر بن العربي ، ثم يشعر أمثالنا في عصرنا بأن عثمان لا يزال من بعض أمته في موقف يحتاج فيه إلى انصافه (*) ودفع قالة السوء عنه . حقاً اننا أمة مسكينة ... ولأمر ما بلغ بنا الحال بين الأمم الى ما كنا فيه ، والى ما لا نزال غارقين فيه « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . (خ) .

(*) ونقول بهذه المناسبة : ان عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه ينبغي أن يسمى العصر الذهبي للاسلام على الرغم من تشويهه من قبل الحساد والمفترين والمضللين ، رحمه الله تعالى وأجزل ثوابه ، وجزاه عن الاسلام والمسلمين بما هو أهله ، أجر ما جاهد وانفق من قبل الفتح ، ومن بعد الفتح ، وحتى في زمن خلافته .

لقد تمت في عهد هذا الخليفة العظيم أمور تنظيمية ، وكان من أجلها جمعه الناس على مصحف واحد ..

وزاد في عطاء الناس مئة مئة كما رأينا بل روى ما يدل على ما كان من كثرة الخير في زمنه والتوسع في العطاء وتنويعه حيث روى عن الحسن البصري من علماء التابعين قال : « شهدت منادي عثمان ينادي : أيها الناس اغدوا على اعطياتكم فيغدون ، ويأخذونها وافية ، ثم ينادي : أيها الناس اغدوا على أرزاقكم فيغدون ويأخذونها وافية ، حتى ـ والله سمعته أذناي يقول : اغدوا على كسوتكم فيأخذون الحلل ، واغدوا على السمن والعسل : أرزاق دارة ، وخير كثير وذات بين حسن . ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمنا ، الا يرده وينصره ويألفه . فلو صبر الأنصار على الأثرة ، لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق ....

واستمرت حركة الفتح في مختلف الميادين في زمنه فتم في عهده فتح شمال أفريقية ، وفتح الاسكندرية مرة ثانية بعد ما كر الروم عليها وغزا بلاد النوبة وأخذ الجزية من أهلها على يد قائده عبد الله بن سرح .

=

ذلك باطل [١٣٧] . [وان] كان لم يفعل فالصحابة متوافرون ، والأمـــر فى

(١٣٧) بشهادة ابنه القماذبان . روى الطبرى (٥ : ٤٣ ـ ٤٤ مصر و ١ : ٢٨٠١ طبعة أوربا) عن سيف بن عمر بسنده الى ابى منصور قال : سمعت القماذبان يحدث عن قتل ابيه ... قال : « فلما ولى عثمان دعانى فأمكننى منه (أى من عبيد الله بن عمر بن الخطاب) ثم قال : « يا بنى هذا قاتل أبيك ، وانت أولى به منا، فاذهب فاقتله » . فخرجت به وما فى الأرض احد الا معى ، الا انهم يطلبون الى فيه . فقلت لهم : الى قتـــله ؟ قالوا : نعم . وســـبوا عبيد الله . فقلت : افلكم أن تمنعوه ؟ قالوا : لا . وسبوه . فتركته لله ولهم . فاحتملونى . فوالله ما بلغت المنزل الا على رؤوس الرجال واكفهم » . هـذا كلام ابن الهرمزان ، وان كل منصف يعتقد (ولعل ابن الهرمزان أيضاً كان يعتقد) أن دم أمير المؤمنين عمر فى عنق الهرمزان ، وان أبا لؤلؤة لم يكن الا آلة فى يد هذا الفارسى . وان موقف عثمان واخوانه أصـــحاب رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الحادث لا نظـــير له فى تاريخ العـــدالة الانسانية . (خ)

=

وفى خلافة عثمان انشىء أول اسطول اسلامى ، وأول مـــن فكر فى ذلك معاوية بن ابى سفيان ، وكان والياً على الشام ، استعان بهذا الأسطول على غزو قبرص واخذ الجزية من اهلها .

ولقد اقتدى عبد الله بن سعد والى مصر بمعاوية ، فانشأ هو الآخر اسطولا لحماية سواحل مصر وشمال أفريقية .

وارتاع الروم من تقدم العرب البحرى فسيروا اسطولا عظيماً بلغ عـــدد مراكبه ٦٠٠ لعلهم يقضون به على القوة البحرية الاسلامية الناشـــئة التى اذهلتهم ، وكان ذلك بقيادة الملك قسطنطين نفسه على ما رواه الطبرى .

وقد قابلت أساطيل المسلمين هذه الحملة البحرية بحماسة وشـــجاعة واشتبكت معها فى معركة « ذات الصوارى » تم النصر فيها للمسلمين بعـدما غطت القتلى من الطرفين سطح البحر واحمرت مياهه بدمائهم .

وفى عهد الخليفة عثمان تم فتح ارمنية واذربيجان كما تم فتح بقية بلاد فارس .

وقد عم الرخاء فى عهد عثمان بسبب هذه الفتوحات وكثر المال والرقيق بصورة لم يعرف له مثيل من قبل !

وقد رثى امير المؤمنين عثمان رضى الله عنه كثير من الشعراء نذكر منهـم ليلى الأخيلية فى بعض أبيات لها قالت :

أبعد عثـمان ترجـو الخير امته ... قد كان أفضل من يمشى على ساق
خليفة الله اعطـــاهم وخـــولهم ... ما كان مـــن ذهب حلو وأوراق (م)

أوله (١٣٨) . وقد قيل : ان الهرمزان سعى فى قتل عمر ، وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه (١٣٩) . وكان قتل عبيد الله له ، وعثمان لم يل بعد . ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقا ، لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله (١٤٠).

---

(١٣٨) وقد تصرف عثمان فى هذا الأمر بعد أن ذاكر الصحابة فيه . قال الطبرى (٥ : ٤١) جلس عثمان فى جانب المسجد ودعا عبيد الله وكان محبوساً فى دار سعد بن أبى وقاص ، وهو الذى نزع السيف من يده ... فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار : أشيروا على فى هذا الذى فتق فى الاسلام ما فتق . فقال على : أرى أن تقتله . فقال بعض المهاجرين : قتل عمر أمس ، ويقتل ابنه اليوم ؟! فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، ان الله أعفاك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان ، انما كان هذا الحدث ولا سلطان لك . قال عثمان : أنا وليهم ، وقد جعلتها دية ، واحتملتها فى مالى . (خ)

(١٣٩) فى تاريخ الطبرى (٥ : ٤٢) حديث سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق قال غداة طعن عمر : « مررت على أبى لؤلؤة عشى أمس ، ومعه جفينة (وكان نصرانياً من أهل الحيرة ظئراً لسعد ابن أبى وقاص) والهرمزان ، وهم نجى ، فلما رهقتهم ثاروا ، وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه . فانظروا بأى شىء قتل ؟ وخرج فى طلبه رجل من بنى تميم ، فرجع اليهم التميمى وقد كان ألظ بأبى لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه . وجاء بالخنجر الذى وصف عبد الرحمن بن أبى بكر . فسمع بذلك عبيد الله بن عمر ، فأمسك حتى مات عمر ، ثم اشتمل على السيف فأتى الهرمزان فقتله » . (خ)

(١٤٠) وكذلك حبر الأمة عبد الله بن عباس رأى جواز قتل علوج الفرس الذين فى المدينة بلا استثناء . قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ٢٠٠) : وقد قال عبد الله بن عباس لما طعن عمر — وقال له عمر : كنت انت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة — فقال (أى ابن عباس) : « ان شئت أن نقتلهم » فقال عمر : « كذبت » أفبعد أن تكلموا بلسانكم ، وصلوا الى قبلتكم ؟ » . قال ابن تيمية : فهذا ابن عباس — وهو أفقه من عبيد الله ابن عمر وأدين وأفضل بكثير — يستأذن عمر فى قتل علوج الفرس مطلقاً الذين كانوا بالمدينة ، لما اتهموهم بالفساد ، اعتقد جواز مثل هذا ... واذا كان الهرمزان ممن أعان على قتل عمر كان من المفسدين فى الأرض المحاربين فيجب قتله لذلك . ولو قدر أن المقتول معصوم الدم يحرم قتله ، لكن كان القاتل متأولا ويعتقد حل قتله لشبهة ظاهرة ، صار ذلك شبهة تدرأ عن القاتل (يعنى عن عبيد الله بن عمر) . قلت : والى هذا ذهب عثمان فى اكتفائه بالدية =

وأيضاً فان أحداً لم يقم بطلبه [فكيف] يصح مع هذه الاحتمالات كلها أن ينظر فى أمر لم يصح ؟ .

١٨ ــ وأما تعلقهم بأن الكتاب وجد مع غلامه ــ ولم يقل أحد قط انه كان غلامه (١٤١) ــ الى عبد الله بن سعد بن أبى سرح يأمره بقتل حامليه (١٤٢)

=

واحتملها من ماله الخاص (*) . ولو أن حادث مقتل أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ــ بجميع ظروفه ــ وقع مثله فى اى بلد آخر مهما بلغ فى ذروة الحضارة لما كان منهم مثل الذى كان من الصحابة فى تسامحهم الى حد المطالبة حتى بقتل ابن أمير المؤمنين المقتول بيد الغدر والنذالة والبغى الذميم . (خ)

(١٤١) وانما قالوا انه غلام الصدقة ، أى أحد رعاة ابل الصدقة . وابل الصدقة ألوف كثيرة لها مئات من الرعاة . وان صح أنه من رعاة ابل الصدقة فهؤلاء لكثرتهم وتبدلهم دائماً بغيرهم لا يكاد يعرفهم رؤساؤهم فضلا عن أن يعرفهم أمير المؤمنين وكبار عماله وأعوانه . ومع افتراض أنه من رعاة ابل الصدقة فما أيسر أن يستأجره هؤلاء البغاة لغرض من أغراضهم . وقد ثبت أن الأشتر وحكيم بن جبلة تخلفا فى المدينة عند رحيل الثوار عنهـا مقتنعين بأجوبة عثمان وحججه . وفى مدة تخلف الأشتر وحكيم بن جبلة تم تدبير الكتاب وحامله للتذرع بهما فى تجديد الفتنة ورد الثوار ، ولم يكن لأحد غير الأشتر وأصحابه مصلحة فى تجديد الفتنة . وكم لهم من حيل أكثر التواء من استئجار راع يرعى ابل الصدقة . بل لقد ذكروا عن محمد بن أبى حذيفة ربيب عثمان الآبق من نعمته أنه كان فى نفس ذلك الوقت موجوداً فى مصر يؤلب النـاس على أمير المؤمنين ويزور الكتب على لسان أزواج النبى صلى الله عليـه وآله وسلم ويأخذ الرواحل فيضمرها ويجعل رجالا على ظهور البيوت فى الفسطاط ووجوههم الى الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافر ثم يأمرهم أن يخرجوا الى طريق الحجاز بمصر ثم يرسلوا رسلا يخبرون عنهم الناس ليستقبلوهم ... فاذا لقوهم قالوا انهم يحملون كتباً من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى

(*) وكما قتل عبيد الله بن عمر الهرمزان ، قتل ابنة أبى لؤلؤة ، وقتل أيضاً جفينة النصرانى لاتهامه بذلك ، فقال أعداء عثمان رضى الله عنه انه لم يقتص من عبيد الله بسبب ذلك .

والجواب ان ابنة أبى لؤلؤة كانت مجوسية ، وجفينة كان نصرانياً وقـد قال النبى عليه الصلاة والسلام كما جاء فى البخارى : « لا يقتل مسلم بكافر » وقد دفع عثمان ديتهما كما دفع دية الهرمزان بعد عفو ابنه عن عبيد الله كمـا رأينا فى غير هذا المكان . (م)

فقد قال لهم عثمان : اما أن تقيموا شاهدين على [بذلك] ، والا فيمينى أنى ما كتبت ولا أمرت (١٤٣) . وقد يكتب على لسان الرجل ، ويضرب على خطه، وينقش على خاتمه (١٤٤) .

فقالوا : [تسلم] لنا مروان . فقال : لا أفعل . ولو سلمه لكان ظالما (١٤٥) وانما عليهم أن يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه ، فما ثبت

= الشكوى من حكم عثمان ، وتتلى هذه الكتب فى جامع عمرو بالفسطاط على ملأ الناس وهى مكذوبة مزورة وحملتها كانوا فى مصر ولم يذهبوا الى الحجاز (انظر كتاب الأستاذ المحقق الشيخ صادق عرجون عن « عثمان بن عفان » ص ١٣٢ ــ ١٣٣) . فتزوير الكتب فى مأساة البغى على أمير المؤمنين عثمان كان من أسلحة البغاة استعملوه من كل وجه وفى كل الأحوال . وقد تقدم المثال على ذلك ، وسيأتى طرف منه فيما بعد .

(١٤٢) وكيف يكتب الى عبد الله بن سعيد بن أبى سرح وقد أذن له بالمجىء الى المدينة ويعلم أنه خرج من مصر (الطبرى ٥ : ١٢٢) وكان المتسلط على الحكم فى الفسطاط محمد بن أبى حذيفة رئيس البغاة وعميدهم فى هذه الجهة . ومضمون الكتاب المزور قد اضطرب رواة أخباره فى تعيين مضمونه . وسيأتى الكلام على ذلك كله فيما بعد . (خ)

(١٤٣) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ١٨٨) : كل ذى علم بحال عثمان يعلم أنه لم يكن ممن يأمر بقتل محمد بن أبى بكر ولا أمثاله، ولا عرف منه قط أنه قتل أحدا من هذا الضرب . وقد سعوا فى قتله (أى فى قتل أمير المؤمنين عثمان) ودخل عليه محمد فيمن دخل ، وهو لا يأمر بقتالهم دفعا عن نفسه ، فكيف يبتدىء بقتل معصوم الدم . (خ)

(١٤٤) وقد حدث مثل ذلك فى زمن عمر ، كما رواه البلاذرى فى فتوح البلدان (ص ٤٨ ٤طبع سنة ١٣٥٠) ، والحافظ ابن حجر فى الاصابة (٣ : ٥٢٨ طبع سنة ١٣٢٨) . (خ)

(١٤٥) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ١٨٩) بل عثمان ان كان أمر بقتل محمد بن أبى بكر هو أولى بالطاعة ممن طلب قتل مروان ، لأن عثمان امام هدى وخليفة راشد يجب عليه سياسة رعيته وقتل من لا يدفع شره الا بقتله . واما الذين طلبوا قتل مروان فقوم خوارج مفسدون فى الأرض ليس لهم قتل احد ولا اقامة حد . وليس مروان أولى بالفتنة والشر من محمد ابن أبى بكر ، ولا هو (أى ابن أبى بكر) أشهر بالعلم والدين منه (أى من مروان) . بل أخرج أهل الصحاح عدة أحاديث عن مروان ، وله قول مع أهل الفتيا ، واختلف فى صحبته . ومحمد بن أبى بكر ليس بهذه المنزلة عند الناس .. ومروان من اقران ابن الزبير .. الخ . (خ)

كان هو منفذه ، وآخذه [ان كان له أخذه] والممكن لمن يأخذه بالحق. ومع سابقته وفصيلته ومكانته لم يثبت عليه ما يوجب خلعه فضلا عن قتله .

وأمثل ما روى فى قصته أنه ـ بالقضاء السابق ـ تألب عليه قوم لأحقاد اعتقدوها : ممن طلب أمراً فلم يصل اليه ، وحسد حسادة أظهر داءها ، وحمله على ذلك قلة دين وضعف يقين ، وايثار العاجلة على الآجلة (١٤٦) . واذا نظرت اليهم ذلك صريح ذكرهم على دناءة [قدرهم] (١٤٧) وبطلان أمرهم (١٤٨) .

كان الغافقى المصرى أميرالقوم (١٤٩) ، وكنانة بن بشر التجيبى (١٥٠) ،

---

(١٤٦) بمثل هذه الأوصاف وصفهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى الخطبة التى خطبها على الغرائر فى معسكره بالكوفة عندما كان الصحابى الفارس المجاهد القعقاع بن عمرو التميمى يسعى باتمام المهمة التى جاءت عائشة وطلحة والزبير لاتمامها ، فروى الطبرى (٥ : ١٩٤) أن علياً ذكر انعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه . وقال على مسمع من قتلة عثمان : « ثم حدث هذا الحدث الذى جره على الأمة اقوام طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاء الله عليه على الفضيلة ، وارادوا رد الأشياء على أدبارها » . ثم ذكر أنه راحل غداً الى البصرة ليجتمع بأم المؤمنين وأخويه طلحة والزبير وقال : « الا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان رضى الله عنه بشىء فى شىء من أمور الناس ، وليغن السفهاء عنى أنفسهم » . (خ)

(١٤٧) هكذا فى المخطوطة ـ ولكن الشيخ محب أثبتها (قلوبهم) ولم يشر الى ذلك . (س)

(١٤٨) اجملنا فى ما مضى أوصاف البارزين ممن خرج على عثمان . أول من اكتشف سريرتهم ، ونظر الى وجوههم بنور الله فتشاءم منهم ، رجل الاسلام المحدث امير المؤمنين عمر بن الخطاب صاحب الفراسة التى لا تخطىء . روى الطبرى (٤ : ٨٦) أن عمر لما استعرض الجيوش للجهاد سنة ١٤ مرت أمامه قبائل السكون اليمنية مع أول كندة يتقدمهم حصين بن نمير السكونى ومعاوية بن حديج أحد الصحابة الذين فتحوا مصر ثم كان أحد ولاتها ، فاعترضهم عمر ، فاذا فيهم فتية دلم سباط ، فأعرض عنهم ثم اعرض ثم أعرض ، حتى قيل له : مالك ولهؤلاء فقال : انى عنهم لمتردد ، وما مر بى قوم من العرب أكره الى منهم . فكان منهم سودان بن حمران وخالد بن ملجم وكلاهما من البغاة على عثمان . (خ)

(١٤٩) هو الغافقى بن حرب العكى من أبناء وجوه القبائل اليمنية التى نزلت مصر عند الفتح . فلما تظاهر ابن سبأ بالتشيع لعلى ولم يجد مرتعاً =

لفساده فى الحجاز ولا فى الشام ، اكتفى باصطناع بعض الأعوان فى البصرة والكوفة ، واختار الاقامة فى الفسطاط ، فكان الغافقى هذا من قنائصه ، وقد استمالوه من ناحية تهافته على الرئاسة والجاه . وكان محمد بن أبى حذيفة ابن عتبة الأموى ربيب عثمان الآبق من نعمته هو اليد اليمنى لتنفيذ خطط السبأيين فى مصر . والغافقى للتصدر والظهور . وفى شوال سنة ٣٥ أعدوا عدتهم للزحف من مصر على المدينة بأربع فرق مجموع رجالها نحو ستمائة وعلى كل فرقة رئيس ورئيسهم العام الغافقى هذا ، وتظاهروا بأنهم يقصدون الحج . وفى المدينة تطورت حركاتهم الى أن استفحل الأمر ومنعوا عثمان من الصلاة بالناس فى المسجد النبوى فصار الغافقى هو الذى يصلى بالناس (الطبرى ٥ : ١٠٧) ثم لما أقنعهم الشيطان بالجرأة على الجناية الكبرى كان الغافقى أحد المجترئين عليه وضربه بحديدة معه وضرب (*) المصحف برجله فاستدار (الطبرى ٥ : ١٣٠) وبعد قتل عثمان بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقى بن حرب (الطبرى ٥ : ١٥٥) . (خ)

(١٥٠) وهذا أيضاً كان من قنائص ابن سبأ فى مصر . ولما أرسل عثمان عماراً (**) الى مصر ليكتشف له أمر الاشاعات وحقيقة الحال ، استماله السبأيون ، وكان كنانة بن بشر هذا واحدا منهم (الطبرى ٥ : ٩٩) . وعندما جمعوا أوشاب القبائل للزحف على المدينة بحيلة الحج فى شوال سنة ٣٥ انقسموا فى مصر الى اربع فرق على كل فرقة أمير ، وكان كنانة بن بشر أميرا على احدى هذه الفرق (الطبرى ٥ : ١٠٣) ثم كان فى طليعة من اقتحم الدار على عثمان وبيده شعلة من نار تنضج بالنفط ، فدخل من دار عمرو بن حزم ودخلت الشعل على أثره (الطبرى ٥ : ١٢٣) ، ووصل كنانة التجيبى الى عثمان فأشعره مشقصاً (أى نصلا طويلا عريضاً) فانتضح الدم على آية « فسيكفيكهم الله » (الطبرى ٥ : ١٢٦) وقطع يد نائلة زوجة عثمان واتكأ بالسيف على صدر عثمان وقتله (الطبرى ٥ : ١٣١) ، قال محمد بن عمر الواقدى : حدثنى عبد الرحمن بن أبى الزناد المدنى ، عن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزومى المدنى المتوفى سنة ٤٣ قال : الذى قتل أمير المؤمنين عثمان هو كنانة بن بشر بن عتاب التجيبى (الطبرى ٥ : ١٣٢) وفيه يقول الوليد بن عقبة بن أبى معيط :

(*) فى سند هذا الخبر الغريب الموحش سيف الذى يكتب التاريخ ، وهو متهم بالكذب كما جاء فى الميزان واللسان . (م) .

(**) قضية استمالة السبئيين لعمار ، وصلاة الغافقى بالناس فى المدينة فى سندهما سيف بن عمر التيمى الجرمى ضعيف جدا واتهم بالوضع والزندقة! كما جاء فى التهذيب لابن حجر وهكذا نرى قسما كبيرا من تاريخنا من وضع الزنادقة فهل من معتبر ؟ ! (م) .

وسودان ابن حمران (١٥١) ، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى (١٥٢) ،

=

الا ان خير الخلق بعد ثلاثة قتيل التجيبى الذى جاء من مصر

وكانت عاقبة كنانة هذا وقوعه قتيلا فى الحرب التى نشبت سنة ٣٨ فى مصر بين محمد بن أبى بكر الصديق نائب على وبين عمرو بن العاص ومن معه من جيش معاوية ابن حديج السكونى (الطبرى ٦ : ٥٨ ــ ٥٩ و ٦٠) . (خ)

(١٥١) السكونى ، من قبائل مراد اليمنية النازلة فى مصر . وقد تقدم أنه كان فى سنة ١٤ ــ أحد الذين قدموا فى خلافة عمر للجهاد مع جيوش اليمن بقيادة حصين ن نمير ومعاوية بن حديج ، فلما استعرضهم أمير المؤمنين وقع نظره على سودان بن حمران هذا وعلى زميله خالد بن ملجم فتشاءم منهما وكرههما . ولما أرسل أمير المؤمنين عثمان عماراً الى مصر ليكتشف له مصدر الاشاعات الكاذبة وحقيقة الحال التف السبأيون بعمار وكان سودان بن حمران منهم (الطبرى ٥ : ٩٩) . ولما سير السبأيون متطوعة الفتنة من أوشاب القبائل اليمنية التى فى مصر فى شوال سنة ٣٥ نحو المدينة وجعلوهم اربع فرق كان سودان قائد احدى هذه الفرق (الطبرى ٥ : ١٠٣) ، ولما وصل متطوعة الفتنة الى المدينة وخرج لهم محمد بن مسلمة ليعظم لهم حق عثمان وما فى رقابهم من البيعة له رآهم ينقادون لأربعة هذا واحد منهم (الطبرى ٥ : ١١٨) . وفى ٥ : ١٣١ من تاريخ الطبرى وصف تسور سودان ومعه آخرون من دار عمرو بن حزم الى دار عثمان . وفى ٥ : ١٣٠ بعض تفاصيل ما وقع من سودان عند ارتكابهم الجناية العظمى . ولما انتهوا من قتل أمير المؤمنين خرج سودان من الدار وهو ينادى : قد قتلنا عثمان بن عفان (الطبرى ٥ : ١٢٣) . (خ) .

(١٥٢) كان أبوه رجلا مسناً من مسلمة الفتح . وورد ذكر عبد الله بن بديل فى الفتنة العظمى على أمير المؤمنين عثمان ، فذكر الطبرى (٥ : ١٢٤ ــ ١٢٥) ان المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة خرج هو وعبد الله ابن الزبير ومروان وغيرهم يدافعون عن أمير المؤمنين على باب الدار ، فحمل عبد الله بن بديل على الأخنس بن شريق وقتله . ونقل الحافظ ابن حجر فى الاصابة (٢ : ٢٨٠) عن ابن الكلبى أن عبد الله بن بديل وأخاه عبد الرحمن شهدا صفين مع على وقتلا بها . والظاهر أن أخاه قتل قبله ، فقد نقل ابن حجر (فى الاصابة ٢ : ٢٨١) عن ابن اسحاق فى كتاب الفردوس أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب لما قدم الكوفة ــ اى مع جيش أهل الشام ــ لقى عبد الله بن بديل ، فنصح له ابن بديل بأن لا يهرق دمه فى هذه الفتنة ، فاعتذر عبيد الله بن عمر بأنه يطلب بدم أمير المؤمنين عثمان الذى قتل ظلما ، واعتذر ابن بديل بأنه يطلب بدم أخيه الذى قتل ظلما . وكيف يكون أخوه قتل ظلماً

=

وحكيم بن جبلة من أهل البصرة (١٥٣) ، ومالك بن الحارث الأشتر (١٥٤) فى طائفة هؤلاء رؤوسهم ، فناهيك بغيرهم .

=

وقد قتل فى فتنة تطوع للمساهمة فيها مختاراً ، بينما عثمان وهو أمير المؤمنين الذى له حق الولاية عليهم كان مبغيا عليه من ابن بديل وأمثاله ومن هم أقل منه شأنا ومع ذلك لم يقاتل أحداً ، ولم يدافع عن نفسه ، ونهى الناس عن أن يدافعوا عنه أو باشاً قدموا الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من مختلف البلاد ليرتكبوا الشر والاثم . وأين عثمان الذى ملأت حسناته الأرض وتعطرت بأريجها السماء ، من عبد الرحمن ابن بديل الذى لا يكاد يعرف له التاريخ عملا . (خ)

(١٥٣) حكيم بن جبلة العبدى من قبائل عبد القيس ، أصلهم من عمان وسواحل الخليج الفارسى (*) ، وتوطن بالبصرة بعد تمصيرها . وكان حكيم هذا شاباً شجاعاً ، وكانت الجيوش الاسلامية التى تزحف نحو الشرق لنشر الدعوة والفتوح تصدر عن البصرة والكوفة ، فكان حكيم بن جبلة يرافق هذه الجيوش ، ويجازف فى بعض حملات الخطر ، كما تفعل كتائب (الكوماندوس) فى هذا العصر . وقد استعملته جيوش أمير المؤمنين عثمان فى احدى هذه المهمات عند محاولتها استكشاف الهند كما نوهت بذلك فى مقالة (طلائع الاسلام فى الهند) . ويؤكد شيوخ سيف بن عمر التميمى (وهو أعرف المؤرخين بتاريخ العراق) على ما نقله عنه الطبرى (٥ : ٩٠) أن حكيم بن جبلة كان اذا قفلت الجيوش خنس عنهم فسعى فى أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد فى الأرض ويصيب ما شاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة الى عثمان ، فكتب عثمان الى عبد الله بن عامر أن احبسه ومن كان مثله فلا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشدا ، فحبسه (أى منعه من مبارحة البصرة) . فلما قدم عبد الله بن سبأ البصرة نزل على حكيم بن جبلة ، واجتمع اليه نفر ، فنفث فيهم سمومه . فأخرج ابن عامر عبد الله بن سبأ من البصرة ، فأتى الكوفة فأخرج منها ، ومن هناك رحل ابن سبأ الى الفسطاط ولبث فيه وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم . وذكر الطبرى (٥ : ١٠٤) أن السبأية لما قرروا الزحف من الأمصار على مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان عدد من خرج منهم من البصرة كعدد من خرج من مصر ، وهم مقسمون كذلك الى أربع فرق ، والامير على احدى هذه الفرق حكيم بن جبلة ونزلوا فى المدينة فى مكان يسمى ذا خشب . ولما حصبوا أمير المؤمنين عثمان وهو يخطب على المنبر النبوى كان حكيم بن جبلة واحداً منهم (الطبرى ٥ : ١٠٦) . ولما رحل الثوار عن المدينة فى المرة الأولى بعد مناقشتهم لعثمان

=

(*) بل الخليج العربى . (م)

وقد كانوا أثاروا فتنة ، فأخرجهم عثمان بالاجتهاد ، وصاروا فى جماعتهم

وسماعهم دفاعه واقتناعهم ، تخلف فى المدينـــة الاشتر وحكيم بن جبـلة (الطبرى ٥ : ١٢٠) وفى ذلك شبهة قوية بأن لهما دخلا فى افتعال الكتاب المزور على أمير المؤمنين . ولما جاءت عائشة وطلحة والزبير الى البصرة وأوشكوا أن يتفاهموا مع أمير المؤمنين علىّ على رد الأمور الى نصابها كان حكيم بن جبلة هو الذى انشب القتال لئلا يتم التفاهم والاتفاق (الطبرى ٥ : ١٧٦ وما بعدها) وارتكب دناءة قتل امرأة من قومه سمعته يشتم أم المؤمنين عائشة فقالت له : يا ابن الخبيثة أنت أولى بذلك فطعنها فقتلها (الطبـــرى ٥ : ١٧٩) وحينئـــذ تخلى قومه عن نصرته الا الأغمار منهم ، وما زال يقاتل حتى قطعت رجله ، ثم قتل وقتل معه كل من كان فى الوقعة من البغاة على عثمان ، ونادى منادى الزبير وطلحة بالبصرة : « ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم » فجىء بهم كما يجاء بالكلاب فقتلوا . فما أفلت منهم الا حرقوص بن زهير السعدى من بنى تميم (الطبرى ٥ : ١٨٠) . روى عامر بن حفص عن أشياخه قال : ضرب عنق حكيم بن جبلة رجل من الحدان يقال له ضخيم فمال رأسه فتعلق بجلده فصار وجهه فى قفاه (الطبرى ٥ : ١٨٢) . (خ)

(١٥٤) من النخع ، وهى قبيلة يمنية من قبائل مذحج . بطل شجاع من أبطال العرب ، كان أول مشاهده الحربية فى اليرموك ، وفيها فقد احـــدى عينيه . ثم شاء أن يكون سيفه مسلولا على اخوانه المسلمين فى مواقف الفتنة، ولو انه لم يكن ممن ألب على أمير المؤمنين عثمان ، وكتب الله أن تكون وقائعه الحربية فى نشر دعوة الاسلام وتوسيع الفتوح ، لكان له فى التاريخ شأن آخر . والذى دفعه فى هذا الطريق غلوه فى الدين وحبه للرئاسة والجاه ولست أدرى كيف اجتمعا فيه . والأشتر أحد الذين اتخذوا الكوفة دار اقامة لهم ، فلمـــا كانت امارة الوليد بن عقبة على الكوفة كان الأشتر يشعر فى نفسه بأنه أهـــل للولاية والرئاسة ، فانزلق مع العائبين على الدولة ورجالها من الخليفة الأعلى فى المدينة الى عامله على الكوفة الوليد بن عقبة . ولما سرق أبو زينب وأبو مورع خاتم الوليد من منزله وذهبا به الى المدينة فشهدا على الوليد بشرب الخمر كما تقدم فى ص ٧٦ أسرع الأشتر وآخرون معه بالذهاب الى المدينة لتوســيع دائرة الفتنة ، حتى اذا عزل عثمان الوليد سعيد بن العاص عاد الأشتر مع سعيد الى الكوفة (الطبرى ٥ : ٦٣) . وكان عثمان قد سن نظام مبـــادلة الأراضى ، فمن كانت له أرض من الفىء فى مكان بعيد عنه يبادل عليها بأرض قريبة منه بالتراضى بين المتبادلين . وبهذه الطريقة تخلى طلحة بن عبيد الله عن أسهمه فى خيبر واشترى بها من فىء أهل المدينة بالعراق أرضا يقال لهـــا النشاستج (الطبرى ٥ : ٦٤) . وبينما كان سعيد بن العاص فى دار الامارة بالكوفة والناس عنده أثنى رجل على طلحة بن عبيد الله بالجود ، فقال سعيد

. . . .

=
ابن العاص : لو كان لى مثل أرض النشاستج لأعاشكم الله عيشاً رغداً . فقال له عبد الرحمن بن خنيس الأسدى : وددت لو كان هذا الملطاط لك . والملطات أرض على جانب الفرات كانت لآل كسرى . فغضب الأشتر وأصحابه وقالوا للأسدى : تتمنى له من سودانا ! فقال والده : ويتمنى لكم أضعافه . فثار الأشتر وصحبه على الأسدى وأبيه وضربوهما فى مجلس الامارة حتى غشى عليهما . وسمعت بذلك بنو أسد فجاءوا وأحاطوا بالقصر ليدافعوا عن رجليهما ، فتلافى سعيد بن العاص هذه الفتنة بحكمته ، ورد بنى أسد عن الأشتر وجماعته . وكتب أشراف الكوفة وصلحاؤها الى عثمان فى اخراج هؤلاء المشاغبين من بلدهم ، فأرسلهم الى معاوية فى الشام (الطبطرى ٥ : ٨٥ — ٨٦) ثم أخرجهم معاوية فنزلوا جزيرة ابن عمر تحت حكم عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد الى أن تظاهروا بالتوبة ، فذهب الأشتر الى المدينة ليرفع الى عثمان توبتهم ، فرضى عنه عثمان وأباح له الذهاب حيث شاء فاختار العودة الى زملائه الذين عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فى الجزيرة (الطبرى ٥ : ٨٧ — ٨٨) . وفى الوقت الذى كان فيه الأشتر يعرض على عثمان توبته وتوبة زملائه وذلك فى سنة ٣٤ كان السبأئيون فى مصر يكاتبون أشياعهم فى الكوفة والبصرة بأن يثوروا على أمرائهم واتعدوا يوما ، فلم يستقم ذلك الا لجماعة الكوفة ، فثار بهم يزيد بن قيس الأرحبى (الطبرى ٥ : ١٠١) . ولما وصل الأشتر من المدينة الى اخوانه الذين عند عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد وجد بين أيديهم كتاباً من يزيد بن قيس الأرحبى يقول لهم فيه : لا تضعوا كتابى من أيديكم حتى تجيئوا . فتشاءموا من هذه الدعوة وآثروا البقاء ، وخالفهم الأشتر فرجع عاصياً بعد توبته ، والتحق بثوار الكوفة وقد نزلوا فى الجرعة مكان مشرف على القادسية ، وهناك تلقوا سعيد بن العاص أمير الكوفة وهو عائد من المدينة فردوه ، ولقى الأشتر مولى لسعيد بن العاص فضرب الأشتر عنقه . وبلغ عثمان أنهم يريدون اقالة سعيد بأبى موسى الأشعرى فأجابهم الى ما طلبوا (الطبرى ٥ : ٩٣ — ٩٤) . ولما فشل موعد سنة ٣٤ واقتصرت الفتنة على ما كان فى الجرعة ، اتعد السبأيون للسنة التى بعدها (سنة ٣٥) ورتبوا أمرهم على التوجه الى المدينة مع الحجاج كالحجاج ، وكان الأشتر مع خوارج الكوفة رئيساً على فرقة من فرقهم الأربع (الطبرى ٥ : ١٠٤) وبعد وصولهم الى المدينة ناقشهم أمير المؤمنين عثمان وبين لهم حجته فى كل ما كانوا يظنونه فيه ، فاقتنع جمهورهم بذلك وحملوا رؤساء الفتنة على الرضا بأجوبة عثمان وارتحلوا من المدينة للمرة الأولى . الا أن الأشتر وحكيم بن جبلة تخلفا فى المدينة ولم يرتحلا معهم (الطبرى ٥ : ١٢٠) . ولما وصل المصريون الى مكان يسمى البويب اعترضهم راكب مثل لهم دور حامل الكتاب المزعوم ،
=

عند معاوية (١٥٥) ، فذكرهم بالله وبالتقوى لفساد الحال وهتك حرمة الأمة (١٥٦) ، حتى قال له زيد بن صوحان [يوماً] — فيما يروى (١٥٧) — :

= وسيأتي الحديث عن ذلك فيما بعد . ونقل الطبرى (٥ : ١٩٤) أن الأشتر كان في مؤتمر السبأيين الذى عقدوه قبيل ارتحال علي من الكوفة الى البصرة للتفاهم مع طلحة والزبير وعائشة . فقرر السبأيون في مؤتمرهم هذا أن ينشبوا الحرب بين الفريقين قبل أن يصطلحا عليهم . وفي وقعة الجمل اصطرع عبد الله بن الزبير والأشتر واختلفا ضربتين وقال عبد الله بن الزبير كلمته المشهورة : « اقتلوني ومالكا » فأفلت منه مالك الأشتر ، روى الطبرى (٥:٢١٧) عن الشعبى أن الناس كانوا لا يعرفون الأشتر باسم مالك ، ولو قال ابن الزبير « اقتلوني والأشتر » وكانت للأشتر ألف ألف نفس ما نجا منها شيء ، ومازال يضطرب في يدى ابن الزبير حتى أفلت . وروى الطبرى (٥ : ١٩٤) أن علياً لما فرغ من البيعة بعد وقعة الجمل واستعمل عبد الله بن عباس على البصرة بلغ الأشتر الخبر باستعمال على ابن عباس فغضب وقال : « على ما قتلنا الشيخ اذن ! اليمن لعبيد الله ، والحجاز لقثم ، والبصرة لعبد الله ، والكوفة لعلى ! » ثم دعا بدابته فركب راجعا . وبلغ ذلك علياً فنادى : الرحيل ! ثم أجد السير فلحق به فلم يره أنه بلغه عنه وقال : « ما هذا السير ؟ سبقتنا ! » . وخشى ان ترك والخروج أن يوقع في نفس الناس شرا . ثم اشترك الأشتر في حرب صفين . وولاه على امارة مصر بعد صرف قيس بن سعد بن عبادة عنها . فلما وصل القلزم (السويس) شرب شربة عسل فمات ، فقيل انها كانت مسمومة ، وكان ذلك سنة ٣٨ (الاصابة ٣ : ٤٨٢) . (خ)

(١٥٥) أثاروا الفتنة يوم ضربوا عبد الرحمن بن خنيس الأسدى وأباه وهم في دار الأمارة بالكوفة ، فكتب أشراف الكوفة وصلحاؤها الى عثمان باخراجهم الى بلد آخر ، فسيرهم الى معاوية في الشام . والذين سيروا الى معاوية هم : الأشتر النخعى ، وابن الكواء اليشكرى ، وصعصعة بن صوحان العبدى ، وأخوه زيد ، وكميل بن زياد النخعى ، وجندب بن زهير الغامدى ، وجندب بن كعب الأزدى ، وثابت بن قيس بن منقع ، وعروة ابن الجعد البارقى ، وعمرو بن الحمق الخزاعى . (خ)

(١٥٦) نص كلام معاوية كما رواه الطبرى (٥ : ٨٦) : « انكم قوم من العرب ، لكم أسنان والسنة ، وقد أدركتم بالاسلام شرفا ، وغلبتم الأمم ، وحويتم مراتبهم ومواريثهم . وقد بلغنى أنكم نقمتم قريشاً ، وان قريشاً لو لم تكن عدتم أذلة كما كنتم . ان أئمتكم الى اليوم جُنّة ، فلا تسدوا عن جنّتكم . وان أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور ، ويحتملون منكم المؤونة . والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم ثم لا يحمدكم على الصبر ، ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم » . (خ)

(١٥٧) بل القائل أخوه صعصعة . (خ)

« كم تكثر علينا [من الأمرة] وبقريش ، فما زالت العرب تأكل من قوائم سيوفها وقريش تجاهد [١٥٨] ». فقال له معاوية : « لا أم لك.أذكرك بالاسلام وتذكرني بالجاهلية ! قبح الله من كثر على أمير المؤمنين بكم ، فما أنتم ممن ينفع أو يضر . اخرجوا عني [١٥٩] » .

وأخبره ابن الكوا بأهل الفتنة [١٦٠] في كل بلد ومؤامرتهم [١٦١] ،

---

(١٥٨) وقال أيضا لمعاوية : « وأما ما ذكرت من الجنة ، فان الجنة اذا اخترقت خلص الينا » أي اذا قتلنا ولاتنا صارت الولاية الينا . ولو أن هذه الكلمة قالها ثائر وهو من قبضة حاكمه ــ منذ بدأت الحكومات الى أن تقوم الساعة ــ ما وجد من حاكمه حلماً وسعة صدر كالذي وجده صعصعة من معاوية مع قدرته عليه . (خ)

(١٥٩) وجواب معاوية على كلام صعصعة في وصف قريش ومكانتها طويل ونفيس ، وقد أورده الطبري (٥ : ٨٦) . (خ)

(١٦٠) قد يقول قائل : الا يدل ما وقع من الحوادث في مأساة استشهاد الخليفة عثمان على غفلته في عدم علمه فيما يجري في الخفاء من تآمر المتآمرين .

في الحقيقة ان هذا الخليفة لم يكن على الرغم من اشتغاله بالفتوحات الواسعة التي تمت في عهده ، غافلا عن المؤمرات التي كانت تحاك ضده من اجل الكيد للاسلام ، بل كان على مستوى الأحداث بعيدا عن تهمة الضعف التي تتردد على السنة خصومه .

قال الأستاذ المؤرخ محمد عزة دروزة :

وقد نشط ابن سوداء (أي عبد الله بن سبأ) وجماعاته في بث الدعاية ضد عثمان وامرائه حتى أوسعوا الارض اذاعة كما جاء في رواية الطبري . وكانوا يكتبون كتباً في الغيب فيهم ويرسلونها للناس في الأمصار . وبلغ ذلك أهل المدينة فجاؤوا الى عثمان يسألونه هل أتاه من الأمصار مثل ما اتاهم . فقال لهم والله ما جاءني الا السلامة ، فأخبره . فقال لهم : انتم شركائي وشهود المؤمنين ! فأشيروا علي ، فأشاروا عليه ارسال أشخاص ممن يثق فيهم للامصار ، ليقولوا لأهلها انهم لم ينكروا شيئاً من عثمان ، لا اعلاموهم ولا عوامهم ... وان الأمراء يقسطون بين الناس (الطبري ج ٣ ص ٣٧٩) .

ثم كتب الى أهل الأمصار كتاباً عاماً يذكر فيه ما بلغه من الاذاعات والطعن على الامراء ويقول : انه تولى أمر المؤمنين ليقوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وانه ولى عماله على ذلك ، وانه مستعد لسماع كل شكوى منه ومن عماله وانصاف صاحبها ، واعطاء كل ذي حق حقه ، ويدعو من له شكوى الى موافاته في الموسم (٣٨٠ ــ ٣٨١) الطبري نقلا عن تاريخ الجنس العربي ٧/٢٣١) . ثم استدعى ولاة الأمصار واستطلعهم الأمر ، وقال اني اخشى ان

=

فكتب الى عثمان يخبره بذلك ، فأرسل اليه بأشـــخاصهم اليه فأخرجهـم

=
يكون مصدقاً عليكم فأكدوا له أنهم سالكون طـريق الحق والمصـلحة ، وان ما بلغه دسائس ووساوس تبث سراً ، واقترح بعضهم تعقيب المذيعين وقتلهم، فأمرهم بالانتباه والرفق والتسامح فيما لا يكون فيه ضياع حقوق الأمة ، ومن الولاة معاوية بن أبى سفيان (عن الجنس العربى ٧/٢٣٢ وقد نقله عن الطبرى) وذكر المؤرخون ان عثمان جمع بعض خاصته ، فشاورهم فى أمر النـــاس ! سمع منهم ثم قال لهم :

لقد سمعت كل ما أشرتم به ، ولكل أمر باب يؤتى منه . ان هذا الأمر الذى يخاف على هذه الأمة كائن . وان بابه الذى يغلق عليه ليفتحن ، فنكفكفه باللين والمواتاه الا فى حدود الله ! فان فتح فلا يكونن لأحد على حجة ، وقد علم الله انى لم آل الناس خيراً . وان رحى الفتنة دائرة ، فطوبى لعثمان ان مات ولم يحركها .

سكتوا الناس وهبوا لهم حقوقهم ، فاذا تعوطيت حقوق الله فلا توهنوا !! (الخليفة المفترى عليه ص ٦٤ للاستاذ محمد صادق عرجون) .

ومن أروع الأدلة على قوة عثمان ورباطة جأشه موقفه حين اشـتد عليـه هجوم الثوار وأصحاب الفتنة ، يقتحمون عليه داره ليقتلوه . وكبار الصحابة الصناديد مع أبنائهم يرجونه للدفاع عنه ، كما فصلنا القول فى غير هذا المكان ، « فيعزم على كل من رأى ان له عليه سمعاً وطاعة أن يكف يده ويلقى سلاحه » حرصاً على دماء المسلمين ، ولو بتعريض حياته للهلاك والقتل .

ليت شعرى أى شجاعة نفسية ، وأى صبر يطلبه الناس وراء هذا ؟ ! اذا كانت الشجاعة هى ضبط النفس عند النوازل فى غير قلق ، والصبر على المكاره من غير جزع ، ومصابرة الحوادث من غير سأم ، والثبات لجســـام الأحداث بلا تزعزع ، فلم تنجب الأمهات مثل عثمان فى شـــجاعته ورباطة جأشه ، وقوة يقينه ، وثباته على رأيه فان أحداً من الناس فى مثل حال عثمان وشأنه ، لم يلق ما لقى عثمان ، ولا شيئاً منه ، ولم يصبر أحد على ما لقى من البلاء والمحنة مثل ما صبر عثمان . وكيف بصبر ينتهى بصاحبه ــ على علم منه وبصيرة ــ الى الموت قتلا ، وكان له لو كان جزوعاً وأراد ألا يصبر عن يقين ورضا ، مخارج ينفذ منها ، ويعيش فى خفض مـن العيش ! ولـكن عثمـان رضى الله عنه لم يكن ضعيفاً ولا مستضعفاً ــ كما يزعم القاصرون والمقصرون ــ بل كان قوى الايمان ، عظيم اليقين ، كبير النفس ، عبقرى الشجاعة ، نبيـل الصبر ، نفاذ البصيرة ، ففدى الأمة ، ووضع لها بذلك أعظم قواعد النظام فى تكوينها الاجتماعى (الخليفة المفترى عليه للاستاذ عرجون ص ٦٥) . (م)

(١٦١) قال ابن الكواء فيما نقله الحافظ ابن عساكر فى ترجمته من تاريخ دمشق (٧ : ٢٩٩) وأبو جعفر الطبرى فى تاريخه (٥ : ٩٢) يصف لمعاوية =

معاوية (١٦٢) ، فمروا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد (١٦٣) ، فحبسهم ، ووبخهم ، وقال لهم : « اذكروا [لى] ما كنتم تذكرون لمعاوية (١٦٤) » . وحصرهم ، وأمشاهم بين يديه أذلاء حتى تابوا بعد حول (١٦٥) .

وكتب الى عثمان بخبرهم ، فكتب اليه أن سرحهم الى . فلما مثلوا بين يديه جددوا التوبة ، وحلفوا على صدقهم ، وتبرأوا مما نسب اليهم (١٦٦)

= أهل الأحداث من أهل الأمصار أما أهل الأحداث من أهل المدينة فهم أحرص الأمة على الشر ، وأعجزهم عنه . وأما أهل الأحداث من أهل الكوفة فانهم أنظر الناس فى صغير ، واركبه لكبير . وأما أهل الأحداث من أهل البصرة فانهم يردون جميعا ويصدرون شتى . وأما أهل الأحداث من أهل مصر فهم أوفى الناس بشر ، واسرعه ندامة . وأما أهل الأحداث من أهل الشام فأطوع الناس لمرشدهم ، واعصاه لمغويهم » . (خ)

(١٦٢) وكتب فيهم الى عثمان « انه قدم على أقوام ليست لهم عقول ولا اديان . أثقلهم الاسلام ، واضجرهم العدل . لا يريدون الله بشىء ، ولا يتكلمون بحجة . انما همهم الفتنة ، وأموال أهل الذمة . والله مبتليهم ومختبرهم ، ثم فاضحهم ومخزيهم . وليسوا بالذين ينكون أحداً الا مع غيرهم . فانه سعيداً ومن قبله عنهم ، فانهم ليسوا لأكثر من شغب أو نكير » (الطبرى ٥ : ٨٧) . (خ)

(١٦٣) وكان يلى حمصاً لمعاوية ، ويتبعه منطقة الجزيرة حران والرقة . (خ)

(١٦٤) وذلك بعد قوله لهم : « يا آلة الشيطان ، لا مرحباً بكم ولا أهل . وقد رجع الشيطان محسوراً وانتم بعد نشاط . خسر الله عبد الرحمن ان لم يؤدبكم حتى يحسركم . يا معشر من لا ادرى أعرب أم عجم ، لكى لا تقولوا لى ما يبلغنى أنكم تقولون لمعاوية . أنا ابن خالد بن الوليد ، أنا ابن من عجمته العاجمات ، أنا ابن فاقىء الردة . والله لئن بلغنى يا صعصعة بن ذل أن أحداً ممن معى دق انفك ثم امصك لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى » (الطبرى ٥ : ٨٧) . (خ)

(١٦٥) كان كلما ركب أمشاهم ، فاذا مر به (صعصعة) قال : يا ابن الحطيئة ، أعلمت ان من لم يصلحه الخير اصلحه الشر ؟ مالك لا تقول كما كان يبلغنى أنك تقول لسعيد ومعاوية فيقول : ويقولون : نتوب الى الله ، أقلنا اقالك الله (الطبرى ٥ : ٨٧ — ٨٨) . (خ)

(١٦٦) الذى قدم الى أمير المؤمنين عثمان فى المدينة هو الأشتر النخعى وحده ، وهو الذى ناب عن ابنى صوحان وابن الكواء والآخرين فى تجديد التوبة التى أعلنوها من قبل لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد . غير أن الفتنة =

[فخيرهم] حيث يسيرون ، فاختار كل واحد ما أراد من البلاد : كوفة ، وبصرة ، ومصر . فأخرجهم ، فما استقروا فى [جنب] ما ساروا حتى ثاروا وألبوا ، حتى انضاف اليهم جمع (١٦٧) .

وساروا اليه (١٦٨) : على أهل مصر عبد الرحمن بن عدس البلوى (١٦٩)،

=
لم تكن مقتصرة على هؤلاء ، بل كانت جرثومتها فى يد ابن سبأ الذى اختار الاقامة فى الفسطاط ، وكان لها جناح فى البصرة ، وللاشتر واخوانه بقية فى الكوفة . وبينما كان الاشتر يجدد توبته وتوبة اخوانه فى المدينة كان أعوان ابن سبأ يكاتبون البصرة والكوفة فى موعد يثبون فيه على ولاتهم ، فما رجع الأشتر بتوبته الى اخوانه الذين كانوا عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد حتى وجد عندهم كتاباً من اخوانهم فى الكوفة يدعونهم للاشتراك فيما اتعدوا له ، فلم يبتهج بهذه الدعوة الى الفتنة والشر الا الأشتر الذى لم يكن قد نسى توبته بعد ، فأسرع الى الكوفة وانضم الى الفتنة التى تسمى فى التاريخ (يوم الجرعة) وكان ذلك فى سنة ٣٤ . (خ)

(١٦٧) لما خفق السبأيون فى الوثوب على ولاتهم سنة ٣٤ فى الموعد الذى وقعت فيه فتنة يوم الجرعة ، اتعدوا لفتنة أخرى بمقياس أوسع يقومون بها فى العام التالى (سنة ٣٥) عند استعداد الحجاج لقصد الحرمين الشريفين من مصر والبصرة والكوفة ، فيذهب الحجاج للقيام بطاعة الله ، ويذهب دعاة الفتنة للمجاهرة بمعصية الله . وقد نظموا انفسهم فى اثنتى عشرة فرقة : أربع فرق من مصر ، واربع من البصرة ، واربع من الكوفة . وفى كل فرقة نحو مائة وخمسين مفتوناً ، أى من كل بلد نحو ستمائة رجل . (خ)

(١٦٨) أى الى أمير المؤمنين عثمان فى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . (خ)

(١٦٩) فارس شاعر ، نزل مصر مع جيش الفتح ، ولم يعرف له فى سيرته شىء انفرد بالامتياز به غير اشتراكه فى هذه الفتنة ، مع دعواه أنه كان من الذين بايعوا تحت الشجرة . واظنه لم يكن من الرؤوس المدبرين للفتنة ، ولكن مدبريها استغلوا ميله الى الرئاسة ، فاستفادوا من سنه ووجاهته بين فرسان القبائل العربية بمصر ، وولوه القيادة على احدى الفرق الأربع التى خرجت من مصر الى المدينة (وقادة الفرق الثلاث الأخرى : كنانة بن بشر التجيبى ، وسودان بن حمران السكونى ، وقتيرة السكونى . ورئيسهم الأعلى الغافقى ابن حرب العكى) . وكان عبد الرحمن بن عديس فى مدة الحصار شديد الوطأة على أمير المؤمنين عثمان واهل بيته . ثم كانت عاقبته القتل فى جبل الجليل بالقرب من حمص ، لقيه أحد الأعراب فلما اعترف له بأنه من قتلة عثمان بادر
=

وعلى أهل البصرة حكيم بن جبلة (١٧٠) ، وعلى أهل الكوفة الاشتر مالك ابن الحارث النخعى (١٧١) . فدخلوا المدينة هلال ذى القعدة سنة خمس وثلاثين (١٧٢) .

فاستقبلهم عثمان . فقالوا : ادع بالمصحف . فدعا به . فقالوا : افتح [السابعة] (١٧٣) — يعنى يونس — فقالوا : اقرأ . فقرأ حتى انتهى الى قوله « آلله اذن لكم أم على الله تفترون » قالوا له قف . قالوا له : أرأيت ما حميت من الحمى ، أذن الله لك أم على الله افتريت ؟ قال : امضه ، انما نزلت فى كذا . وقد حمى عمر ، وزادت الابل فزدت .

فجعلوا يتبعونه هكذا ، وهو ظاهر عليهم . حتى قال لهم : ماذا تريدون ؟ فأخذوا ميثاقه ، وكتبوا عليه ستاً أو خمساً (١٧٥) : أن المنفى [يقلب] (١٧٦)

=

بقتله (معجم البلدان لياقوت : الجليل) . وأخطأ من نسب ابن عديس الى تجيب ، فانه بلوى من قضاعة . أما تجيب بنت ثوبان المذحجية فلا ينسب اليها الا بنو ولديها سعد وعدى ابنى أشرس بن شبيب بن السكون من كندة ، وأين كندة من قضاعة ! . (خ)

(١٧٠) تقدم التعريب به . وهو أمير احدى الفرق الأربع البصرية (والثلاثة الآخرون : ذريح بن عباد العبدى ، وبشر بن شريح « الحطم » ، وابن المحرش الحنفى . ورئيسهم الأعلى حرقوص بن زهير السعدى) . (خ)

(١٧١) تقدم التعريف به . وهو أمير احدى الفرق الأربع الكوفية (والثلاثة الآخرون . زيد بن صوحان العبدى ، وزياد بن النضر الحارثى ، وعبد الله ابن الاصم . ورئيسهم الأعلى عمرو بن الأصم) . (خ)

(١٧٢) نزلوا خارج المدينة على ثلاث مراحل منها ، ثم تقدم ثوار البصرة فنزلوا فى ذى خشب ، ونزل ثوار الكوفة الاعوص ، ونزل عامتهم بذى المروة . (خ)

(١٧٣) ب ، ج ، ز : التاسعة . قارن [الطبرى ج ٢ ص ١١٧] ويونس يأتى ترتيبها السابعة فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه . ونسخة « د » تتفق مع ما ورد فى الطبرى . وكان الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله قد أثبتها التاسعة فى أصل الكتاب (س) .

(١٧٥) أى اشترطوا عليه ستة شروط أو خمسة فى المعانى الآتية . (خ)

(١٧٦) ب ، ج ، ز : يعلب . وكتبها الشيخ محب الدين : يعاد . اجتهادا منه ، ولكنه لم ينبه الى ذلك، رغم أن الشيخ ابن باديس اقترح نفس اللفظة (يقلب) فى الهامش . وشهدت نسخة « د » لاقتراح العلامة ابن باديس . (س)

والمحروم يعطى ، ويوفر الفيء ، ويعدل فى القسم ، ويستعمل [ذو] الأمانة والقوة . فكتبوا ذلك فى كتاب . وأخذ عليهم أن لا يشقوا عصا ، ولا يفرقوا جماعة . ثم رجعوا راضين (١٧٧) . وقيل أرسل اليهم علياً فاتفقوا على الخمس المذكورة ورجعوا راضين . فبينما هم كذلك (١٧٨) ، اذا راكب يتعرض لهم (١٧٩) ، ثم يفارقهم مرارا (١٨٠) . قالوا : مالك ؟ قال : أنا رسول أمير المؤمنين الى عامله بمصر (١٨١) ففتشوه ، فاذا هم بالكتاب على لسان

---

(١٧٧) كان الزاحفون من أمصارهم على مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فريقين : رؤساء خادعين على درجات متفاوتة ، ومرؤوسين مخدوعين ، وهم الكثرة التى بثت فيها دعايات مغرضة حتى ظنت أن هنالك منفيين مظلومين ومحرومين سلبوا حقهم .. الخ . وقد رأيت شهادة أصدق شاهدين فى العراق حينئذ وهما الحسن البصرى وصنوه ابن سيرين عن وفرة الأعطيات والأرزاق وأنواع الخيرات حتى كان منادى عثمان ينادى بدعوة الناس لها فلا يمنع عنها أحد . ورأيت فيما سبق شهادة الامام الشعبى عن تعميم الرزق والخير حتى الى الاماء والعبيد . ولما أصغى عامة الثائرين الى أجوبة عثمان وعرفوا الحقيقة اقتنعوا ورجعوا . وكان رجوعهم من طريقين مختلفين باختلاف اتجاه أمصارهم ، فالمصريون اتجهوا شمالا لغرب ليسايروا ساحل البحر الأحمر الى السويس ومصر ، والعراقيون من بصريين وكوفيين اتجهوا شمالا لشرق منجدين ليبلغوا البصرة والكوفة من أرض العراق . (خ) .

(١٧٨) أى فبينما العراقيون من بصريين وكوفيين فى طريقهم نحو الشرق الى الشمال ، والمصريون فى طريقهم نحو الغرب الى الشمال ، وبين الفريقين مراحل بعيدة لأنهما تقدما فى السير والمسافة تزداد بعداً بينهما . (خ)

(١٧٩) أى للمصريين وحدهم . (خ)

(١٨٠) ولا يتعرض لهم ثم يفارقهم ويكرر ذلك الا ليلفت أنظارهم اليه ، ويثير شكوكهم فيه . وهذا ما أراده مستأجرو هذا الرجل لتمثيل هذا الدور ، ومدبرو هذه المكيدة لتجديد الفتنة بعد أن صرفها الله وأراح المسلمين من شرورها . ولا يعقل أن يكون تدبير هذا الدور التمثيلى صادراً عن عثمان أو مروان أو أى انسان يتصل بهما ، لأنه لا مصلحة لهما فى تجديد الفتنة بعد أن صرفها الله ، وانما المصلحة فى ذلك للدعاة الأولين الى احداث هذا الشغب ، ومنهم الأشتر وحكيم بن جبلة اللذان لم يسافرا مع جماعتهما الى بلديهما ، بل تخلفا فى المدينة (الطبرى ٥ : ١٢٠) ولم يكن لهما أى عمل يتخلفان فى المدينة لأجله الا مثل هذه الخطط والتدابير التى لا يفكران يومئذ فى غيرها . (خ)

(١٨١) وقد صرحوا بأنه عبد الله بن سعد بن أبى سرح (الطبرى ٥ : ١٢٠)

عثمان ، عليه خاتمه الى عامل مصر أن يصلبهم ويقطع أيديهم وأرجلهم (١٨٢). فأقبلوا حتى قدموا المدينة (١٨٣) ، فأتوا علياً فقالوا له : ألم تر الى عدو الله

=

ولا يعقل أن يكتب اليه عثمان أو مروان ، لأنه كان عقب خروج الثوار من مصر متوجهين الى المدينة كتب الى عثمان يستأذنه بالقدوم عليه (الطبرى ٥ : ١٢٢) وخرج بالفعل من مصر نحو العريش وفلسطين وأيلة (العقبة) وتغلب محمد ابن أبى حذيفة على الحكم فى مصر ، وهو عدو لله ورسوله ، وخارج على خليفة المسلمين . فكيف يكتب عثمان أو مروان الى عبد الله بن سعد وعندهما كتابه الذى يستأذن به فى القدوم الى المدينة ؟ [خ]

(١٨٢) الأخبار التى جاء فيها أن الراكب غلام عثمان ، وأن الجمل جمل الصدقة ، وأن عثمان اعترف بذلك ، كلها أخبار مرسلة لا يعرف قائلها أو مكذوبة أذاعها رواة مطعون فى صدقهم وأمانتهم . ومضمون الكتاب اضطربت الروايات فيه ، ففى بعض الروايات « اذا قدم عليك عبد الرحمن بن عديس فاجلده مائة واحلق رأسه ولحيته واطل حبسه حتى يأتيك أمرى . وعمرو ابن الحمق فافعل به مثل ذلك . وسودان بن حمران مثل ذلك . وعروة ابن التباع الليثى مثل ذلك » وفى رواية « اذا أتاك محمد بن أبى بكر الصديق ـ وفلان وفلان ـ فاقتلهم وابطل كتابهم وقر على عملك حتى يأتيك رأيى » وفى رواية ثالثة أن مضمون الكتاب أمر عامله بالقتل والقطع والصلب على هؤلاء الثوار . وهذا الاختلاف فى مضمون كتاب واحد مما يزيد الريبة فى أمره . (خ)

(١٨٣) وأعجب العجب أن قوافل الثوار العراقيين التى كانت متباعدة فى الشرق والغرب عادت معاً الى المدينة فى آن واحد ، أى أن قوافل العراقيين التى كانت بعيدة مراحل بعيدة عن قوافل المصريين علمت بالرواية المسرحية فى الساعة التى مثلت فيها فى البويب فرجعت الى المدينة وقت رجوع المصريين ووصلتا الى المدينة معاً كأنما كانوا على ميعاد . ومعنى هذا أن الذين استأجروا الراكب ليمثل دور حامل الكتاب أمام قوافل المصريين استأجروا راكباً آخر خرج من المدينة معه قاصداً قوافل العراقيين ليخبرهم بأن المصريين اكتشفوا كتاباً بعث به عثمان الى عبد الله بن سعد فى مصر بقتل محمد بن أبى بكر قال الطبرى (٥ : ١٠٥) . فقال لهم على : « كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا ؟ هذا والله أمر ابرم بالمدينة » (يشير كرم الله وجهه الى تخلف الأشتر وحكيم فى المدينة ، وأنهما هما اللذان دبرا هذه المسرحية) . قال الثوار العراقيون : « فضعوه على ما شئتم . لا حاجة لنا الى هذا الرجل . ليعتزلنا » وهذا تسليم منهم بأن قصة الكتاب مفتعلة ، وأن الغرض الأول والأخير هو خلع أمير المؤمنين عثمان وسفك دمه الذى عصمه الله بشريعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم . (خ)

كتب فينا بكذا ؟ وقد أحل الله دمه . قالوا له : فقم معنا إليه . قال : والله لا أقوم معكم . قالوا له : فلم كتبت (١٨٤) إلينا ؟ قال : والله ما كتبت إليكم . فنظر بعضهم إلى بعض (١٨٥) . وخرج عليٌّ من المدينة .

فانطلقوا إلى عثمان فقالوا له : كتبت فينا كذا . قال لهم إما أن تقيموا

---

(١٨٤) د : كتب . ورواية خليفة بن خياط : كتبت (تاريخ خليفة بن خياط ١٤٦/١) . والمؤلف هنا اعتمد على خليفة بن خياط في رواية أخبار الفتنة ووثقه فيها ونوه باسناده [د. عمار طالبي] (س) .

(١٨٥) الطبرى (٥ : ١٠٨) . وهذا الحوار بين على والثوار مجمع عليه فى كل الروايات . وهو نص قاطع على أن اليد التى زورت الكتاب على عثمان ، وبعثت الى العراقيين تخبرهم بذلك وتطلب منهم أن يعودوا الى المدينة ، وهى اليد التى زوّرت على على كتاباً الى الثوار العراقيين بأن يعودوا . وقد قلنا من قبل أن الثوار فريقان ـــ خادع ومخدوع ـــ فالذين نظر بعضهم الى بعض عندما حلف على بأنه لم يكتب اليهم هم من الفريق المخدوع يتعجب كيف لم يكتب على اليهم وقد جاءهم كتابه ، ومن ذا الذى يكون قد كتب الكتاب على لسانه ان لم يكن هو الذى كتبه ؟ وسيأتى قريباً أن مسروق بن الاجدع الهمدانى (وهو من الأئمة الأعلام المقتدى بهم) عاتب أم المؤمنين عائشة بأنها كتبت الى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان ، فأقسمت له بالله الذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون انها ما كتبت اليهم سواداً فى بياض . قال سليمان بن مهران الأعمش ـــ أحد الأئمة الأعلام الحفاظ ـــ : « فكانوا يرون أنه كتب على لسانها » ايها المسلمون فى هذا العصر وفى كل عصر ، ان الأيدى المجرمة التى زورت الرسائل الكاذبة على لسان عائشة أو على وطلحة والزبير هى التى رتبت هذا الفساد كله ، وهى التى طبخت الفتنة من أولها الى آخرها ، وهى التى زورت الرسالة المزعومة على لسان امير المؤمنين عثمان الى عامله فى مصر فى الوقت الذى كان يعلم فيه انه لم يكن له عامل فى مصر ، وقد زورت هذه الرسالة على لسان عثمان بالقلم الذى زورت به رسالة أخرى على لسان على ، كل ذلك ليرتد الثوار الى المدينة بعد أن اقتنعوا بسلامة موقف خليفتهم ، وأن ما كان اشيع عنه كذب كله ، وانه كان يتصرف فى كل أمر بما كان يراه حقاً وخيرا . ولم يكن صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المبشر منه بالشهادة والجنة هو المجنى عليه وحده بهذه المؤامرة السبأية الفاجرة ، بل الاسلام نفسه كان مجنياً عليه قبل ذلك . والأجيال الاسلامية التى تلقت تاريخها الطاهر الناصع مشوهاً ومحرفاً هى كذلك ممن جنى عليهم ذلك اليهودى الخبيث ، والمنقادون له بخطام الأهواء والشهوات .

اثنين من المسلمين ، أو [بينة] (*) ـ كما تقدم ذكره ـ فلم يقبلوا ذلك منه (١٨٦) ونقضوا عهده (١٨٧) وحصروه .

وقد روى أن عثمان جيء إليه بالأشتر ، فقال له : يريد القوم منك إما أن تخلع نفسك ، أو تقص منها ، أو يقتلوك . فقال : أما خلعى ، فلا أترك أمة محمد بعضها على بعض. وأما القصاص ، فصاحباى قبلى لم يقصا من أنفسهما ، ولا يحتمل ذلك بدنى (١٨٨) .

وروى أن رجلا قال له : نذرت دمك . قال : [له : خذ جنبى فشرط فيه بالسيف شرطة أراق منه دمه] (١٨٩) ، ثم خرج الرجل وركب راحلته وانصرف فى الحين (١٩٠) .

---

(١٨٦) لأنهم ما جاءوا ليقبلوا حقاً أو يرجعوا الى شرع ، وانما جاءوا ليخلعوه أو يسفكوا دمه [خ]

(١٨٧) الذى تقدم انهم قطعوه على انفسهم بأن لا يشقوا عصا ولا يفرقوا جماعة . [خ]

(*) وفى طبعة الشيخ الخطيب [يمينى] (س) .

(١٨٨) هذا الخبر فى تاريخ الطبرى (٥ : ١١٧ ـ ١١٨) ، وفى البداية والنهاية (٧ : ١٨٤) ، وفى انساب الأشراف للبلاذرى (٥ : ٩٢) .

(١٨٩) وفى مطبوعة الشيخ الخطيب [خذ جبتى ، فشرط فيها شرطة بالسيف آراق منه دمه] . [س] .

(١٩٠) هذا الخبر فى كتاب التمهيد للامام ابى بكر الباقلانى ص ٢١٦ . وأعجب من ذلك ما رواه الطبرى (٥ : ١٣٧ ـ ١٣٨) أن عمير بن ضابىء البرجمى وكميل بن زياد النخعى حضرا الى المدينة ليغتالا عثمان تنفيذاً لقرار اتخذوه بالكوفة مع بقية عصابتهم ، فلما وصلا الى المدينة نكل عمير ، وترصد كميل للخليفة حتى مرّ به ، فلما التقيا ارتاب منه عثمان ، ووجأ وجهه فوقع على استه ، فقال لعثمان : أوجعتنى يا أمير المؤمنين . قال عثمان : اولست بفاتك ؟! قال : لا والله الذى لا اله الا هو . فاجتمع الناس وقالوا : نفتشه يا أمير المؤمنين . فقال : لا . قد رزق الله العافية ، ولا اشتهى ان اطلع منه على غير ما قال . ثم قال لكميل : « ان كان كما قلت فاقتد منى (وجثا) فوالله ما حسبتك الا تريدنى » . وقال : « ان كنت صادقاً فاجزل الله ، وان كنت كاذباً فأذل الله » وقعد له على قدميه وقال « دونك ! » فقال كميل : « تركت » . أيها القارىء الكريم ، ان هذا الموقف ليس موقف خليفة فضلا عمن دونه ، بل هو موقف المتخلقين بأخلاق الأنبياء . على أن الله يمهل ولا

ولقد دخل عليه ابن عمر ، فقال (له عثمان) : انظر ما يقول هؤلاء ، يقولون : اخلع نفسك أو نقتلك . قال له (ابن عمر) : أمخلد أنت فى الدنيا ؟ قال : لا . قال:هل يزيدون علي أن يقتلوك ؟ قال : لا . قال : هل يملكون لك جنة أو ناراً ؟ قال : لا . قال : فلا تخلع قميص الله عنك ، فتكون سنة ، كلما كره قوم خليفتهم خلعوه أو قتلوه (١٩١) .

وقد أشرف عليهم عثمان ، واحتج عليهم بالحديث الصحيح فى بنيان المسجد ، وحفر بئر رومة ، وقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين رجف بهم أحد (١٩٢) . وأقروا له به فى أشياء ذكرها (١٩٣) .

يهمل . فقد جاء الحجاج بعد اربعين سنة فقتل ضابئاً وقتل كميلا بما اراده فى هذا الحادث من الفتك برجل خلق قلبه من رحمة الله ، و « ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته (*) » .

(١٩١) اورد البلاذرى هذا الخبر فى أنساب الأشراف (٥ : ٧٦) من حديث نافع عن ابن عمر . وقبل أن يفتى ابن عمر لخليفته بذلك ويدعوه الى هذه التضحية النبيلة ، كان عثمان على بينة من ذلك ونور من الله ، فقد اخرج ابن ماجه فى مقدمة سننه (الباب ١١ ج ١ ص ٢٨) من حديث النعمان ابن بشير عن أم المؤمنين عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعثمان : « يا عثمان ان ولاك الله هذا الأمر يوماً فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذى قمصك الله فلا تخلعه (**) يقول ذلك ثلاث مرات . وفى مسند الامام احمد (ج ٦ الطبعة الأولى : ص ٧٥ و ٨٦ و ١١٤ و ١٤٩) حديث عائشة هذا بالفاظ مختلفة يرويه عنها عروة بن الزبير والنعمان بن بشير وغيرهما .

(١٩٢) قوله صلى الله عليه وآله وسلم : اثبت أحد ! فانما عليك نبى وصديق وشهيدان رواه البخارى . [م]

(١٩٣) انظر فى مسند الامام أحمد (١ : ٥٩ الطبعة الأولى رقم ٤٢٠ الطبعة الثانية) حديث ابى سلمة بن عبد الرحمن . وسنن النسائى (٢ : ١٢٤ ـ ١٢٥) وجامع الترمذى (٤ : ٣١٩ ـ ٣٢٠) .

(*) رواه البخارى ومسلم . [م]

(**) أورد الترمذى وابن ماجه نحوه وحسنه الترمذى وصححه محقق المشكاة [م]

وقد ثبت أن عثمان أشرف عليهم وقال : أفيكم ابنا محدوج ؟ أنشدكما الله ألستما تعلمان أن عمر قال : إن ربيعة فاجر أو غادر ، وإني والله لا أجعل فرائضهم وفرائض قوم جاءوا من مسيرة شهر ، وإنما مهر أحدهم عند [طبيبه] (١٩٤) . وإني زدتهم في غزاة واحدة خمسمائة ، حتى ألحقتهم بهم ؟ قالوا : بلى .

قال : أذكركما الله ألستما تعلمان أنكما أتيتماني فقلتما : إن كندة أكلة رأس ، وإن ربيعة هي الرأس ، وإن الأشعث بن قيس قد أكلهم . فنزعته واستعملتكما ؟ قالا : بلى .

قال : اللهم إنهم كفروا معروفي ، وبدلوا نعمتي ، فلا ترضهم عن إمامهم ولا ترض إماماً عنهم .

وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : كنت مع عثمان في الدار ، فقال : أعزم على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة إلا كف يده وسلاحه (١٩٥).

---

(١٩٤) كذا في طبعة الشيخ الخطيب ، لكن في : ب ، ج ، ز : طسه وفي د : [طنبه] وهو ما نختاره، والطنى : الفجور ، والتهمة « وفي رواية خليفة بن خياط ١٤٩/١ » طنبه : وهو سير يوصل بوتر القوس . [س]

(١٩٥) الذي يدل عليه مجموع الأخبار عن موقف عثمان من أمر الدفاع عنه أو الاستسلام للأقدار ، هو أنه كان يكره الفتنة ، ويتقي الله في دماء المسلمين . الا انه صار في آخر الأمر يود لو كانت لديه قوة راجحة يهابها البغاة، فيرتدعون عن بغيهم ، بلا حاجة الى استعمال السلاح للوصول الى هذه النتيجة . وقبل أن تبلغ الأمور مبلغها عرض عليه معاوية أن يرسل اليه قوة من جند الشام تكون رهن اشارته ، فأبى أن يضيق على أهل دار الهجرة بجند يساكنهم (الطبري ٥ : ١٠١) . وكان لا يظن ان الجراة تبلغ بفريق من اخوانه المسلمين الى ان يتكالبوا على دم أول مهاجر الى الله في سبيل دينه . فلما تذاءب عليه البغاة واعتقد أن الدفاع عنه تسفك فيه الدماء جزافا ، عزم على كل من له عليهم سمع وطاعة ان يكفوا ايديهم واسلحتهم عن مزالق العنف . والأخبار بذلك مستفيضة في مصادر اوليائه وشانئيه . على انه لو ظهرت في الميدان قوة منظمة ذات هيبة تقف في وجوه الثوار ، وتضع حداً لغطرستهم وجاهليتهم ، لارتاح عثمان لذلك وسر به ، مع ما هو مطمئن اليه من انه لن يموت الا شهيدا . [خ]

ثم قال : قم يا ابن عمر — وعلى ابن عمر سيفه متقلداً — فأخبر به الناس (١٩٦) فخرج ابن عمر . ودخلوا فقتلوه (١٩٧) .

[وجاءه] زيد بن ثابت فقال له : إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون : إن شئت كنـا أنصـار الله (مرتين) . قال (عثمان) لا حاجـة لي في ذلك كفوا (١٩٨) .

---

(١٩٦) في البداية والنهاية (٧ : ١٨٢) عن مغازي ابن عقبة (ان ابن عمر لم يلبس سلاحه الا يوم الدار في خلافة عثمان ، ويوم أراد نجدة الحروري أن يدخل المدينة مع الخوارج أيام عبد الله بن الزبير) . [خ]

(١٩٧) في تاريخ الطبري (٥ : ١٢٩) كان آخر من خرج عبد الله بن الزبير ، امره عثمان أن يصير الى ابيه بوصيته التي كتبها استعداداً للموت ، وأمره أن يأتي أهل الدار (أي المدافعين عنه في ساحة القصر) فيأمرهم بالانصراف الى منازلهم . فخرج عبد الله بن الزبير آخرهم ، فما زال يدعى بها ويحدث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه . وانما أوصى عثمان الى الزبير لأن الزبير كان محل الثقة من كبار الصحابة . روى الحافظ ابن عساكر (٥ : ٣٦٢) ان ستة من الصحابة أوصوا اليـه : عثمان ، وعبد الرحمن بن عـوف ، وابن مسعود ، والمقداد ، ومطيع بن الأسود ، وأبو العاص بن الربيع . فكان ينفق على أيتامهم من ماله ، ويحفظ لهم اموالهم . [خ]

(١٩٨) أورده البلاذري في أنساب الأشراف (٥ : ٧٣) من حديث ابن سيرين وأخرج الحافظ ابن عساكر عن مؤرخ الصدر الأول موسى بن عقبة الأسدي (الذي قال فيه الامام مالك : عليكم بمغازي ابن عقبة ، فانه ثقة ، وهي أصح المغازي) أن أبا حبيبة الطائي (وهو ممن يروي عنهم أبو داود والنسـائي والترمذي) قال : لما حضر عثمان جاء بنو عمرو بن عوف الى الزبير فقالوا : يا أبا عبد الله نحن نأتيك ثم نصير الى ما تأمرنا به (أي من الدفاع عن أمير المؤمنين) قال أبو حبيبة : فارسلني الزبير الى عثمان ، فقال : أقرءه السلام وقل « يقول لك أخوك : ان بني عمرو بن عوف جاؤوني ووعدوني ان يأتوني ثم يصيروا الى ما أمرتهم به . فان شئت أن آتيك فأكون رجلا من أهل الدار يصيبني ما يصيب أحدهم ، فعلت . وان شئت انتظرت ميعاد بني عمرو فادفع بهم عنك ، فعلت » قال أبو حبيبة : فدخلت عليه (أي على عثمان) فوجدته على كرسي ذي ظهر ، ووجدت رياطاً مطروحة ومراكن مفلوة ، ووجدت في الدار الحسن بن علي ، وابن عمر ، وأبا هريرة ، وسعيد بن العـاص ، ومروان بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير . فأبلغت عثمان رسالة الزبير ، فقال : « الله اكبر ، الحمد لله الذي عصم أخي . قل له : انك ان تأت الدار تكن رجلا =

من المهاجرين ، حرمتك حرمة رجل ، وغناؤك غناء رجل . ولكن انتظر ميعاد بنى عمرو بن عوف ، فعسى الله أن يدفع بك » . قال : فقام أبو هريرة فقال : أيها الناس ، لقد سمعت أذناى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « تكون بعدى فتن وأحداث » فقلت : وأين النجاء منها يا رسول الله ؟ قال : « الأمير وحزبه » وأشار الى عثمان (**) . فقال القوم : ائذن لنا فلنقاتل ، فقد أمكنتنا البصائر (*) . فقال (عثمان) : « عزمت على أحد كانت لى عليه طاعة الا يقاتل » . قال : فبادر — أى سبق — الذين قتلوا عثمان ميعاد بنى عمرو بن عوف فقتلوه .

وبنو عمرو بن عوف قبيل كبير من الخزرج أحد فرعى الأنصار ، وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم عند وصوله الى المدينة مهاجراً من مكة نزل ضيفاً عليهم ثلاثة أيام ثم انتقل الى بنى النجار [خ] .

(**) رواه البيهقى فى « دلائل النبوة » . [م]

* وهذه المواقف المشرفة للصحابة رضوان الله عليهم تلقم خصوم الاسلام الذين يقولون بأن الصحابة كلهم كانوا راضين بقتل عثمان ويتبرؤون منه حتى تركوه ولم يدافعوا عنه ! كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذباً .

وقد ثبت فى « نهج البلاغة » من كلام على بن أبى طالب انه قال : « والله دفعت عنه » .

وقد نقل البلاذرى فى كتابه : « انساب الأشراف » ١٠٣/٥ عن المدائنى عن سلمة بن عثمان عن على بن زيد عن الحسن قال : « دخل على بن أبى طالب على بناته ، وهن يمسحن عيونهن فقال : مالكن تبكين ؟ قلن : نبكى على عثمان . فبكى وقال : ابكين .

وروى ابن السمان عن قيس بن عباد قال : سمعت علياً يوم « الجمل » يقول : « اللهم انى ابرأ اليك من دم عثمان ، وقد طاش عقلى يوم قتل عثمان ، وانكرت نفسى ، وجاؤونى للبيعة فقلت : الا تستحى من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلا قال له رسول الله : الا استحى من رجل تستحى منه الملائكة » . رواه مسلم .

وقد جاء فى العقد الفريد لابن عبد ربه عبارة تصور موقف على من مقتل عثمان أحسن تصوير قال سعيد الخزاعى :

لقيت علياً بعد الجمل ، فقلت له : انى سائلك عن مسألة كانت منك ومن عثمان ، فان نجوت اليوم نجوت غداً ان شاء الله قال : سل عما بدا لك ، قلت أخبرنى أى منزلة وسعتك اذ قتل عثمان ولم تنصره ؟ ! قال : ان عثمان كان

وقال له أبو هـريرة : اليـوم طاب الضرب معك . قال : عـزمت عليك لتخرجن (١٩٩) .

وكان الحسن بن على آخر من خرج من عنده ، فإنه جاء الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان ، فعزم عليهم فى وضع سلاحهم ، وخروجهم ، ولزوم بيوتهم .

فقال له ابن الزبير ومروان : نحن نعزم على أنفسنا ألا نبرح . ففتح عثمان الباب ودخلوا عليه فى أصح الأقوال (٢٠٠) .

فقتله المرء الأسود (٢٠١) .

وقيل : أخذ ابن أبى بكر بلحيته ، وذبحه [رومان] (٢٠٢) ، وقيـل :

---

(١٩٩) هذا الخبر فى تاريخ الطبرى (٥ : ١٢٩) . [خ]

(٢٠٠) أصل هذا الخبر فى تاريخ الطبرى (٥ : ١٢٨) عن سيف بن عمر التميمى عن أشياخه . [خ]

(٢٠١) كذا فى مطبوعة الجزائر . والذى فى تاريخ الطبرى (٥ :١٢٥) « الموت الأسود » ، والأصول التى طبع عليها تاريخ الطبرى أصح من الأصول التى طبع عليها كتابنا فى الجزائر ، ومن الثابت أن ابن سبأ كان مع ثوار مصر عند مجيئهم من الفسطاط الى المدينة (الطبرى ٥ : ١٠٣ ــ ١٠٤) وهو فى كل الأدوار التى مثلها كان شديد الحرص على أن يعمل من وراء ستار ، فلعل « الموت الأسود » اسم مستعار له أراد أن يرمز به اليه ليتمكن من مواصـلة دسائسه لهدم الاسلام . [خ]

توضيح : ب ، ج ، ز : المرء . وتتفق (د) مع ما ورد فى تاريخ الطبـرى حيث عبر عن ذلك بالموت فقال : ودخل عليه رجل يقال له الموت الأسود . وذكرخليفة بن خياط : انه رجل من بنى سدوس يقال له . الموت الأسود (١٥٢/١) [س] .

(٢٠٢) رومان رجل من بنى أسد بن خزيمة . وليس محرفاً كما قال الشيخ محب الدين الخطيب ، حيث وضع مكانه (كنانة بن بشر) بدعوى أن نسخة الجزائر كثيرة التحـريف . [انظر تاريخ خليفة بن خياط ١٥٣/١] (س) .

= اماماً وانه نهى عن القتال ، وقال : من سلّ سيفه فليس منى !! فلو قاتلنا دونه عصيناه قال : فأى منزلة وسعت عثمان اذ استسلم ؟ قال : المنزلة التى وسعت ابن آدم اذ قال لأخيه : (لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين) .

... وما أروع ما قاله محمد بن سيرين فى هذا الموضوع : « ما علمت أن علياً اتهم فى دم عثمان حتى بويع ! فلما بويع اتهمه الناس وذلك أمر مركوز فى الطبائع ! » . [م]

رجل من أهل مصر يقال له حمار (٢٠٣) . فسقطت قطرة من دمه على المصحف على قوله « فسيكفيكهم » فإنها فيه ما حكت إلى الآن (٢٠٤) .

وروى أن عائشة رضى الله عنها قالت : « غضبت لكم من السوط ، ولا أغضب لعثمان من السيف ؟ استعتبتموه حتى إذا تركتموه [كالفل] (٢٠٥) المصفى ، ومصتموه موص الاناء ، وتركتموه كالثوب المنقى من الدنس ، ثم قتلتموه » (٢٠٦) . قال مسروق (٢٠٧) : قلت لها : « هذا عملك ، كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه » . فقالت عائشة : « والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم سواداً فى بياض » . قال الأعمش : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها (٢٠٨) .

وقد روى أنه ما قتله أحد إلا أعلاج من أهل مصر .

قال القاضى أبو بكر (رضى الله عنه) : فهذا أشبه ما روى فى الباب .

---

(٢٠٣) لم أر هذا الاسم فيمن اجترأوا على ارتكاب الجريمة العظمى ، ولعل النساخ حرفوا اسم سودان بن « حمران » أو اسم عمرو ابن « الحمق » . [خ]

(٢٠٤) ذكرت هذه الحادثة فى الطبرى بسند حسن . وقد بعث الله على قتلة عثمان من قتلهم جميعاً . ولعل الآية تشير الى هذا الانتقام . [م]

(٢٠٥) ب ، ج ، ز : العبد . وأصلحه الشيخ محب الدين : القند . ولعله الذهب . لانه قد ورد فى تاريخ ابن الاثير فى شان عثمان [كما يخلص الذهب من خبثه او الثوب من درنه اذا ماصوه كما يماص الثوب بالماء [٣/٢٠٧] . [س]

(٢٠٦) قالت ذلك أول مرة عند وصولها الى المدينة عائدة من الحج ، فاجتمع اليها الناس والقت فيهم خطبة بليغة وردت هذه الجملة فى آخرها (الطبرى ٥ : ١٦٥ — ١٦٦) . والموص : الغسل بالأصابع . والقند : عسل قصب السكر اذا جمد . [خ]

(٢٠٧) هو من أئمة التابعين المقتدى بهم توفى سنة ٦٣ . وهو الذى قال لعمار بالكوفة قبل يوم الجمل : يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان ؟ قال : على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا (**) . فقال مسروق : والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين (الطبرى ٥ : ١٨٧) .

وقد وجدت بعده فى تاريخ الطبرى ما يخالفه : خرج أبو موسى فلقى الحسن ابن على . . وقال لعمار : يا أبا يقظان ! أعدوت على أمير المؤمنين عثمان قتلته ؟! فقال : لم أفعل (٧ «٣٥) . [م]

(٢٠٨) كما كتب على لسان على ولسان عثمان . [خ]

وبه يتبين ـــ وبأصل المسألة سلوك سبيل الحق ـــ أن أحداً من الصحابة لم يسع عليه ، ولا قعد عنه . ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين ألفاً بلديين أو أكثر من ذلك (٢٠٩) ، ولكنه ألقى بيده إلى المصيبة (٢١٠)

وقد اختلف العلماء فيمن نزل به مثلها : هل يلقى بيده ، أو يستنصر (٢١١)؟ وأجاز بعضهم أن يستسلم ويلقى بيده اقتداء بفعل عثمان ، وبتوصية النبى صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فى الفتنة (٢١٢) .

قال القاضى أبو بكر رضى الله عنه : ولقد حكمت بين الناس فألزمتهم الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى لم يك [ترى] فى الأرض منكر ، واشتد الخطب على أهل الغصب ، وعظم على الفسقة الكرب ، فتألبوا

---

(٢٠٩) أين هذه المواقف الشريفة للصحابة ـــ دون استثناء واحد منهم مما يزعم السفهاء من أن الصحابة كلهم كانوا راضين بقتله ، ويتبرؤون منه حتى تركوه بعد قتله ثلاثة أيام بلا دفن كما ذكره مؤلف التحفة الاثنى عشرية ورد عليهم بما ألقمهم حجراً فكان مما قاله : « .. ان هذا كله كذب صريح وبهتان صريح لا يخفى على الصبيان فضلا عن ذوى العرفان (مختصر التحفة الاثنى عشرية : ٢٦٦) » . [م]

(٢١٠) لأنه اختار بذلك أهون الشرين ، فآثر التضحية بنفسه على توسيع دائرة الفتنة وسفك دماء المسلمين . وعثمان افتدى دماء أمته بدمه مختاراً فما أحسن الكثيرون منا جزاءه ، وان أوربا تعبد بشراً بزعم الفداء ولم يكن فيه مختارا . [خ]

(٢١١) من سياسة الاسلام أن يختار فى كل حالة أقلها شرا وأخفها ضررا ، فاذا كانت للخير قوة غالبة تقمع الشر وتضيق دائرته فالاسلام يهدى الى قمع الشر بقوة الخير بلا تردد . وان لم يكن للخير قوة غالبة تقمع الشر وتضيق دائرته ـــ كما كانت الحال فى موقف أمير المؤمنين عثمان من البغاة عليه ـــ فمصلحة الاسلام فى مثل ما جنح اليه عثمان أعلى الله مقامه فى دار الخلود . [خ]

(٢١٢) وهى قوله صلى الله عليه وآله وسلم على ما رواه الامام البخارى فى كتاب المناقب (ك ٦١ ب ٢٥ ج ٤ ص ١٧٧) وفى كتاب الفتن (ك ٩٢ ب ٩ ج ٨ ص٩٢) من صحيحه عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى . ومن يشرف لها تستشرفه . ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به » . واعلن أبو موسى الأشعرى فى الكوفة قبل وقعة الجمل أنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الطبرى ٥ : ١٨٨) . [خ]

وألبوا ، وثاروا إليَّ [واستسلمت] لأمر الله ، وأمرت كل من حولى ألا يدافعوا عن دارى ، وخرجت على السطوح بنفسى ، فعاثوا على ، وأمسيت سليب الدار ، ولولا ما سبق من حسن المقدار لكنت قتيل الدار .

وكان الذى حملنى على ذلك ثلاثة أمور : أحدها وصاية النبى صلى الله عليه وآله وسلم المتقدمة (٢١٤) ، والثانى الاقتداء بعثمان ، والثالث سوء الأحدوثة التى فر منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤيدة بالوحى (٢١٥) . فإن من غاب عنى ، بل من حضر من الحسدة معى ، خفت أن يقول : إن الناس مشوا [مستعينين به] مستغيثين له فأراق دماءهم .

وأمر عثمان كله سنة ماضية ، وسيرة راضية . فإنه تحقق أنه مقتول بخبر الصادق له بذلك ، وأنه بشره بالجنة على بلوى تصيبه ، وأنه شهيد .

وروى أنه قال له فى المنام : إن شئت نصرتك ، أو تفطر عندنا الليلة (٢١٧).

---

(٢١٤) وقد نقلناها آنفاً عن حديث أبى هريرة فى صحيح البخارى ، ومن حديث أبى موسى فى الكوفة قبل وقعة الجمل . [خ]

(٢١٥) وذلك لما قال ابن سلول فى غزوة بنى المصطلق « اذا رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فأراد عمر أن يقتله ، فمنعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقال : « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » . [خ]

(٢١٧) هذه الرواية لابن أبى الدنيا من حديث عبد الله بن سلام فى البداية والنهاية (٧ : ١٨٢ — ١٨٣) ، ومن طريق آخر عنه فى أنساب الأشراف للبلاذرى (٥ : ٨٢) . وفى مسند احمد (١ : ٧٢ الطبعة الأولى رقم ٥٢٦ الثانية) من حديث مسلم أبى سعيد مولى عثمان قال : « ان عثمان أعتق عشرين مملوكا ، ودعا بسراويل فشدها عليه ولم يلبسها فى جاهلية ولا اسلام ، وقال : انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البارحة فى المنام ورأيت أبا بكر وعمر ، وانهم قالوا لى : اصبر ، فانك تفطر عندنا القابلة ، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه ، فقتل وهو بين يديه » . وروى الامام أحمد هذا الحديث عن نائلة زوجة عثمان (١ : ٧٣ رقم ٥٣٦) بقريب من هذا . وفى البداية والنهاية (٧ : ١٨٢) من حديث أيوب السختيانى عن نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ومن طرق اخرى متعددة وانظر (تاريخ الطبرى (*) (٥ : ١٢٥) . [خ]

(*) روى الطبرى نحوه مختصرا واسناده حسن . [م]

وقد انتدبت المردة والجهلة إلى أن يقولوا : إن كل فاضل من الصحابة كان عليه مشاغباً مؤلباً ، وبما جرى عليه راضياً . واخترعوا كتابا فيه فصاحة وأمثال كتب عثمان به مستصرخاً إلى علي . وذلك كله مصنوع ، ليوغر قلوب المسلمين على السلف الماضين والخلفاء الراشدين (٢١٨) .

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه : فالذي ينخل من ذلك أن عثمان مظلوم ، محجوج بغير حجة (٢١٩) . وأن الصحابة برآء من دمه بأجمعهم ، لأنهم أتوا إرادته ، وسلموا له رأيه في إسلام نفسه .

ولقد ثبت — زائداً إلى ما تقدم عنهم — أن عبد الله بن الزبير قال لعثمان : إنا معك في الدار عصابة مستبصرة ينصر الله بأقل منهم ، فائذن لنا . فقال : أذكر الله رجلا أراق لي دمه (أو قال دماً) (٢٢٠) .

---

(٢١٨) هذه الكتب المصنوعة والأخبار المبالغ فيها أو المكذوبة شحنت بها أسفار الأخبار وكتب الأدب . ولتمييز الحق فيها من الباطل طريقان : أحدهما طريق أهل الحديث في أن لا يقبلوا الا الأخبار المسندة الى أشخاص بأسمائهم ثم يستعرضوا أحوال هؤلاء الأشخاص فيقبلوا من صادقهم ، ويضربوا وجه الكذاب بكذبه . والطريق الثاني طريق علماء التاريخ وهو أن يعرضوا كل خبر على سجايا من يخبر عنه ، ويقارنوه بسيرته ، وهل هو مما ينتظر وقوعه ممن نسب اليه ويلائم المعروف من سابقته واخلاقه أم لا . وتمحيص تاريخنا يحتاج الى هاتين الطريقين معا يقوم بهما علماء راسخون فيهما . [خ]

(٢١٩) كما تبين في هذا الكتاب بأسانيده القاطعة . وانظر كتاب (التمهيد) للامام أبي بكر الباقلاني (ص ٢٢٠ — ٢٢٧) . [خ]

(٢٢٠) ولما بدا حجاج بيت الله يعودون الى المدينة كان أول المسرعين منهم المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي الصحابي ، فادرك عثمان قبل أن يقتل ، وشهد المناوشة على باب دار عثمان فجلس على الباب من داخل وقال : ما عذرنا عند الله ان تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت . وكان أول من برز للبغاة الهاجمين ، وقاتل حتى قتل . وخرج معه لقتالهم الحسن بن علي بن أبي طالب وهو يقول في تسفيه عمل البغاة :

لا دينهم ديني ولا أنا منهم ... حتى أسير الى طمار شمام

أي الى جبل اشم لا ينجو من سقط منه . وخرج معهما محمد بن طلحة ابن عبيد الله — وكان يعرف بالسجاد لكثرة عبادته — وهو يقول :

انا ابن من حامى عليه بأحد ... ورد أحزاباً على رغم معد

انظر تاريخ الطبري (٥ : ١٢٨ — ١٢٩) . [خ]

وقال سليط بن أبى سليط : نهانا عثمان عن قتالهم ، فلو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم عن أقطارها (٢٢١) .

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : كنت مع عثمان فى الدار فقال : أعـزم على كل من رأى أن لى عليه سمعاً وطاعة إلا كف يده وسلاحه ، فإن أفضلكم غناء من كف يده وسلاحه (٢٢٢) .

وثبت أن الحسن والحسين وابن الزبير وابن عمر ومروان كلهم شاك فى السلاح حتى دخلدا الدار ، فقال عثمان : أعزم عليكم لما رجعتم فوضـعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم (٢٢٣) .

فلما قضى الله من أمره ما قضى ، ومضى فى قدره ما مضى ، علم أن الحق [ألا] يترك الناس سدى ، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه . ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرا وعلماً وتقى ودينـا ،

---

(٢٢١) رواه الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب (٢ : ١١٨ ــ ١١٩ هامش الاصابة) من حديث ابن سيرين عن سليط . واورده الحافظ ابن حجر مختصرا فى الاصابة (٢ : ٧٢) . [خ]

(٢٢٢) وفى تاريخ الطبرى (٥ : ١٢٧) أن عثمان دعا عبد الله بن عبـاس فقال له : اذهب فأنت على الموسم (أى على امارة الحج) فقال ابن عباس : « والله يا أمير المؤمنين لجهاد هؤلاء احب الى من الحج » فأقسم عليه لينطلقن ، فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة . [خ]

(٢٢٣) قال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٧ : ١٨١) : كان الحصار مستمراً من اواخر ذى القعدة الى يوم الجمعة الثامن عشر من ذى الحجة . فلما كان قبل ذلك بيوم ، قال عثمان للذين عنده فى الدار من المهـــاجرين والأنصار ــ وكانوا قريبا من سبعمائة ، فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة وخلق من مواليه ولو تركهم لمنعوه ــ : « أقسم على من لى عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق الى منزله » وقال لرقيقه « من أغمد سيفه فهو حر » فبرد القتال من داخل ، وحمى من خارج . حتى كانت الساعة التى تم فيها للشيطان ما سعى له وتمناه . ويكفى لبيان ما كان لهذه الفاجعة الكبرى من الأثر فى النفوس ما نقله البلاذرى فى انساب الأشراف (٥ : ١٠٣) عن المدائنى عن سلمة بن عثمان عن على بن زيد عن الحسن قال : دخل على يوماً على بناته وهن يمسحن عيونهن . فقال : مالكن تبكين ؟ قلن : نبكى على عثمان ، فبكى وقال : ابكين . . [خ]

فانعقدت له البيعة . ولولا الاسراع بعقد البيعة لعلى لجرى على من بها من الأوباش مالا يرقع خرقه . ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار ، ورأى ذلك فرضاً عليه ، فانقاد إليه (٢٢٤) .

---

(٢٢٤) فى تاريخ الطبرى (٥ : ١٥٥) عن سيف (*) بن عمر التميمى عن اشياخه قالوا : بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام أميرها الغافقى ابن حرب يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالأمر فلا يجدونه : يأتى المصريون علياً فيختبىء منهم ويلوذ بحيطان المدينة (أى يختبىء فى بساتينها) فاذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعد مرة . ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه . فأرسلوا اليه حيث هو رسلا فباعدهم وتبرأ من مقالتهم . ويطلب البصريون طلحة ، فاذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقالتهم .. فبعثوا الى سعد ابن ابى وقاص وقالوا : إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع ، فاقدم نبايعك . فبعث اليهم انى وابن عمر خرجنا منها ، فلا حاجة لى فيها .. ثم انهم اتوا ابن عمر عبد الله فقالوا : انت ابن عمر فقم بهذا الأمر فقال : ان لهذا الأمر انتقاماً والله لا أتعرّض له فالتمسو غيرى . واخرج لطبرى (٥ : ١٥٦) عن الشعبى قال : اتى الناس علياً وهو فى سوق المدينة وقالوا له : ابسط يدك نبايعك . قال : لا تعجلوا ، فان عمر كان رجلا مباركا ، وقد أوصى بها شورى ، فامهلوا يجتمع الناس ويتشاورون . فارتد الناس عن على . ثم قال بعضهم : ان رجع الناس الى امصارهم بقتل عثمان ولم يقم بعده قائم بهذا الأمر لم نأمن اختلاف الناس وفساد الأمة . فعادوا الى على ، فأخذ الأشتر بيده ، فقبضها على فقال : ابعد ثلاثة ؟ اما والله لئن تركتها لتعصرن عينيك عليها حيناً . فبايعته العامة . وأهل الكوفة يقولون : أول من بايعه الأشتر . وروى سيف عن أبى حارثة محرز العبشمى وعن ابى عثمان يزيد بن أسيد الغسانى قالا : لما كان يوم الخميس على راس خمسة أيام من مقتل عثمان جمعوا أهل المدينة ، فوجدوا سعداً والزبير خارجين ووجدوا طلحة فى حائط له .. . فلما اجتمع لهم اهل المدينة قال لهم اهل مصر : أنتم اهل الشورى وأنتم تعقدون الامامة وامركم عابر على الأمة ، فانظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع . فقال الجمهور : على بن ابى طالب نحن به راضون ... فقال على : دعونى والتمسوا غيرى .. فقالوا : ننشدك الله ، الا ترى الفتنة ، الا تخاف الله ؟ فقال : ان اجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، وان تركتمونى فانما أنا كأحدكم ، الا أنى اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه أمركم . ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد (أى يوم الجمعة) فلما أصبحوا من يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء على حتى صعد المنبر فقال : « يا ايها الناس عن ملأ واذن . ان هذا أمركم ، ليس لأحد

(*) سيف هذا متهم بالكذب كما جاء فى اللسان والميزان . [م]

وعقد له البيعة طلحة ، فقال الناس : بايع علياً يد شلاء ، والله لا يتم هذا الأمر [٢٢٥] .

فإن قيل : بايعا مكرهين [٢٢٦] . قلنا : حاشا لله أن يكرها ، لهما ولمن بايعهما . ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك ، لأن واحداً أو اثنين تنعقد البيعة بهما وتتم ، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له ، وهو مكره على ذلك شرعاً . ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما ، ولا في بيعة الإمام [٢٢٧] .

وأما من قال يد شلاء وأمر لا يتم ، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع ، ولم يكن كذلك [٢٢٨] .

فإن قيل : فقد قال طلحة : « بايعت واللج [٢٢٩] على قفى [٢٣٠] » . قلنا : اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في « القفا » لغة « قفى » كما يجعل في « الهوى » : « هوى » . وتلك لغة هذيل لا قريش [٢٣١] فكانت كذبة لم تدبر .

= فيه حق الا ان أمرتم ، وقد افترقنا بالأمس على أمر . فإن شئتم قعدت لكم ، وإلا فلا أجد على أحد » فقالوا « نحن على ما فارقناك عليه بالأمس » ، وهذه الوقائع على بساطتها تدل على أن بيعة علي كانت كبيعة اخوانه من قبل جاءت على قدرها وفي ابانها ، وأنها مستمدة من رضا الأمة في حينها ، لا من وصية سابقة مزعومة ، أو رموز خيالية موهومة . [خ]

(٢٢٥) قائل هذه الكلمة حبيب بن ذؤيب . رواه الطبري (٥ : ١٥٣) عن أبي المليح الهذلي . [خ]

(٢٢٦) يعني طلحة والزبير . [خ]

(٢٢٧) القاضي ابن العربي يقرر هنا الحكم الشرعي في عقد البيعة ، لا على أنه رأي له . وللامام أبي بكر الباقلاني كلام سديد في (التمهيد) ص ٢٣١ . [خ]

(٢٢٨) وقد علمت أن أهل الكوفة يقولون ان الأشتر كان أول من بايع . ولو كانت يد طلحة هي الأولى في البيعة لكانت أعظم بركة ، لأنها يد دافعت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويد الأشتر لا تزال رطبة من دم الشهيد المبشر بالجنة . [خ]

(٢٢٩) في جميع النسخ المخطوطة (اللج) وصوابه (اللج) وهو السيف . وقد أصلحه الشيخ محب الدين الخطيب ولم ينبه الى ذلك . [س]

(٢٣٠) بل هي أبعد عن لغة قريش من لهجة هذيل ، فقد قال ابن الأثير في النهاية (مادة لجج) انها لغة طائية ، يشددون ياء المتكلم . [خ]

(٢٣١) كان طلحة من العصابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله =

وأما قولهم « يد شلاء » لو صح فلامتعلق لهم فيه ، فإن يداً شلت في وقاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتم لها كل أمر ، ويتوقى بها من كل مكروه (٢٣٢) . وقد تم لأمر على وجهه ، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه . وجهل المبتدع ذلك فاخترع ما هو حجة عليه .

=

وسلم على الموت يوم أحد حين انهزم المسلمون ، فصبروا ولزموا . ورمى مالك ابن زهير الجشمي بسهم يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — وكان لا يخطىء رميه — فاتقاه طلحة بيده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكان ذلك سبب الشلل في يده من خنصره . واقبل رجل من بني عامر يجر رمحاً له على فرس كميت أغر مدججاً في الحديد يصيح : انا أبو ذات الودع ، دلوني على محمد . فضرب طلحة عرقوب فرسه ، فاكتسعت ، ثم تناول رمحه فلم يخطىء به عن حدقته ، فخار كما يخور الثور ، فما برح طلحة واضعاً رجله على خده حتى مات . قالت بنتاه — عائشة وأم اسحاق — : جرح أبونا يوم أحد أربعاً وعشرين جراحة في جميع جسده ، وقد غلبه الغشى ، وهو مع ذلك محتمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى كسرت رباعيتاه يرجع به القهقرى ، كلما ادركه أحد من المشركين قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب . فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول اذا رأى طلحة : « من احب أن ينظر الى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر الى طلحة ابن عبيد الله (*) » رواه أبو نعيم الاصبهاني . وكان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كان يوم طلحة . وسمع علي بن أبي طالب رجلا يقول بعد يوم الجمل : ومن طلحة ؟ فزبره علي ، وقال : انك لم تشهد يوم أحد ، لقد رأيته وانه ليحترس بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان السيوف لتغشاه ، وان هو إلا جنة بنفسه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . أخرج الحافظ ابن عساكر (٧ : ٧٨) من طريق ابن منده عن طلحة قال : سماني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد (طلحة الخير) ، وفي غزوة العسرة (طلحة الفياض) ويوم حنين (طلحة الجود) . [خ]

(٢٣٢) وانظر (التمهيد) للباقلاني ص ٢٣١ و ٢٣٥ و ٢٣٦ . وحقيقة موقف علي من قتلة عثمان أنهم عند البيعة له كانوا هم المستولين على زمام الأمر في المدينة . وفي حالة الارهاب التي كانت سائدة يومئذ لم يكن في استطاعة علي ولا غيره ان يقف منهم مثل موقف الصحابة من عبيد الله بن عمر لما قتل الهرمزان ، مع الفاروق العظيم بين دم أمير المؤمنين الخليفة الراشد ، والأسير الحربي المجوسي الذي قال انه اسلم بعد وقوعه في الأسر . ولما انتقل علي من المدينة الى العراق ليكون على مقربة من الشام أنتقل معه قتلة عثمان ولاسيما أهل البصرة والكوفة منهم ، فلما صاروا في بصرتهم وكوفتهم صاروا في معقل

=

فإن قيل : بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان . قلنا : هذا لا يصح فى شرط البيعة ، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق ، وهو أن يحضر الطالب للدم ، ويحضر المطلوب ، وتقع الدعوى ، ويكون الجواب ، وتقوم البينة ، ويقع الحكم . فأما على الهجم عليه بما كان من قول مطلق ، أو فعل غير محقق ، أو سماع كلام ، فليس ذلك فى دين الإسلام (٢٣٢) .

قالت العثمانية : تخلف عنه من الصحابة جماعة ، منهم سعد بن أبى وقاص ومحمد بن مسلمة ، وابن عمر ، وأسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم .

قلنا : أما بيعته فلم يتخلف عنها . وأما نصرته فتخلف عنها قوم ، منهم من ذكرتم ، لأنها كانت مسألة اجتهاد ، فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصاب قدره (٢٣٣) .

* * *

قوتهم وعنجهية قبائلهم ، ولا شك ان عليا أعلن البراءة منهم واراد ان يتفق مع أصحاب الجمل على ما يمكن الاتفاق عليه فى هذا الشأن ، فانشب قتلة عثمان القتال بين معسكر على ومعسكر أصحاب الجمل ، وتمكن اصحاب الجمل من قتل المصريين من قتلة عثمان الا واحداً من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم حمته قبيلته . فلما اتسعت الأمور وسفكت الدماء كان على فى موقف يحتاج فيه الى بأس هؤلاء المعروفين بانهم من قتلة عثمان وفى مقدمتهم الاشتر وامثاله. وان كثيرين منهم انقلبوا على على بعد ذلك وخرجوا عليه معتقدين كفره . ويقول علماء السنة والمؤرخون ان الله كان بالمرصاد لقتلة عثمان ، فانتقم منهم بالقتل والنكال واحداً بعد واحد ، حتى الذين طال بهم العمر الى زمن الحجاج كانت عاقبتهم سفك دمائهم جزاء بما قدمت أيديهم والله أعدل الحاكمين . [خ]

(٢٣٣) وانظر (التمهيد) للباقلانى ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤ .

(*) اسناده صحيح لشواهده كما جاء فى الاحاديث الصحيحة ٢/٣٢ .[م]

قاصمة

روى قوم أن البيعة لما تمت لعلى استأذن طلحة والزبير عليا فى الخروج إلى مكة (٢٣٤) . فقال لهما علىٌّ : لعلكما تريدان البصرةِ والشام . فأقسما ألا يفعلا (٢٣٥) .

وكانت عائشة بمكة (٢٣٦) .

وهرب عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة إلى مكة ، ويعلى بن أمية عامل عثمان على اليمن .

فاجتمعوا بمكة كلهم ، ومعهم مروان بن الحكم ، واجتمعت بنو أميـة . وحرضوا على دم عثمان وأعطى يعلى لطلحة والزبير وعائشة أربعمائة ألف درهم . وأعطى لعائشة « عسكراً » جملا اشتراه باليمن بمائتى دينار . فأرادوا الشام ، فصدهم ابن عامر وقال : لا ميعاد لكم بمعاوية ، ولى بالبصرة صنائع ، ولكن إليها .

---

(٢٣٤) وممن استأذنه فى الخروج الى مكة عبد الله بن عمر بن الخطاب . وسبب ذلك أن عليا لما تمت له البيعة عزم على قتال أهل الشام ، وندب أهل المدينة الى الخروج معه فأبوا عليه ، فطلب عبد الله بن عمر وحرضـه على الخروج معه فقال : انما أنا رجل من أهل المدينة ان خرجوا خرجت على السمع والطاعة ، لكن لا أخرج للقتال فى هذا العام . ثم تجهز ابن عمر وخرج الى مكة (ابن كثير ٧ : ٢٣٠) وكان الحسن بن على مخالفاً لأبيه فى أمر الخروج لمقاتلة أهل الشام ومفارقته المدينة كما ترى فيما بعد . [خ]

(٢٣٥) قول على لهما وقسمهما له من زيادات مرتكبى (القاصمة) ورواتها . [خ]

(٢٣٦) ذهبت اليها هى وامهات المؤمنين لما قطع البغاة الماء عن أمير المؤمنين عثمان ، وأخذ يستسقى الناس ، فجاءته أم حبيبة بالماء فأهانوها ، وضربوا وجه بغلتها ، وقطعوا حبل البغلة بالسيف (الطبرى ٥ : ١٢٧) ، فتجهز أمهات المؤمنين الى الحج فراراً من الفتنة (ابن كثير ٧ : ٢٢٩) . [خ]

فجاءوا إلى ماء الحوأب (٢٣٧) ، ونبحت كلابه ، فسألت عائشة ، فقيل لها : هذا ماء الحوأب . فردت خطامها عنه ، وذلك لما سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « أيتكن صاحبة الجمل الأديب (٢٣٨) ، والتى تنبحها كلاب الحوأب ؟ » فشهد طلحة والزبير أنه ليس هذا ماء الحوأب (٢٣٩) ، وخمسون رجلا اليهم (٢٤٠) وكانت أول شهادة زور دارت فى الاسلام (٢٤١) .

---

(٢٣٧) الحوأب من مياه العرب على طريق البصرة . قاله أبو الفتح نصر ابن عبد الرحمن الاسكندرى فيما نقله عنه ياقوت فى معجم البلدان . وقال ابو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم : ماء قريب من البصرة ، على طريق مكة اليها . سمى بالحواب بنت كلب بن وبرة القضاعية . [خ]

(٢٣٨) الأديب : الأدب (اظهر الادغام لأجل السجعة) ، والأدب الكثير وبر الوجه . قاله ابن الأثير فى النهاية . [خ]

(٢٣٩) هذا الخبر عن الصحابى الجليل الزبير عار عن الصحة . وقد ذكر الامام ابن كثير فى البداية والنهاية (٢١٢/٦) خلافه فقال :

روى أبو نعيم بن حماد فى الملاحم ــ وقد اسنده ــ ثم روى احمد ــ وقد اسنده ــ عن ابى حازم ان عائشة لما اتت على الحواب فسمعت نباح الكلاب فقالت : ما اظننى الا راجعة ، ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لنا ايتكن ينبح عليها كلاب الحواب ، فقال لها الزبير ترجعين ؟ وعسى الله أن يصلح بك بين الناس ، قال ابن كثير : وهذا اسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجوه . [م]

(٢٤٠) لم يشهدوا ، ولم تقل عائشة ، ولم يقل (**) النبى صلى الله عليه وآله وسلم . وسنبين ذلك فى موضعه من (العاصمة) فيما بعد . [خ]

(٢٤١) شهادة الزور تصدر عن رعاع لا يخافون الله كأبى زينب وأبى المورع كما تقدم وتصدر عمن يزعم لنفسه أنه قادر على خلق شخصية لم يخلقها الله كالذى اخترع اسم ثابت مولى ام سلمة كما تقدم أما طلحة والزبير ــ المشهود لهما بالجنة من نبى الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا ينطق عن الهوى ــ فكانا اسمى اخلاقا واكرم على انفسهما وعلى الله من أن يشهدا الزور . وهذه الفرية عليهما من مبغضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليست اول فرية لهم فى الاسلام ، ولا آخر ما يفترونه من الكذب عليه وعلى أهله . [خ]

(**) لقد صح حديث الحواب كما نرى ذلك واضحا عما قريب . [م]

وخرج علىّ إلى الكوفة (٢٤٢) وتعسكر الفريقان والتقوا (٢٤٣) ، وقال عمار — وقد دنا من هودج عائشة —: ما تطلبون ؟ قالوا : نطلب دم عثمان . قال : قتل الله فى هذا اليوم الباغى والطالب لغير الحق (٢٤٤) .

والتقى على والزبير ، فقال له علىّ : أتذكر قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنك تقاتلنى ؟ فتركه ورجع (٢٤٥) . وراجعه ولده ، فلم يقبل . وأتبعه الأحنف من قتله » (٢٤٦) .

---

(٢٤٢) خرج من المدينة فى آخر شهر ربيع الآخر سنة ٣٦ ، ليكون على مقربة من الشام . وكان ابنه الحسن يود لو بقى والده بالمدينة فيتخذها دار خلافته كاخوانه الثلاثة قبله فلا يبرحها (الطبرى ٥ : ١٧١ وانظر ٥ : ١٦٣) .
وقد سلك علىّ من المدينة الى العراق طريق الربذة وفيد والثعلبية والأساود وذى قار . ومن الربذة أرسل الى الكوفة محمد بن ابى بكر ومحمد بن جعفر فرجعا اليه وهو فى ذى قار بأن أبا موسى وأهل الحجى من الكوفيين يرون القعود ، فأرسل الأشتر وابن عباس ، ثم أرسل ابنه الحسن وعماراً لاستمالة القوم اليه . وبينما هو فى الطريق انشب عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة القتال مع أصحاب الجمل . وفى الأساود جاءه خبر مصرع حكيم بن جبلة وقتلة عثمان . ثم جاء عثمان بن حنيف الى على وهو فى الثعلبية منتوف اللحية ومغلوباً على امره . وفى ذى قار اقام علىّ معسكره ، ثم قام بمن معه الى البصرة وفيها أصحاب الجمل . [خ]

(٢٤٣) بعد وصول على الى ذى قار وقيام القعقاع بن عمرو بمساعى التفاهم تقدم على بمن معه الى البصرة فأسرع قتلة عثمان الى احباط مساعى الاصلاح بانشاب القتال .

(٢٤٤) كان الفريقان يطلبان التفاهم وجمع الكلمة ، أما الباغى فهم قتلة عثمان ، وقد قتلهم الله جميعاً الا واحداً منهم ، وسيأتى بيانه . [خ]

(٢٤٥) ان هذا الخبر غير صحيح ، وقد ذكر الامام ابن كثير فى البداية والنهاية (٦/٢١٣) ما يماثله وهو ضعيف : [م]
روى البيهقى — وقد اسنده — عن أبى وجزة المازنى قال : سمعت علياً والزبير وعلىّ يقول له : ناشدتك الله يا زبير ! اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « انك تقاتلنى ، وانت ظالم » قال : بلى ولكنى نسيت .
قال البيهقى وهذا غريب . [م]

(٢٤٦) الذى قتل الزبير عمير بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع التميمى . والأحنف اتقى لله من أن يأمرهم بقتله ، بل سمعوه يتذمر من قتال المسلمين بعضهم مع بعض فلحقوا بالزبير فقتلوه (الطبرى ٥ : ١٩٨) . [خ]

ونادى علىّ طلحة من بعد : ما تطلب ؟ قال : دم عثمان . قال : قاتل الله أولانا بدم عثمان . ألم تسمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » (٢٤٧) وأنت أول من بايعنى ونكث (٢٤٨)

* * *

(٢٤٧) كان طلحة اصدق ايماناً واسمى اخلاقاً من ان يبايع وينكث . وانما كان يريد جمع الكلمة للنظر فى أمر قتلة عثمان ، واستجاب على لهذه الدعوة كما سيأتى فى البحوث التالية ، ولكن الذين جنوا على الاسلام أول مرة بالبغى على عثمان كانوا أعداء الله مرة اخرى بانشاب القتال بين هذين الفريقين من المسلمين . [خ]

(٢٤٨) الحديث صحيح كما سنرى فى غير هذا الموضع ولكن ليس فيه : « اللهم انصر من نصره واخذل من خذله » . [م]

عاصـــمة

أما خروجهم إلى البصرة فصحيح لا إشكال فيه .

ولكن لأى شىء خرجوا ؟ لم يصح فيه نقل ، ولا يوثق فيه بأحد ، لأن الثقة لم ينقله ، وكلام المتعصب [غير مقبول] . وقد دخل مع المتعصب من يريد الطعن فى الإسلام واستنقاص الصحابة :

فيحتمل أنهم خرجوا خلعاً لعلى لأمر ظهر لهم (٢٤٩) ، وهو أنهم بايعوا لتسكين الثائرة ، وقاموا يطلبون الحق .

ويحتمل أنهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان (٢٥٠) .

ويمكن أنهم خرجوا [لينظـروا] فى جمـع طوائف المسـلمين ، وضم [تشردهم] ، وردهم إلى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا . وهذا هو الصحيح ، لا شىء سواه . بذلك وردت صحاح الأخبار .

فأما الأقسام الأول فكلها باطلة وضعيفة :

أما بيعتهم كرها فباطل [وقد بيناها] .

وأما خلعهم فباطل ، لأن الخلع لا يكون إلا بنظر من الجميع ، فيمكن

---

(٢٤٩) وهذا الاحتمال بعيد عن هؤلاء الأفاضل الصالحين ، ولم يقع منهم ما يدل عليه ، بل الحوادث كلها دلت على نزاهتهم عنه . والى هـــذا ذهب الحافظ ابن حجر فى فتح الباري (١٣ : ٤١ ــ ٤٢) فنقل عن كتاب (أخبـار البصرة) لعمر بن شبة قول المهلب : « ان أحداً لم ينقل ان عائشة ومن معهـا نازعوا علياً فى الخلافة ولا دعوا الى أحد منهم ليولوه الخلافة » . [خ]

(٢٥٠) وهذا ما كانوا يذكرونه ، الا انهم يريدون أن يتفقوا مع على على الطريقة التى يتوصلون بها الى ذلك . وهذا ما كان يسعى به الصحابى المجاهد القعقاع بن عمرو ، وقبله الطرفان كما سيأتى . [خ]

أن يولى واحد أو اثنان ، ولا يكون الخلع إلا بعد الاثبات والبيان .

وأما خروجهم في أمر قتلة عثمان فيضعف ، لأن الأصل قبله تأليف الكلمة ، ويمكن أن يجتمع الأمران (٢٥٣) .

ويروى أن تغيبهم (٢٥٤) قطعاً للشغب بين الناس . فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم فيرعوا حرمة نبيهم . واحتجوا عليها (٢٥٥) بقول الله تعالى « لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » (النساء : ١١٤) ، وقد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلح وأرسل فيه . فرجت المثوبة ، واغتنمت [الفرصة] ، وخرجت حتى بلغت الأقضية مقاديرها .

وأحس بهم أهل البصرة ، فحرض من كان بها من المتألبين على عثمان الناس ، وقالوا : اخرجوا إليهم حتى تروا ما جاءوا إليه ، فبعث عثمان ابن حنيف حكيم بن جبلة (٢٥٦) ، فلقى طلحة والزبير بالزابوقة ، فقتل

---

(٢٥٣) واجتماع الأمرين هو الذى كاد يقع ، لولا ان السبأيين احبطوه . فأصحاب الجمل جاءوا فى أمر قتلة عثمان ، ولم يجيئوا الا لذلك . الا انهم أرادوا أن يتفاهموا عليه مع على ، لأن التفاهم معه أول الوسائل للوصول الى ما جاؤوا له . [خ]

(٢٥٤) أى تغيب طلحة والزبير وعائشة عن المدينة . (خ)

(٢٥٥) لما أقنعوها بالخروج الى البصرة . [خ]

(٢٥٦) عثمان بن حنيف انصارى من الأوس ، كان عند هجرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة احد الشبان الأوسيين الخمسة عشر الذين انضموا الى عبد عمرو بن صيفي عند خروجه الى مكة مغاضبا النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان عبد عمرو يسمى فى الجاهلية الراهب فسماه النبى صلى الله عليه وآله وسلم الفاسق (الطبرى ٣ : ١٦) . والظاهر أن عثمان ابن حنيف عاد من مكة وأسلم قبل وقعة أحد لأنها أول مشاهده (الاصابة ٢ : ٤٥٩) . وتزعم الشيعة انه شاغب على خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبى بكر الصديق فى أول خلافته (تنقيح المقال للمامقاني ١ : ١٩٨) .

حكيم (٢٥٧) ، ولو خرج مسلماً مستسلماً لا مدافعاً (٢٥٨) لما أصابه شيء . وأي خير كان له في المدافعة ، وعن أي شيء كان يدافع ؟ وهم ما جاءوا مقاتلين ولا ولاة ، وإنما ساعين في الصلح ، راغبين في تأليف الكلمة ، فمن خرج إليهم دافعهم وقاتلهم دافعوا عن مقصدهم ، كما يفعل في سائر الأسفار والمقاصد .

فلما وصلوا إلى البصرة تلقاهم الناس بأعلى المربد مجتمعين (٢٥٩) ، حتى لو رمى حجر ما وقع إلا على رأس إنسان . فتكلم طلحة وتكلمت عائشة رضي الله عنها .

= واعتقد ان هذا من كذبهم عليه ، وقد تولى لعمر مساحة ارض العراق وضرب الجزية والخراج على أهلها ، فلو صح ما زعموه من شغبه على أبي بكر لتنافى هذا مع استعمال عمر له ، إلا أن يكون تاب . ولما بويع لعلي آخر سنة ٣٥ واختار ولاته في بداية سنة ٣٦ ولى عثمان بن حنيف على البصرة (الطبري ٥ : ١٦١) . ولما وصل أصحاب الجمل الى الحفير على اربعة أميال من البصرة أرسل اليهم عثمان بن حنيف عمران بن حصين الخزاعي صاحب راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم على خزاعة يوم الفتح ليعلم له علمهم ، فلما عاد اليه وذكر له حديثه مع أصحاب الجمل قال له عثمان بن حنيف : أشر علي يا عمران . فقال له : اني قاعد ، فاقعد . فقال عثمان : بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين علي . وأشار عليه هشام بن عامر الأنصاري — أحد الصحابة المجاهدين الفاتحين — بأن يسالمهم حتى يأتي أمر علي ، فأبى عثمان بن حنيف ونادى في الناس ، فلبسوا السلاح ، واقبل عثمان على الكيد (الطبري ٥ : ١٧٤ — ١٧٥) ، وكانت العاقبة فشله وخروج الأمر من يده الى أيدي أصحاب الجمل . ووقع ابن حنيف في أسر الجماهير فنتفت لحيته ، ثم أنقذه أصحاب الجمل منهم فانسحب الى معسكر علي في الثعلبية ثم في ذي قار . هذا هو عثمان بن حنيف وموقفه من أصحاب الجمل . أما حكيم بن جبلة فالقارىء يعلم أنه من قتلة أمير المؤمنين عثمان ، وقد تقدم التعريف به . [خ]

(٢٥٧) الزابوقة : موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل في دورها الاول بعد ان خطب طلحة والزبير وعائشة في المربد . اما مصرع حكيم بن جبلة فكان بعد المعارك الأولى التي انتهت بغلبة أصحاب الجمل واستيلائهم على الحكم في البصرة ، فتمرد حكيم بن جبلة على هذه الحالة الجديدة وقاتل مع ثلاثمائة من أعوانه حتى قتل . (خ)

(٢٥٨) أي مقاتلا . [خ]

(٢٥٩) مربد البصرة : موضع كانت تقام فيه سوق الابل خارج البلد ، =

وكثر اللغط (٢٦٠) ، وطلحة ويقول « أنصتوا فجعلوا يركبونه ولا [ينصتون] ، فقال : « أف ، أف فراش نار ، وذباب طمع » وانقلبوا على غير بيان (٢٦١) .

وانحدرو إالى بنى نهد ، فرماهم الناس بالحجارة حتى نزلوا الجبل (٢٦٢) والتقى طلحة والزبير وعثمان بن حنيف ــ عامل علىّ ، على البصرة ــ

=
ثم صارت تكون فيه مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء . ثم اتسع عمران البصرة فدخل المربد فى العمران فكان من أجل شوارعها ، وسوقه من اجل اسواقها ، وصار محلة عظيمة سكنها الناس . ولما انحطت منزلة البصرة وهرم عمرانها تضاءلت ، فأمسى المربد بائناً عنها حتى كان بينه وبين البصرة فى زمن ياقوت ثلاثة اميال ، والمربد خراب كالبلدة المفردة فى وسط البرية . وكان موضع البصرة يومئذ قريباً من موضع ضاحيتها الزبير فى ايامنا هذه .

(٢٦٠) لأن الذين فى الميسرة كانوا يقولون تعليقاً على خطبتى طلحة والزبير : فجرا ، وغدراً ، وقالا الباطل ، وأمرا به . قد بايعا ثم جاءا يقولان ما يقولان . والذين كانوا فى الميمنة يقولون : صدقا ، وبرا ، وقالا الحق ، وامرا بالحق . وتحاثى الناس وتحاصبوا وأرهجوا . الا إنه لما انتهت عائشة من خطبتها ثبت الذين مع اصحاب الجمل على موالاتهم لهم ، وافترق اصحاب عثمان بن حنيف فرقتين فقالت فرقة : صدقت والله وبرت وجاءت بالمعروف ، وقال الآخرون : كذبتم ما نعرف ما تقولون . فتحاثوا وتحاصبوا وارهجوا . [خ]

(٢٦١) لما رات عائشة ما يفعل انصار عثمان بن حنيف انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لابن حنيف حتى وقفوا فى موضع آخر ، ومال بعض الذين كانوا مع ابن حنيف الى عائشة وبقى بعضهم مع عثمان بن حنيف (الطبرى ٥ : ١٧٥) .

(٢٦٢) حفظ لنا الطبرى (٥ : ١٧٦ ــ ١٧٧) وصفاً دقيقا نقله سيف ابن عمر التميمى عن شيخيه محمد بن عبد الله بن سواد بن نويرة وطلحة ابن الأعلم الحنفى عن موقف أصحاب الجمل السلمى فى هذه الوقعة ، واسراف حكيم بن جبلة فى انشاب القتال . قالا : وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا الى مقبرة بنى مازن ثم حجز الليل بين الفريقين . وفى اليوم التالى انتقل أصحاب الجمل الى جهة دار الرزق ، واصبح عثمان بن حنيف وحكيم ابن جبلة فجددوا القتال ، وكان حكيم يطيل لسانه بسب ام المؤمنين ويقتل من يلومه على ذلك من نساء ورجال ، ومنادى عائشة يدعو الناس الى الكف عن القتال فيأبون ، حتى اذا مسهم الشر وعضهم نادوا اصحاب عائشة الى الصلح . [خ]

وكتبوا بينهم أن يكفوا عن القتال ، ولعثمان دار الامـارة والمسـجد وبيت المال ، وأن ينزل طلحة والزبير من البصرة حيث شاءا ، ولا يعرض بعضـهم لبعض حتى يقدم على (٢٦٣) .

وروى أن حكيم بن جبلة عارضهم حينئذ ، فقتل بعد الصلح .

وقدم على البصرة (٢٦٥) ، وتدانوا ليتراءوا (٢٦٦) ، فلم يتركهم أصحاب الأهواء ، وبادروا باراقة الدماء . واشتجر [بينهم] الحرب ، وكثرت الغوغاء على البوغاء . كل ذلك حتى لا يقع برهان ، ولا [تقف] الحال على بيان ، ويخفى قتلة عثمان . وإن واحداً فى الجيش يفسد تدبيره ، فكيف بألف ! .

---

(٢٦٣) ونص كتاب الصلح فى تاريخ الطبرى (٥ : ١٧٧) . ولما بلغ عليا ما وقع كتب الى عثمان بن حنيف يصفه بالعجز . وجمع طلحة والزبير الناس وقصدوا المسجد وانتظروا عثمان بن حنيف فابطأ ولم يحضر ووقعت فتنة فى المسجد من رعاع البصرة اتباع حكيم بن جبلة ، وكان لها رد فعل من اناس ذهبوا الى عثمان بن حنيف ليحضروه فتوطاه الناس ونتفوا شعر وجهـه ، امرهم بذلك مجاشع بن مسعود السلمى زعيم هوازن وبنى سليم والأعجـاز من قبائل البصرة (الطبرى ٥ : ١٧٨) . [خ]

(٢٦٥) فنزل مكانا منها يسمى الزاوية . وكان أصحاب الجمـل نازلين مكانا منها يسمى الفرضة . [خ]

(٢٦٦) عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ، وكان ذلك يوم الخميس فى النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٦ (الطبرى ٥ : ١٩٩) . وكان الصـحابى الجليل القعقاع بن عمرو التميمى قد قام بين الفريقين بالوسـاطة الحكيمة المعقولة ، فاستجاب له أصحاب الجمل ، وأذعن على لذلك ، وبعث على الى طلحة والزبير يقول : « ان كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى تنزل فننظر فى هذا الأمر » ، فارسلا اليه : « انا على ما فارقنا عليه القعقاع ابن عمرو من الصلح بين الناس » . قال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٧ : ٢٣٩) : فاطمانت النفوس وسكنت واجتمع كل فريق بأصحابه مـن الجيشين . فلما امسوا بعث على عبد الله بن عباس اليهم ، وبعثوا محمـد ابن طلحة السجاد الى على ، وعولوا جميعاً على الصلح ، وباتوا بخير ليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية . وبات الذين اثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط ، قد اشرفوا على الهلكة . وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها ، حتى اجتمعوا على نشاب الحرب فى السر ، واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا مـن =

وقد روى أن مروان لما وقعت عينه فى الإصطفاف على طلحة قال : لا [أطلب] أثراً بعد عين ، ورماه بسهم فقتله (٢٦٧) . ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب ، ولم ينقله ثبت ؟

وقد روى (أنه) أصابه سهم بأمر مروان ، لا أنه رماه .

وقد خرج كعب بن سور بمصحف منشور بيده يناشد الناس أن [لا] يريقوا دماءهم (٢٦٩) ، فأصابه سهم غرب فقتله (٢٧٠) ، ولعل طلحة مثله .

الشر . ففدوا مع الفلس وما يشعر بهم جيرانهم ، انسلوا الى ذلك الأمر انسلالا (وانظر مع ذلك الموضع من تاريخ ابن كثير تاريخ الطبرى ٥ : ٢٠٢ - ٢٠٣ ومنهاج السنة ٢ : ١٨٥ و ٣ : ٢٢٥ و ٢٤١) وهكذا انشبوا الحرب بين علىّ وأخويه الزبير وطلحة ، فظن أصحاب الجمل أن علياً غدر بهم ، وظن علىّ أن اخوانه غدروا به ، وكل منهم اتقى لله من ان يفعل ذلك فى الجاهلية فكيف بعد أن بلغوا أعلى المنازل من اخلاق القرآن . [خ]

(٢٦٧) آفة الأخبار رواتها . وفى العلوم الاسلامية علاج آفة الكذب الخبيثة ، فان كل راوى خبر يطالبه الاسلام بأن يعين مصدره على قاعدة « من أين لك هذا ؟ » . ولا تعرف أمة مثل هذه الدقة فى المطالبة بمصادر الأخبار كما عرفه المسلمون ، ولاسيما اهل السنة منهم . وهذا الخبر عن طلحة ومروان « لقيط » لا يعرف أبوه ولا صاحبه . ومادام لم ينقله ثبت بسند معروف عن رجال ثقات فان للقاضى ابن العربى أن يقول بملء فيه : ومن يعلم هذا الا علام الغيوب ؟ !

(٢٦٩) كعب بن سور الأزدى أول قضاة المسلمين على البصرة ولاه أمير المؤمنين عمر . قال الحافظ ابن عبد البر : كان مسلماً فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لكنه لم يره .

(٢٧٠) قال الحافظ ابن عساكر (٧ : ٨٥) فى ترجمة طلحة : وقالت عائشة لكعب بن سور الأزدي : « خل يا كعب عن البعير ، وتقدم بكتاب الله فادعهم اليه » ودفعت اليه مصحفاً ، واقبل القوم وامامهم السبئية يخافون أن يجرى الصلح ، فاستقبلهم كعب بالمصحف ، وعلىّ من خلفهم يزعهم ويأبون الا اقداماً ، فلما دعاهم كعب رشقوه رشقاً واحداً فقتلوه ، ثم راموا أم المؤمنين ... فكان أول شىء احدثته حين أبوا أن قالت : « أيها الناس ، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم ، واقبلت تدعو ، وضج أهل البصرة بالدعاء . وسمع علىّ

ومعلوم أنه عند الفتنة وفى ملحمة القتال يتمكن أولو الاحن والحفود ، من حل العرى ونقض العهود . وكانت آجالا حضرت ، ومواعد انتجزت (٢٧١) .

فإن قيل : لم خرجت عائشة رضى الله عنها وقد قال صلى الله عليه وآله

=

الدعاء فقال : ما هذه الضجة ؟ فقالوا : عائشة تدعو ويدعو الناس معها على قتلة عثمان وأشياعهم . فأقبل علىّ يدعو وهو يقول : « اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم » . قلت : وهكذا اشترك صالحو الفريقين فى لعن قتلة أمير المؤمنين الشهيد المظلوم فى الساعة التى كان فيها قتلة عثمان ينشبون القتال بين صالحى المسلمين .

(٢٧١) نقل الحافظ ابن عساكر (٧ : ٨٦ ــ ٨٧) قول الشعبى : رأى على بن أبى طالب طلحة ملقى فى بعض الأودية ، فنزل فمسح التراب عن وجهه ثم قال : « عزيز علىّ أبا محمد أن أراك مجدلا فى الأودية وتحت نجوم السماء . الى الله أشكو عجرى وبجرى » « قال الأصمعى : أى سرائرى وأحزانى التى تجول فى جوفى) . وقال : « ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة » . وقال أبو حبيبة مولى طلحة : دخلت أنا وعمران بن طلحة على علىّ بعد الجمل فرحب بعمران وأدناه وقال : « انى لأرجو أن يجعلنى الله وأباك من الذين قال فيهم « ونزعنا ما فى قلوبهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » ،وكان الحارث الأعور (*) جالساً فى ناحية فقال « الله أعدل من أن نقتلهم ويكونوا اخواننا فى الجنة ، فقال له على : « قم الى أبعد أرض الله وأسحقها ، فمن هو اذا لم أكن أنا وطلحة فى الجنة ؟ » وذكر محمد بن عبد الله أن علياً تناول دواة فحذف بها الأعور يريده بها فأخطأه . وقال له ابن الكواء (**) « الله أعدل من ذلك » ، فقام اليه على بدرة فضربه وقال له « أنت ــ لا أم لك ــ وأصحابك تنكرون هذا ؟! » .

(*) هو الحارث بن عبد الله الهمدانى الحوتى أبو زهير الكوفى الأعور أحد كبار الشيعة . قال عنه الشعبى وابن المدينى : كذاب . قلت وانما كان يدفعه الى الكذب تحزبه وتشيعه ، فالحزبية والتشيع والتعصب المذهبى من مدارج الباطل ، والاسلام دين الاعتدال والانصاف والصدق وأن تقول الحق ولو على نفسك . [م]

(**) ابن الكواء : عبد الله بن أبى أوفى اليشكرى أحد القائمين بالفتنة على عثمان . وبعد صفين والتحكيم كان على رأس الخوارج على علىّ فلما حاجهم على وابن عباس رجع الى على قبل وقعة النهروان . هذان التعليقان السابقان السابقان للخطيب . [م]

وسلم لهن فى حجة الوداع « هذه ثم ظهور الحصر (٢٧٢) » . قلنا : حدث حديثين امرأه ، فإن أبت فأربعة . يا عقول النسوان ألم أعهد إليكم ألا ترووا أحاديث البهتان ، وقدمنا لكم على صحة خروج عائشة البرهان (٢٧٣) ، فلم تقولون ما لا تعلمون ؟ وتكررون ما وقع الانفصال عنه كأنكم لا تفهمون ؟ « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون »

وأما الذى ذكرتم من الشهادة على ماء الحوأب ، فقد بؤتم فى ذكرها بأعظم حوب (٢٧٤) ما كان قط شىء مما ذكرتم ، ولا قال (٢٧٥) النبى صلى الله

---

(٢٧٢) فى مسند أحمد (٢ : ٤٤٦ الطبعة الأولى) من حديث صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حج بنسائه قال « انما هى هذه الحجة ثم الزمن ظهور الحصر » . وفيه (٥ : ٢١٨ الطبعة الأولى) من حديث واقد بن أبى واقد الليثى عن أبيه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لنسائه فى حجته « هذه ثم ظهور الحصر » . وحديث أبى واقد فى باب فرض الحج من كتاب المناسك بسنن أبى داود (ك ١١ ب ١) . والحصر جمع حصير ، أى لزوم المنزل . ونقله الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢١٥) على أنه اشارة نبوية الى أنه صلى الله عليه وآله وسلم ينعى لهن نفسه وأن هذه آخر حجة له صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس فيه أمر منه بأن لا يزايلن الحصر الى حج أو مصلحة أو اصلاح بين الناس . فاستشهاد أعداء الصحابة بهذا الحديث على المنع مطلقا عده القاضى ابن العربى من البهتان لأنه استشهاد به لغير ما أراده النبى صلى الله عليه وآله وسلم . [خ]

(٢) روى الامام ابن حزم فى بحث « وجوه الفضل والمفاضلة » من كتاب (الامامة والمفاضلة) المدرج فى الجزء الرابع من (الفصل) ص ١٣٤ عن شيخه أحمد بن محمد الخوزى عن أحمد بن الفضل الدينورى عن محمد بن جرير الطبرى أن علىّ بن أبى طالب بعث عمار بن ياسر والحسن بن على الى الكوفة اذ خرجت أم المؤمنين الى البصرة ، فلما أتياها اجتمع اليهما الناس فى المسجد، فخطبهم عمار ، وذكر لهم خروج عائشة أم المؤمنين الى البصرة ثم قال لهم : « انى أقول لكم ، ووالله انى لأعلم أنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الجنة كما هى زوجته فى الدنيا ، ولكن الله ابتلاكم بها لتطيعوها أو لتطيعوه » فقال له مسروق أو أبو الأسود : « يا أبا اليقظان ، فنحن مع من شهدت له بالجنة دون من لم تشهد له » فسكت عمار . (خ)

(٢٧٤) الحوب : الاثم . [خ]

(٢٧٥) بل هو حديث صحيح أخرجه أحمد ٦/٥٢ و ٩٧ وغيره من حديث اسماعيل ابن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم عن عائشة وهذا اسناد صحيح

عليه وآله وسلم ذلك الحديث ، ولا جرى ذلك الكلام ، ولا شهد أحد

=

رجاله كلهم ثقات وقد صححه ابن حبان (١٨٣١) والحاكم والحافظ والذهبي وابن كثير .

وبمناسبة الكلام على حديث الحواب ، لابد لنا من التصريح بأن خروج عائشة رضى الله عنها كان اجتهاداً منها لتحقيق غاية طلحة والزبير ، والتعاون مع علي رضي الله عنه من أجل اطفاء الفتنة والقضاء على المنافقين والمفسدين من قتلة عثمان رضى الله عنهم جميعاً . وقد جاء فى كتاب التحفة الاثنى عشرية فى رد المطاعن فى حق أم المؤمنين وحبيبة حبيب رب العالمين عائشة الصديقة وزوج مفخرة العوالم على الحقيقة . منها انها خرجت من المدينة الى مكة ، ومنها الى البصرة ، ومعها يزيد على ستة عشر الف رجل من العسكر . وقد قال تعالى فى الأزواج المطهرات :

« وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » فأمرهن بالسكون فى البيوت ونهاهن عن الخروج من بيوتهن .

والجواب : أن الأمر باستقرارهن فى البيوت والنهى عن الخروج منها ليس بمطلق ، ولو كان مطلقا لما اخرجهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول الآية الى الحج والعمرة والغزوات ، ولا رخص لهن بزيارة الوالدين وعيادة المريض وتعزية أقاربهن . واللازم باطل ، فكذا الملزوم . والمراد من هذا الأمر والنهى تأكيد التستر والحجاب بأن لا يدرن ولا يتسكعن فى الطرق كنساء العوام .

وما طعن به أعداء الله على أم المؤمنين رضى الله عنها وجد فى فاطمة رضى الله عنها لما ثبت فى كتبهم بطريق التواتر ان الأمير — عليا — قد اركب فاطمة على مطية وطاف بها فى محلات المدينة ومساكن الأنصار طالباً منهم الاعانة على ما غصب من حقها فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه (وذلك بناء على رواية الخصوم) .

ولما ظهر علي رضى الله عنه جاء الى أم المؤمنين رضى الله عنها فقال : « غفر الله لك » قالت : « ولك . ما أردت الا الاصلاح » .

ثم أنزلها دار عبد الله بن خلف وهى أعظم دار فى البصرة على سنية بنت الحارث أم طلحة الطلحات ، وزارها ورحبت به وبايعته وجلس عندها .

فقال : رجل : يا امير المؤمنين ان بالباب رجلين ينالان من عائشة ، فأمر القعقاع بن عمرو ان يجلد كل منهما مئة جلدة وان يجردهما من ثيابهما ففعل (الطبرى : ٥ : ٢٢٣) ولما ارادت الخروج من البصرة بعث اليها بكل ما ينبغى من مركب وزاد ومتاع وأرسل معها اربعين امرأة وسير معها اخاها محمداً .

ولما كان اليوم الذى ارتحلت فيه جاء علي رضى الله عنه فوقف على الباب

=

بشهاداتهم ، وقد كتبت شهاداتكم بهذا الباطل وسوف تسألون (٢٧٦) .

=

وخرجت من الدار فى الهودج فودعت النـاس ودعت لهـم وقالت : « يا بنى لا يغتب بعضكم بعضاً . انه والله ما كان بينى وبين علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى القديم الا ما يكون بين المرأة واحمائها . وانه لمن الأخيار » فقال على رضى الله عنه :

« صدقت ، والله ما كان بينى وبينها الا ذلك وانها زوجة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم فى الدنيا والآخرة . وسار معها مودعاً أميالا سرَّح بيته معهـا بقية ذلك اليوم .

اما خروج عائشة رضى الله عنها فهو اجتهاد منها لتحقيق غاية طلحـة والزبير ، والتعاون مع على من أجل اطفاء الفتنة والقضاء على المنافقين من قتلة عثمان رضى الله تعالى عنهم جميعاً . (التحفة ص ٢٦٨ ــ ٢٦٠ و ٢٧٥ و ٢٧٦ باختصار) .

فأين هذه البراءة مما زعمه بعض المفترين بأن خروج عائشة رضى الله عنها يوم الجمل كان انتقاماً من على رضى الله عنه من انه حض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على طلاقها فى حادثة « الافك » لما رأى من حزنه من كـلام بعض الناس . وقد قال غير واحد انها اجتهدت ، ولكنها اخطأت فى الاجتهاد ، ولا اثم على المجتهد المخطىء ، بل له أجر على اجتهاده ، وكونها رضى الله تعالى عنها من أهل الاجتهاد مما لا ريب فيه .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

ان عائشة لم تقاتل ، ولم تخرج لقتال ، وانما خرجت بقصد الاصلاح بين المسلمين . وظنت ان فى خروجها مصلحة للمسلمين ثم تبين لها فيما بعد ان ترك الخروج كان أولى ، فكانت كلما ذكرت تبكى حتى تبل خمارها . وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال ، فندم طلحـة والزبير رضى الله عنهم أجمعين ، ولم يكن لهؤلاء قصد فى القتال ، ولكن وقع القتـال بغير اختيارهم (المنتقى ص ٢٢٣) . [م]

(٢٧٦) تقـدم بيـان موضـع الحـواب . وان الكلام الذى نسبوه الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وزعموا ان عائشة ذكرته عند وصـولهم الى ذلك الماء ليس له موضع فى دواوين السنة المعتبرة . وقد رأينا خبره عند الطبرى (٥ : ١٧٠) فرأيناه يرويه عن اسماعيل بن موسى الفزارى (وهو رجل قال فيه ابن عدى : أنكروا منه الغلو فى التشيع) ، ويرويه هذا الشيعى عن على بن عابس الأزرق (قال عنه النسائى : ضـعيف) ، وهو يرويه عـن أبى الخطاب الهجرى (قال الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب : مجهول) وهذا الهجرى المجهول يرويه عن صفوان بن قبيصـة الأحمسى (قال عنـه

. . . .

=
الحافظ الذهبى فى ميزان الاعتدال : مجهول) . هذا هو خبر الحوأب . وقد بنى على أعرابى زعموا أنهم لقوه فى طريق الصحراء ومعه جمل أعجبهم فأرادوا أن يكون هو جمل عائشة فاشتروه منه وسار الرجل معهم حتى وصلوا الى الحوأب فسمع هذا الكلام ورواه ، مع أنه هو نفسه ـ أى الاعرابى صاحب الجمل ـ مجهول الاسم ولا نعرف عنه ان كان من الكذابين أو الصادقين . ويظهر لى انه ليس من الكذابين ولا من الصادقين ، لأنه من أصله رجل موهوم لم يخلق ، ولأن جمل عائشة واسمه « عسكر » جاء به يعلى بن أمية من اليمن وركبته عائشة من مكة إلى العراق ، ولم تكن ماشية على رجليها حتى اشتروا لها جملا من هذا الاعرابى الذى زعموا أنهم قابلوه فى الصحراء ، وركبوا على لسانه هذه الحكاية السخيفة ليقولوا ان طلحة والزبير ـ المشهود لهما بالجنة ممن لا ينطق عن الهوى ـ قد شهدا الزور . ولو كنا نستجيز نقل الأخبار الواهية لنقلنا فى معارضة هذا الخبر خبراً آخر نقله ياقوت فى معجم البلدان (مادة حوأب) عن سيف بن عمر التميمى أن المنبوحة من كلاب الحوأب هى أم زمل سلمى بنت مالك الفزارية التى قادت المرتدين ما بين ظفر والحوأب فسباها المسلمون ووهبت لعائشة فأعتقتها ، فقيلت فيها هذه الكلمة . وهذا الخبر ضعيف والخبر الذى أوردوه عن عائشة أو هى منه . وما برح الكذب بضاعة يتجر بها الذين لا يخافون الله . ذكرنا فيما سبق أن خبر الحوأب صحيح فليرجع اليه . [م]

قاصمة

ودارت الحرب بين أهل الشام وأهل العراق (٢٧٧) : هؤلاء يدعون إلى عليّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الامام ، وهؤلاء يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون : لا نبايع من يؤوى القتلة (٢٧٨) .

وعليّ يقول لا أمكن طالبا من مطلوب ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم ، ومعاوية يقول : لا نبايع متهما [بقتله] أو قاتلا له ، هو أحد من نطلب فكيف نحكمه أو نبايعه ، وهو خليفة عداء وتسور .

---

(٢٧٧) فى موضع يسمى (صفين) بقرب الرقة على شاطىء الفرات آخر تخوم العراق وأول أرض الشام . سار اليها عليّ بجيوشه فى أواخر ذى القعدة سنة ٣٦ . (خ)

(٢٧٨) لما انتهى عليّ من حرب الجمل وسار من البصرة الى الكوفة فدخلها يوم الاثنين ١٢ من رجب ، ارسل جرير بن عبد الله البجلى الى معاوية فى دمشق يدعوه الى طاعته . فجمع معاوية رؤوس الصحابة وقادة الجيوش وأعيان أهل الشام واستشارهم فيما يطلب عليّ ، فقالوا : لا نبايعه حتى يقتل قتلة عثمان ، أو يسلمهم الينا . فرجع جرير الى عليّ بذلك . فاستخلف عليّ على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر ، وخرج منها فعسكر بالنخيلة أول طريق الشام من العراق ، وقد أشار عليه ناس بأن يبقى فى الكوفة ويبعث غيره الى الشام فأبى . وبلغ معاوية أن علياً تجهز وخرج بنفسه لقتاله فأشار عليه رجاله أن يخرج هو أيضاً بنفسه ، فخرج الشاميون نحو الفرات من ناحية صفين ، وتقدم عليّ بجيوشه الى تلك الجهة . وكان جيش عليّ فى مائة وعشرين ألفاً وجيش معاوية فى تسعين ألفاً ، وبدأ القتال فى ذى الحجة سنة ٣٦ بمناوشات ومبارزات ، ثم تهادنوا فى المحرم سنة ٣٧ واستؤنف القتال بعده ، وقتل فى هذه الحرب سبعون ألفاً ، وكانت الوقائع ٩٠ وقعة فى ١١٠ أيام ، وامتازت هذه الحرب بنبل الشجاعة فى القتال ، ونبل التعامل والاتصال عند التهادن والراحة . ثم كتب كتاب التحكيم يوم ١٣ صفر سنة ٣٧ على أن يعلن الحكمان حكمهما فى رمضان بدومة الجندل بمكان منها يسمى أذرح . [خ]

وذكروا فى تفاصيل ذلك كلمات آلت إلى استفعال رسائل (٢٧٩) ، واستخراج أقوال ، وإنشاء أشعار ، وضرب أمثال تخرج عن سيرة السلف ، يقرأها الخلف وينبذها الخَلْف (٢٨٠) .

* * *

---

(٢٧٩) أى انتحالها زوراً ولا أصل لها . وأكثر ما تجد ذلك فيما يرويه اخباريو الشيعة عن رواة مجهولين أو كذابين . وأخفهم وطأة أبو مخنف لوط ابن يحيى ، قال الحافظ الذهبى : « أبو مخنف أخبارى تالف ، لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره » . وقال فيه ابن عدى : « شيعى محترق صاحب اخبارهم » ثم جاء بعده آخرون منهم كانوا شراً على تاريخ الاسلام من لوط. هذا .. فأفسدوا على الأمة معرفتها بماضيها [خ] .

(٢٨٠) الخلف (بفتح الخاء وسكون اللام) : الطالح . وفى التنزيل « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى » . والخلف (بفتيح الخاء واللام) : الصالح . ومنه الحديث « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين (*) » . [خ]

(*) يريد بذلك علماء الحديث محاربى المبتدعة والمعطلة [م] .

عاصمة

أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعا ، وأما كونه بهذا السبب فمعلوم كذلك قطعاً ، وأما الصواب فيه فمع عليٍّ ، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم ، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه ، بل يطلب (الحق) عنده ، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر ، فكم من حق يحكم الله فيه . وإن لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه ، فيقوم له عذر في الدنيا (٢٨١) .

---

(٢٨١) وجود قتلة عثمان فى معسكر على حقيقة لا يمارى أحد فيها ، بل أن الأشتر وهو من رؤوس البغاة على عثمان كان أكبر مسعر للحرب بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين فى معسكر على والذين فى معسكر معاوية . ولما طالب علىٌّ معاوية ومن معه من الصحابة والتابعين أن يبايعوه احتكموا اليه فى قتلة عثمان وطلبوا منه أن يقيم حد الله عليهم أو أن يسلمهم اليهم فيقيموا عليهم حد الله وقد اعتذرنا عن أمير المؤمنين على بأن قتلة عثمان لما صاروا مع على فى العراق صاروا فى معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم ، فكان علىٌّ يرى — بينه وبين نفسه — أن قتلهم يفتح عليه باباً لا يستطيع سده بعد ذلك . وقد انتبه لهذه الحقيقة الصحابى الجليل القعقاع بن عمرو التميمى وتحدث بها مع أم المؤمنين عائشة وصاحبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلحة والزبير فأذعنوا لها وعذروا علياً ووافقوا على التفاهم معه على ما يوصلهم الى الخروج من هذه الفتنة ، فما لبث قتلة عثمان أن أنشبوا الحرب بين الفريقين . فالمطالبون باقامة حد الله على قتلة عثمان معذورون لأنهم يطالبون بحق ، سواء كانوا من أصحاب الجمل ، أو من أهل الشام . وتقصير على فى اقامة حد الله كان عن ضرورة قائمة ومعلومة ، ولكن اذا كانت حرب البصرة ناشئة عن انشاب قتلة عثمان الحرب بين الفريقين الأولين ، فقد كان من مصلحة الاسلام أن لا تنشب حرب صفين بين الفريقين الآخرين . وكان سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن بن على كارهاً خروج أبيه من المدينة الى العراق لما يخشاه من نشوب الحرب مع أهل الشام . ولو أن علياً لم يتحرك من الكوفة استعداداً لهذا القتال لما حرك معاوية فيه ساكناً قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ٢١٩) : « لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء » . ومع ذلك فان هذه الحرب المثالية هى الحرب =

ولئن اتهم عليٌّ بقتل عثمان فليس فى المدينة أحـــد من أصـــحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلا وهو متهم به ، أو قل معلوم قطعاً أنه قتله ، لأن ألف رجل جاءوا لقتل عثمان لا يغلبون أربعين ألفاً (٢٨٢) .

وهبك أن عليا وطلحة والزبير تضافروا على قتل عثمان ، فباقى الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن اعتد فيهم وضوى إليهم ماذا صنعوا بالقعود عن نصرته ؟ .

فلا يخلو أن يكون لأنهم رأوا أولئك طلبوا حقا وفعلوا حقا ، فهذه شهادة قائمة على عثمان فلا كلام لأهل الشام . وإن كانوا قعدوا عنه استهزاء بالدين، وأنهم لم يكن لهم [رأس مال] فى الحال ، ولا مبالاة عندهم بالإســـــلام ولا فيما يجرى فيه من اختلال ، فهى ردة ليست معصية . لأن التهاون بحدود الدين وإسلام حرمات الشريعة للتضييع كفر ، وإن كانوا قعدوا لأنهم لم يروا أن يتعدوا حد عثمان وإشارته فأى ذنب لهم فيه ؟ وأى حجة لمروان ــ وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين وابن عمر وأعيان العشرة معه فى داره يدخلون إليه ويخرجون عنه فى الشكة والسلاح ــ [والمطالبون] ينظرون ؟

=
الانسانية الأولى فى التاريخ التى جرى فيها المتحاربان معاً على مبادىء الفضائل التى يتمنى حكماء الغرب لو يعمل بها فى حروبهم ولو فى القرن الحادى والعشرين وان كثيراً من قواعد فقه الحرب فى الاسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب ، ولله فى كل أمر حكمة . [خ]

(٢٨٢) ليس فى أهل السنة رجل واحد يتهم علياً بقتل عثمان ، لا فى زماننا ولا فى زمانه . وقد مضى الكلام على ذلك فى هذا الكتاب . وكل ما فى الأمر وجود قتلة عثمان مع على ، وموقف على منهم ، وعذره بينه وبين الله فى موقفه هذا . فنحن جميعاً على رأى القعقاع بن عمرو بأن موقف على موقف ضرورة . غير ان الحمقى من اخباريى الشيعة دسوا على علىٍّ اخباراً تشعر بغير ما كان فى قلبه من المحبة والرضا والموالاة والتأييد لعثمان أثناء محنته ، فأساءوا بذلك الى على من حيث يريدون الاساءة الى عثمان . أما معاوية وفريقه فلم يذكروا علياً فى امر البغى على عثمان الا لمناسبة انضواء قتلة عثمان اليه واســـتعانته بهم . فقتلة عثمان هم الذين أساءوا الى الاسلام والى عثمان والى على أيضاً ، فالله حسيبهم . ولو أن كل المسلمين كانوا كعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فى حزمه ــ قبل أن تستفحل الفتنة ويفلت الزمام من أيدى العقلاء ــ لما وصلت الأمور الى ما وصلت اليه .

ولو كان بهم قوة أو أووا إلى ركن شديد لما مكنوا أحداً أن يراه منهم ولا يداخله ، وإنما كانوا نظارة ، فلو قام في وجوههم الحسن والحسين وعبد الله ابن عمر وعبد الله ابن الزبير ما جسروا ، ولو قتلوهم ما بقي على الأرض منهم حي .

ولكن عثمان سلم نفسه ، فترك ورأيه . وهي مسألة اجتهاد كما قدمنا

وأي كلام كان يكون لعلي [لو كتبت عنده البيعة] (٢٨٤) وحضر عنده ولي عثمان وقال الخليفة ؟ (له : يا أيها) [وما] (٢٨٥) تمالأ عليه ألف نسمة حتى قتلوه ، وهم معلومون . ماذا كان يقول إلا : أثبت ، وخذ . وفي يوم كان يثبت ، الا أن يثبتوا هم أن عثمان كان مستحقا للقتل (٢٨٦) .

وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبدا ، وكان يكون الوقت أمكن للطلب ، وأرفق في الحال ، وأيسر وصـــولا إلى المطلوب (٢٨٧) .

---

(٢٨٤) غير الشيخ محب هذه العبارة فكتب « لما تمت له البيعة » ولم يشر الى ذلك وهو مخالف للنص في جميع النسخ (ص ١٦٧) وهذا أدى الى تغيير المعنى الذي قصد اليه المؤلف(س)

(٢٨٥) غير الشيخ محب الدين النص هنا أيضا هكذا [وقال له : ان الخليفة قد تمالا عليه ..] وهو مخالف لجميع النسخ المخطوطة ومؤد الى تغيير في المعنى [س] .

(٢٨٦) المؤلف معترف بأن الاثبات كان في متناول اليد ، لأن الجريمـــة مشهودة ، والمجرمون أعلنوا فيها فجورهم فلم يتكتموا . ولكن كيف يكون التنفيذ ، ومن الذي يقوم به ومدينة الرسول مستكينة تحت وطأة الارهاب ؟ ومن ذا الذي يضمن لعلي حياته اذا أصدر هذا الحكم ؟ أليس هؤلاء هم الذين تداولوا في قتله لما عقدوا مؤتمرهم في ذي قار بعد خطبة علي التي ألقاها على الغرائر قبيل مصيره الى البصرة (الطبري ٥ : ١٦٥) ؟ الم يسخط الأشتر على أمير المؤمنين علي بعد وقعة الجمل لأنه ولي ابن عمه عبد الله ابن عباس على البصرة ولم يولها الأشتر ، ففارقه غاضباً ، ولحق به علي فتلافى ما يكون منه من الشر (الطبري ٥ : ١٩٤ ، والخوارج على علي الم ينبتوا من هذه النواة ؟ ولما قتل علي الم يقتل بمثل السلاح الذي قتل به عثمان ؟ [خ]

(٢٨٧) كان يكون الوقت أمكن للطالب لو وجدت في المدينة القوة التي كان يتمناها عثمان . ويقال ان قوة من جند الشام كانت خرجت من دمشق قاصدة المدينة ، فلما جاءها خبر شهادة امير المؤمنين عثمان رجعت مـــن

والذى يكشف الغطاء فى ذلك أن معاوية لما صار إليه الأمر لم يمكنه أن يقتل من قتلة عثمان أحدا ، إلا بحكم ، إلا من قتل فى حرب بتأويل ، أو دس عليه فيما [قيل] (٢٨٨) . حتى انتهى الأمر إلى (زمان) الحجاج ، وهم يقتلون بالتهمة لا بالحقيقة . فتبين لكم أنهم ما كانوا فى ملكهم يفعلون ما أضحوا له يطلبون .

والذى تثلج به صدوركم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذكر فى الفتن ، وأشار وبين . وأنذر [الخوارج] (٢٩٠) وقال « تقتلهم أدنى الطائفتين

=

الطريق ، فبقيت المدينة خاضعة لقتلة عثمان حتى بعد البيعة لعلى ، وهم ان نزلوا على احكام هذه البيعة فيما لا ضرر منه عليهم ، لا ريب أنهم ينقلبون وحوشاً ضارية لو صدرت عليهم أحكام الله باقامة الحدود فيما ارتكبوا من جرم شنيع . [خ]

(٢٨٨) ان سطوة الله وعدله الأعلى نزلا بأكثر قتلة عثمان فلم يبق منهم فى ولاية معاوية الا المشرد الخائف الباحث عن جحر يختبىء فيه . وبزاول سطوتهم وتقلص شرهم لم يبق بمعاوية حاجة الى تتبعهم . [خ]

(٢٩٠) اسم الخوارج جاء من جماعة خرجوا على على بن أبى طالب وصحبه لأنه قبل بالتحكيم قائلين ان حكم الله واضح لا يحتاج الى هذا التحكيم وكان شعارهم « لا حكم الا لله » ، ويسمون أيضاً بالحرورية نسبة الى قرية فى الكوفة تسمى (حروراء) خرجوا اليها . وقد حاربهم أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى الوقعة الشهيرة بوقعة « النهروان » وهزمهم وقتل منهم كثيراً ، ولكنه لم يستطع ابادتهم ، حتى دبروا له مكيدة قتله على يد عبد الرحمن ابن ملجم عليه من الله ما يستحق .

وقد حارب الخوارج الدولة الاموية واقلقوا راحتها فى حروب متواصلة بحجة أنها مغتصبة للخلافة بزعمهم ولكنها استطاعت أن تنهك قواهم ، غير أنها لم تستطع استئصالهم .

والخوارج يقولون بتكفير عثمان لما غير وبدل بزعمهم ، وبتكفير على لقبوله التحكيم وطعنوا فى أصحاب الجمل وكل ذلك من جهلهم وضلالهم .

وكان من نظريتهم ان الخلافة تكون باختيار حر من المسلمين وقد خالفوا بذلك الشيعة القائلين بانحصار الخلافة فى بيت النبى ﷺ . كان ذلك بخلاف أهل السنة القائلين بأن الخلافة من قريش اذا وجدوا وتحققت فيهم الجدارة . وهو الحق .

=

الى الحق » (٢٩١) فبين أن كل طائفة (منهما) تتعلق بالحق ، ولكن طائفة علىّ أدنى إليه . (٢٩٢) وقال تعالى : « وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين » (سورة الحجرات : ٩) فلم يخرجهم عن « الإيمان » بالبغى بالتأويل ، ولا سلبهم اسم « الاخوة » بقوله بعده « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » (الحجرات : ١٠) .

=

والخوارج على الرغم من ضلالهم وانحرافهم ، لم يعرفوا بالكذب كالرافضة الذين ينكرون الأحاديث الصحيحة ويضعون الأحاديث المكذوبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويؤولون آيات القرآن الكريم حسب أهوائهم ! .. [م]

(٢٩١) فى صحيح مسلم (ك ١٢ ح ١٥٠ ج ٣ ص ١١٣) من حديث أبى سعيد الخدرى : « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق » . [خ]

(٢٩٢) أهل السنة المحمدية يدينون لله على أن علياً ومعاوية ومن معهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا جميعاً من أهل الحق ، وكانوا مخلصين فى ذلك . والذى اختلفوا فيه انما اختلفوا عن اجتهاد ، كما يختلف المجتهدون فى كل ما يختلفون فيه . وهم لاخلاصهم فى اجتهادهم مثابون عليه فى حالتى الاصابة والخطأ ، وثواب المصيب أضعاف ثواب المخطىء ، وليس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر معصوم عن أن يخطىء ، وقد يخطىء بعضهم فى أمور ويصيب فى أخرى ، وكذلك الآخرون . ومن مرق عن الحق فى اثارة الفتنة الأولى على عثمان لا يعد من احدى الطائفتين اللتين على الحق وان قاتل معها والتحق بها ، لأن الذين تلوثت أيديهم ونياتهم وقلوبهم بالبغى الظالم على أمير المؤمنين عثمان ـ كائناً من كانوا ـ استحقوا اقامة الحد الشرعى عليهم سواء استطاع ولى الأمر أن يقيم عليهم هذا الحد أو لم يستطع . وفى حالة عدم استطاعته فان مواصلتهم تسعير القتال بين صالحى المسلمين كلما أحسوا منهم بالعزم على الاصلاح والتآخى ـ كما فعلوا فى وقعة الجمل وبعدها ـ يعد اصراراً منهم على الاستمرار فى الاجرام ما داموا على ذلك. فان قلنا ان الطائفتين كانتا من أهل الحق فانما نريد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين كانوا من الطائفتين ومن سار معهم على سنته صلى الله عليه وآله وسلم من التابعين ، ونرى ان علياً المبشر بالجنة أعلى مقاماً عند الله من معاوية خال المؤمنين وصاحب رسول رب العالمين ، وكلاهما من أهل

=

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فى عمار : « تقتله الفئة الباغية » [٢٩٣] .

وقال فى الحسين « ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » ، فحسن له خلعه نفسه وإصلاحه [٢٩٤] .

=

الخير . واذا اندس فيهم طوائف من أهل الشر فان من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٧ : ٢٧٧) عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الشعبانى قاضى افريقية المتوفى سنة ١٥٦ وكان رجلا صالحاً من الآمرين بالمعروف — وذكر أهل صفين — فقال : « كانوا عرباً يعرف بعضهم بعضاً فى الجاهلية ، فالتقوا فى الاسلام معهم على الحمية وسنة الاسلام ، فتصابروا ، واستحيوا من الفرار ، وكانوا اذا تحاجزوا دخل هؤلاء فى عسكر هؤلاء وهؤلاء فى عسكر هؤلاء ، فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم » . قال الشعبى : « هم أهل الجنة ، لقى بعضهم بعضاً ، فلم يفر أحد من أحد » . [خ]

(٢٩٣) قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك لما كانوا يبنون المسجد ، فكان الناس ينقلون لبنة لبنة وعمار ينقل لبنتين لبنتين ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيه هذه الكلمة على ما رواه ابو سعيد الخدرى لعكرمة مولى ابن عباس ولعلى بن عبد الله بن عباس . وهو فى كتاب الجهاد والسير من صحيح البخارى (ك ٥٦ ب ١٧ ج ٣ ص ٢٠٧) . وقد كان معاوية يعرف من نفسه أنه لم يكن منه البغى فى حرب صفين ، لأنه لم يردها ، ولم يبتدئها ، ولم يأت لها الا بعد أن خرج على من الكوفة وضرب معسكره فى النخيلة ليسير الى الشام كما تقدم ، ولذلك لما قتل عمار قال معاوية : « انما قتله من أخرجه » . وفى اعتقادى الشخصى أن كل من قتل من المسلمين بأيدى المسلمين منذ قتل عثمان فانما اثمه على قتلة عثمان لأنهم فتحوا باب الفتنة ، ولأنهم واصلوا تسعير نارها ، ولأنهم الذين أوغروا صدور المسلمين بعضهم على بعض ، فكما كانوا قتلة عثمان فانهم كانوا القاتلين لكل من قتل بعده ، ومنهم عمار ومن هم أفضل من عمار كطلحة والزبير ، الى أن انتهت فتنتهم بقتلهم علياً نفسه وقد كانوا من جنده وفى الطائفة التى كان قائماً عليها . فالحديث من أعلام النبوة . والطائفتان المتقاتلتان فى صفين كانتا طائفتين من المؤمنين . وعلى أفضل من معاوية . وعلى ومعاوية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن دعائم دولة الاسلام . وكل ما وقع من الفتن فاثمه على مؤرثى نارها لأنهم السبب الأول فيها ، فهم الفئة الباغية التى قتل بسببها كل مقتول فى وقعتى الجمل وصفين وما تفرع عنهما . [خ]

(٢٩٤) سيأتى الكلام على هذا عند الكلام على الصلح بين الحسن ومعاوية . [خ]

وكذلك يروى أنه أذن فى الرؤيا لعثمان فى أن يستسلم ويفطر عنده الليلة .

فهذه كلها أمور جرت على رسم النزاع ، ولم تخرج عن طريق من طرق الفقه ، [ولا تعدت] سبيل الاجتهاد الذى يؤجر فيه المصيب عشرة (٢٩٦) والمخطىء أجراً واحداً (٢٩٧) .

وما وقع من روايات فى كتب التاريخ ــ عدا ما ذكرنا ــ فلا تلتفتوا إلى حرف منها ، فإنها كلها باطلة .

---

(٢٩٦) نص الحديث : « اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب ، فله أجران ، واذا حكم فاجتهد فأخطأ ، فله أجر واحد » رواه البخارى ومسلم . [م]

(٢٩٧) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ٢١٩ ــ ٢٢٠) : « لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء ، بل كان من أشد الناس حرصاً على أن لا يكون قتال ، وكان غيره أحرص على القتال منه . وقتال صفين للناس فيه أقوال : فمنهم من يقول كلاهما كان مجتهداً مصيباً ، كما يقول ذلك كثير من أهل الكلام والفقه والحديث ممن يقول : كل مجتهد مصيب ، ويقول : كانا مجتهدين . وهذا قول كثير من الأشعرية والكرامية والفقهاء وغيرهم ، وهو قول كثير من أصحاب أبى حنيفة والشافعى وأحمد وغيرهم . وتقول الكرامية: كلاهما امام مصيب ، ويجوز نصب امامين للحاجة . ومنهم من يقول : بل المصيب أحدهما لا بعينه ، وهذا قول طائفة منهم . ومنهم من يقول : على هو المصيب وحده ومعاوية مجتهد مخطىء ، كما يقول ذلك طوائف من أهل الكلام والفقهاء أهل المذاهب الأربعة . وقد حكى هذه الأقوال الثلاثة أبو عبد الله حامد من أصحاب الامام أحمد وغيره ومنهم من يقول كان الصواب أن لا يكون قتال وكان ترك القتال خيراً للطائفتين ، فليس فى الاقتتال صواب ، ولكن على كان أقرب الى الحق من معاوية ، والقتال قتال فتنة : ليس بواجب ولا مستحب ، وكان ترك القتال خيراً للطائفتين مع أن علياً كان أولى بالحق ، وهذا قول أحمد وأكثر أهل الحديث وأكثر أئمة الفقهاء ، وهو قول أكابر الصحابة والتابعين لهم باحسان ، وهو قول عمران بن حصين رضى الله عنه وكان ينهى عن بيع السلاح فى ذلك القتال ويقول : هو بيع السلاح فى الفتنة . وهو قول اسامة ابن زيد ومحمد بن مسلمة وابن عمر وسعد بن أبى وقاص وأكثر من بقى من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم . ولهذا كان من مذهب أهل السنة الامساك عما شجر بين الصحابة فانه قد ثبتت فضائلهم ووجبت موالاتهم ومحبتهم » . [خ]

قاصمة التحكيم

وقد تحكم الناس فى التحكيم فقالوا فيه مالا [يرضى] الله . وإذا [لاحظتموه] بعين المروءة — دون الديانة — رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها فى الكتب فى الأكثر عدم الدين ، وفى الأقل جهل بين .

والذى يصح من ذلك ما روى الأئمة كخليفة بن خياط (٢٩٨) ، والدارقطنى (٢٩٩) : أنه لما خرج الطائفة العراقية فى مائة ألف والشامية فى سبعين أو تسعين ألفا ونزلوا على الفرات بصفين ، اقتتلوا فى أول يوم وهو الثلاثاء على الماء فغلب أهل العراق عليه (٣٠٠) .

ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة (سبع وثلاثين) ويوم

---

(٢٩٨) هو الامام الحافظ أبو عمرو خليفة بن خياط العصفرى البصرى ، احد أوعية العلم ، ومن شيوخ الامام البخارى . قال عنه ابن عدى : هو صدوق مستقيم الحديث من متيقظى رواة السنة . توفى سنة ٢٤٠ . [خ]

(٢٩٩) هو الامام الحافظ أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى (٣٠٦ — ٣٨٥) كان مع جلالته فى الحديث من أئمة فقهاء الشافعية ، وله تقدم فى الأدب ورواية الشعر . وجاء من بغداد الى مصر ليساعد ابن حنزابة وزير كافور على تأليف مسنده فبالغ الوزير فى اجلاله . قال الحافظ عبد الغنى بن سعيد « أحسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة : على بن المدينى فى وقته ، وموسى بن هارون القيسى فى وقته ، والدارقطنى فى وقته » . [خ]

(٣٠٠) لم يكن القتال على الماء جدياً ، وقد قال عمرو بن العاص يومئذ « ليس من النصف أن نكون ريانين وهم عطاش » . والذين تظاهروا فى الجيش الشامى بمنع العراقيين عن الماء أرادوا أن يذكروهم بمنعهم الماء عن أمير المؤمنين عثمان فى عاصمة خلافته وهو الذى اشترى بئر رومة من ماله ليستقى منه اخوانه المسلمون . وبعد اشتراكهم فى الماء تناوشوا شهر ذى الحجة من سنة ٣٦ ثم تهادنوا شهر المحرم من سنة ٣٧ ، ووقعت وقائع شهر صفر التى سيشير اليها المؤلف . [خ]

حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعويين بالحق ، فكان من جهة عليٍّ الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت (٣٠١) ، ورفعت المصاحف من أهل الشام ، ودعوا إلى الصلح ، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل أبو موسى (٣٠٢) ، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص .

وكان أبو موسى رجلا تقياً ثقفاً فقيها عالما حسبما بيناه فى كتاب (سراج المريدين) (٣٠٣) ، أرسله النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن مع معاذ ، وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم(٣٠٤). وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأى مخدوعا فى القول ، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضربت الأمثال بدهائه تأكيداً لما أرادت من الفساد ، وتبع فى ذلك بعض الجهال بعضا وصنفوا فيه حكايات . وغيره من الصحابة كان أحذق منه وأدهى . وإنما بنوا ذلك على أن عمراً لما غدر أبا موسى فى قصة التحكيم صار له الذكر فى الدهاء [والفكر] .

---

(٣٠١) وكانت تسمى « ليلة الهرير » اقتتل الناس فيها حتى الصباح .[خ]

(٣٠٢) وكان آخر العهد بأبى موسى عندما كان واليا على الكوفة ، وجاء دعاة عليٍّ يحرضون الكوفيين على لبس السلاح والالتحاق بجيش على استعداداً لما ينتظرونه من قتال مع أصحاب الجمل فى البصرة ، ثم مع أنصار معاوية فى الشام . فكان أبو موسى يشفق على دماء المسلمين أن تسفك بتحريض الغلاة ، ويذكر أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقول نبيهم فى الفتنة « القاعد فيها خير من القائم » ، فتركه الأشتر يحدث الناس فى المسجد بالحديث النبوى ، وأسرع الى دار الامارة فاحتلها . فلما عاد اليها أبو موسى منعه الأشتر من الدخول وقال له : اعتزل امارتنا . فاعتزلهم أبو موسى واختار الاقامة فى قرية يقال لها عرض بعيداً عن الفتن وسفك الدماء . فلما شبع الناس من سفك الدماء واقتنعوا بأن أبا موسى كان ناصحاً للمسلمين فى نهيهم عن القتال طلبوا من على أن يكون هو ممثل العراق فى أمر التحكيم ، لأن الحالة التى كان يدعو اليها هى التى فيها الصلاح . فأرسلوا الى أبى موسى وجاءوا به من عزلته . [خ]

(٣٠٣) من مؤلفات أبى بكر بن العربى وهو فى الزهد والتصوف السنى ، وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠٣٤٨ ب [س]

(٣٠٤) واختصه بكتابه الشهير فى القضاء وآدابه وقواعده . [خ]

وقالوا : انهما لما اجتمعا بأذرح من دومة الجندل (٣٠٥) ، وتفاوضا اتفقا على أن يخلعا الرجلين (٣٠٦) . فقال عمرو لأبى موسى : اسبق بالقول . فتقدم فقال : إنى نظرت فخلعت عليا عن الأمر ، ولينظر المسلمون لأنفسهم ، كما خلعت سيفى هذا من عاتقى — وأخرجه من عنقه فوضعه فى الأرض . وقام عمرو فوضع سيفه فى الأرض وقال : إنى نظرت فأثبت معاوية فى

---

(٣٠٥) أذرح : قرية من أعمال الشراة تقع فى منطقة بين أراضي شرقى الأردن والمملكة العربية السعودية فى الأطراف الجنوبية من بادية الشام . [خ]

(٣٠٦) من الحقائق ما اذا أسيء التعبير عنه وشابته شوائب المغالطة يوهم غير الحقيقة ، فينشأ عن ذلك الاختلاف فى الحكم عليه . ومن ذلك حادثة التحكيم وقول المغالطين ان أبا موسى وعمرا اتفقا على خلع الرجلين ، فخلعهما ابو موسى ، واكتفى عمرو بخلع على دون معاوية . وأصل المغالطة من تجاهل المغالطين أن معاوية لم يكن يومئذ خليفة ، ولا هو ادعى الخلافة حتى يحتاج عمرو الى خلعها عنه . بل ان أبا موسى وعمراً اتفقا على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين الى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض . واتفاق الحكمين على ذلك لا يتناول معاوية لأنه لم يكن خليفة ، ولم يقاتل على الخلافة ، وانما كان يطالب باقامة الحد الشرعى على الذين اشتركوا فى قتل عثمان . فلما وقع التحكيم على امامة المسلمين ، واتفق الحكمان على ترك النظر فيها الى كبار الصحابة وأعيانهم تناول التحكيم شيئاً واحداً هو الامامة . أما التصرف العملى فى ادارة البلاد التى تحت حكمه ، ومعاوية متصرف فى البلاد التى تحت حكمه. فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر ، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة . وكان يكون محل للمكر او الغفلة لو أن عمراً أعلن فى نتيجة التحكيم أنه ولى معاوية امارة المؤمنين وخلافة المسلمين ، وهذا ما لم يعلنه عمرو ، ولا ادعاه معاوية ، ولم يقل به أحد فى الثلاثة عشر قرنا الماضية . وخلافة معاوية لم تبدأ الا بعد الصلح مع الحسن بن على ، وقد تمت بمبايعة الحسن لمعاوية ، ومن ذلك اليوم فقط سمى معاوية أمير المؤمنين . فعمرو لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه ، لأنه لم يعط معاوية شيئاً جديداً ، ولم يقرر فى التحكيم غير الذى قرره ابو موسى ، ولم يخرج عما اتفقا عليه معا ، فبقيت العراق والحجاز وما يتبعهما تحت يد من كانت تحت يده من قبل ، وبقيت الشام وما يتبعها تحت يد من كانت تحت يده من قبل ، وتعلقت الامامة بما سيكون من اتفاق أعيان الصحابة عليها . واى ذنب لعمرو فى اى شيء مما وقع ؟ ان البلاهة لم تكن من أبى موسى ، ولكن ممن يريد أن يفهم الوقائع على غير ما وقعت عليه . فليفهمها كل من شاء كما يشاء . أما هى ، فظاهرة واضحة لكل من يراها كما هى . [خ]

الأمر (٣٠٧) ، (٣٠٨) كما أثبت سيفى هذا فى عاتقى . وتقلده : فأنكره أبو موسى ، فقال عمرو : كذلك اتفقنا . وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف .

* * *

---

(٣٠٧) أى أمر ؟ ان كان الاستمرار فى ادارة البلاد التى تحت يده ، فان هذا الأمر ماض على معاوية وعلى معاً ، فكل منهما باق فى الحكم على ما تحت يده . وان كان المراد بالأمر الامامة العامة وامارة المؤمنين فان معاوية لم يكن اماماً — أى خليفة — حتى يثبته عمرو كما كان . وقد أوضحنا هذه الحقيقة فى الفقرة السابقة . وهذه هى نقطة المغالطة التى هزأ بها مؤرخو الافك المفترى فسخروا بجميع قرائهم واوهموهم بأن هناك خليفتين أو أميرين للمؤمنين ، وأن الاتفاق بين الحكمين كان على خلعهما معاً ، وأن أبا موسى خلع الخليفتين تنفيذاً للاتفاق ، وأن عمرا خلع أحدهما وأبقى الآخر خليفة خلافا للاتفاق . وهذا كله كذب وافك وبهتان . والذى فعله عمرو هو نفس الذى فعله أبو موسى لا يفترق عنه قط فى نقير ولا قطمير . وبقى أمر الامامة والخلافة أو امارة المؤمنين معلقاً على نظر أعيان الصحابة ليروا فيه رأيهم متى شاءوا وكيف شاءوا . واذا كانت هذه الخطوة الثانية لم تتم فما فى ذلك تقصير من أبى موسى ولا من عمرو ، فهما قد قاما بمهمتهما بحسب ما أدى اليه اجتهادهما واقتناعهما . ولم لم تكلفهما الطائفتان معاً بأداء هذه المهمة لما تعرضا لها ، ولا ابديا رأياً فيها . ولو كان موقف أبى موسى فى هذا الحادث التاريخى العظيم موقف بلاهة وفشل لكان ذلك سبة عليه فى التاريخ ، وان الأجيال التى بعده فهمت موقفه على أنه من مفاخره التى كتب الله له بها النجاح والسداد ، حتى قال ذو الرمة الشاعر يخاطب حفيده بلال بن أبى بردة بن أبى موسى :

أبوك تلافى الدين والناس بعدما ... تشاءوا وبيت الدين منقطع الكسر
فشد اصار الدين أيام أذرح ... ورد حروبا قد لقحن الى عقر

[خ]

(٣٠٨) قال الامام ابن كثير رحمه الله تعالى بعدما روى هذه القصة : « فانه حديث منكر ورفعه موضوع والله أعلم . اذ لو كان هذا معلوماً عند على لم يوافق على تحكيم الحكمين ، حتى لا يكون سبباً لاضلال الناس ، كما نطق به هذا الحديث . وآفة هذا الحديث هو زكريا بن يحيى ، وهو الكندى الحميرى الأعمى . قال ابن معين : ليس بشىء » البداية (٧/٣٨٥) . [م]

عاصمة

قال القاضي أبو بكر رضى الله عنه : هذا كله كذب صراح ، ما جرى منه حرف قط . وإنما هو شيء [اخترعته] المبتدعة ، ووضعته التاريخية للملوك ، فتوارثته أهل المجانة والجهارة بمعاصى الله والبدع (٣٠٩) .

وإنما الذى روى الأئمة الثقات الأثبات أنهما لما اجتمعا للنظر فى الأمر ـ

(٣٠٩) ان التاريخ الاسلامى لم يبدأ تدوينه الا بعد زوال بنى أمية وقيام دول لا يسر رجالها التحدث بمفاخر ذلك الماضى ومحاسن أهله . فتولى تدوين تاريخ الاسلام ثلاث طوائف : طائفة كانت تنشد العيش والجدة من التقرب الى مبغضى بنى أمية بما تكتبه وتؤلفه . وطائفة ظنت أن التدين لا يتم ، ولا يكون التقرب الى الله ، الا بتشويه سمعة أبى بكر وعمر وعثمان وبنى عبد شمس جميعا . وطائفة ثالثة من أهل الانصاف والدين ـ كالطبرى وابن عساكر وابن الأثير وابن كثير ـ رأت أن من الانصاف أن تجمع أخبار الأخباريين من كل المذاهب والمشارب ـ كلوط بن يحيى الشيعى المحترق ، سيف بن عمر العراقى المعتدل ـ ولعل بعضهم اضطر الى ذلك ارضاء لجهات كان يشعر بقوتها ومكانتها . وقد اثبت أكثر هؤلاء أسماء رواة الأخبار التى اوردها ليكون الباحث على بصيرة من كل خبر بالبحث عن حال راويه . وقد وصلت الينا هذه التركة لا على أنها هى تاريخنا ، بل على انها مادة غزيرة للدرس والبحث يستخرج منها تاريخنا ، وهذا ممكن وميسور اذا تولاه من يلاحظ مواطن القوة والضعف فى هذه المراجع ، وله من الألمعية ما يستخلص به حقيقة ما وقع ويجردها عن الذى لم يقع ، مكتفياً بأصول الأخبار الصحيحة عن الزيادات الطارئة عليها . وان الرجوع الى كتب السنة ، وملاحظات أئمة الأمة ، مما يسهل هذه المهمة . وقد آن لنا أن نقوم بهذا الواجب الذى أبطأنا فيه كل الابطاء . وأول من استيقظ فى عصرنا للدسائس المدسوسة على تاريخ بنى امية العلامة الهندى الكبير الشيخ شبلى النعمانى فى انتقاده لكتب جرجى زيدان ، ثم أخذ أهل الألمعية من المنصفين فى دراسة الحقائق فبدأت تظهر لهم وللناس منيرة مشرقة ، ولا يبعد ـ اذا استمر هذا الجهاد فى سبيل الحق ـ أن يتغير فهم المسلمين لتاريخهم ، ويدركوا أسرار ما وقع فى ماضيهم من معجزات . [خ]

فى عصبة كريمة من الناس منهم ابن عمر ونحوه ــ عزل [عمرو] معاوية (٣١٠)

ذكر الدارقطنى بسنده إلى حصين بن المنذر (٣١١) : لما عزل عمرو معاوية جاء (جاء حصين بن المنذر) فضرب فسطاطه قريباً من فسطاط معاوية ، فبلغ [ثناه] (٣١٢) معاوية ، فأرسل (إلىّ) فقال : انه بلغنى عن هذا (أى عن عمرو) كذا وكذا (٣١٣) ، فاذهب فانظر ما هذا الذى بلغنى عنه . فأتيته فقلت : أخبرْنى عن الأمر الذى وليت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه ؟ قال : قد قال الناس فى ذلك ما قالوا ، والله ما كان الأمر على ما قالوا (٣١٤) ، ولكن قلت لأبى موسى : ما ترى فى هذا الأمر ؟ قال : أرى أنه فى النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض . قلت : فأين تجعلنى أنا ومعاوية ؟ فقال : إن يستعن بكما ففيكما معونة ، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما . قال : فكانت هى التى قتل معاوية منها نفسه . فأتيته فأخبرته (أى فأتى حصين معاوية فأخبره) أن الذى بلغه عنه كما بلغه . فأرسل إلى أبى الأعور الذكوانى (٣١٥) فبعثه فى خيله ، فخرج يركض فرسه ويقول : أين عدو الله ، أين هذا الفاسق ؟

قال أبو يوسف (٣١٦) : أظنه قال : « إنما يريد حوباء نفسه » فخرج

---

(٣١٠) أى بتقريره مع أبى موسى أن امامة المسلمين يترك النظر فيها الى أعيان الصحابة . [خ]

(٣١١) قال الدارقطنى : حدثنا ابراهيم بن همام ، حدثنا أبو يوسف الفلوسى وهو يعقوب بن عبد الرحمن بن جرير ، حدثنا الأسود بن شيبان ، عن عبد الله بن مضارب عن حصين بن المنذر (وحصين من خواص على الذين حاربوا معه) [خ]

(٣١٢) أى عزله علياً ومعاوية وتفويضه الأمر الى كبار الصحابة . [خ]

(٣١٣) أى أنهما لم يعزلا ، ولم يوليا ، ولكن تركا الأمر لأعيان الصحابة . [خ]

(٣١٤) وكتبها الشيخ محب : تباه (س)

(٣١٥) هو أبو الأعور السلمى (وذكوان قبيلة من سليم) واسمه عمرو ابن سفيان ، كان من كبار قواد معاوية . وفى حرب صفين طلب الأشتر أن يبارزه فترفع عن ذلك لأنه لم ير الأشتر من أنداده .

(٣١٦) أى الفلوسى راوى هذا الخبر عن الأسود بن شيبان عن عبد الله ابن مضارب عن حصين .

(عمرو) إلى فرس تحت فسطاطه فجال فى ظهره عرياناً ، فخرج يركضه نحو فسطاط معاوية وهو يقول : « إن الضجور قد تحتلب العلبة ، يا معاوية إن الضجور قد تحتلب العلبة » (٣١٧) . فقال معاوية : [أحسبه] (٣١٨) ، وبريد الحالب فتدق أنفه ، وتكفأ إناءه » (٣١٩) .

قال الدارقطنى ـ وذكر سنداً عدلا (٣٢٠) [وساق الحديث] : ربعى عن أبى موسى أن عمرو بن العاص قال : « والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما منه شيء لقد غبنا ونقص رأيهما . وايم الله ما كان مغبونين ولا ناقصى الرأى . ولئن كانا امرأين يحرم عليهما هذا المال الذى أصبناه بعدهما لقد هلكنا . وايم الله ما جاء الوهم إلا من قبلنا » (٣٢١) .

---

(٣١٧) الضجور : الناقة التى ترغو وتعربد عند الحلب . و « قد تحلب الضجور العلبة » مثل . ومعناه ان الناقة التى ترغو قد تحلب ما يملأ العلبة ، يضربونه للسيء الخلق قد يصاب منه الرفق واللين ، والبخيل قد يستخرج منه المال .

(٣١٨) فى نسخة الشيخ محب [أجل !!] . [س]

(٣١٩) ثم قال : ثنا محمد بن عبد الله بن ابراهيم ودعلج بن أحمد قالا حدثنا محمد بن أحمد ابن النضر ثنا معاوية بن عمر ثنا زائدة عن عبد الملك بن عمير عن .... [س] .

(٣٢٠) أورد المؤلف هذا الخبر للدلالة على ورع عمرو (*) ومحاسبته لنفسه وتذكيره بسيرة السلف .

(٣٢١) وأسقطها الشيخ محب من النص وجعلها فى الهامش !! . [س]

(*) قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الثناء على عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه : « أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » وهو حديث حسن كما جاء فى الأحاديث الصحيحة ٢/٦٤ .

قال شيخنا محدث الديار الشامية فى المصدر السابق : وفى هذا الحديث منقبة عظيمة لعمرو بن العاص رضى الله عنه ، أن شهد له النبى صلى الله عليه واله وسلم : « لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة » متفق عليه . وقال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار » .

وعلى هذا لا يجوز الطعن فى عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه كما يفعل بعض الكتاب المعاصرين ، وغيرهم من المخالفين ـ بسبب ما وقع من الخلاف بل القتال مع على رضى الله عنه ، لأن ذلك لا ينافى الايمان ، فانه لا يستلزم العصمة كما لا يخفى ، لاسيما اذا قيل : ان ذلك وقع منه بنوع من الاجتهاد وليس اتباعاً للهوى . [م]

فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه . فأعرضوا عن الغاوين ، وازجروا العاوين ، وعرجوا عن سبيل الناكثين ، إلى سنن المهتدين . وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين . وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد هلك من كان أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم خصمه . دعوا ما مضى ، فقد قضى الله فيه ما قضى . وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقاداً وعملا . ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل [ماجن] اتخذ الدين هملا ، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا . ورحم الله الربيع بن خثيم (٣٢٢) فإنه لما قيل له : قتل الحسين ! قال : أقتلوه ؟ قالوا : نعم . فقال « اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون » (الزمر : ٤٦) . ولم يزد على هذا أبداً . فهذا العقل والدين ، والكف عن أحوال المسلمين ، والتسليم لرب العالمين .

* * *

---

(٣٢٢) هو من تلاميذ عبد الله بن مسعود وأبى أيوب الأنصارى وعمرو ابن ميمون ، وأخذ عنه الامام الشعبى وابراهيم النخعى وابو بردة . قال له ابن مسعود : لو رآك النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأحبك . توفى سنة ٦٤ [خ]

تكملة : ب ، ج ذ ومطبوعة الشيخ محب [خيثم] وهو خطا والتصحيح من طبقات ابن خياط ـ صفحة ١٤١ [س] .

قاصـــمة

قال قيل : إنما يكون ذلك في المعاني التي تشكل ، وأما هذه الأمــور كلها فلا إشكال فيها ، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نص على استخلاف عليٍّ بعـــده فقـــال « أنت مني بمنـــزلة هارون مـــن موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » (٣٢٣) ، (وقال) : « اللهم (٣٢٤) وال من والاه ، وعاد من عاداه ،

---

(٣٢٣) في كتاب المغازي من صحيح البخاري (ك ٦٤ ب ٧٨ ج ٥ ص ١٢٩) وفي فضائل الصحابة من صحيح مسلم (ك ٤٤ ح ٣١ ج ٧ ص ١٢٠) مـــن حديث سعد بن أبي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خـــرج الى تبوك واستخلف علياً ، فقال : أتخلفني في الصبيان والنســـاء ؟ قال : « الا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه ليس نبي بعدي » . وانظر المناقشة في هذا الحديث بين السيد عبد الله بن الحسين السويدي سنة ١١٥٦ وبين الملا باشي على اكبر شيخ علماء الشيعة ومجتهديهم في زمن نادر شاه في كتاب (مؤتمر النجف) (**) ص ٢٥ ـ ٢٧ طبع السلفية . [خ]

(٣٢٤) اخرجه النسائي في « خصائص على » وأحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين . وله طرق اخرى كلها صحيحة ولكن ليس في طـــريق من طرقه جميعها : « اللهم انصر من نصره واخذل من خذله » . [م]

=

(**) رجعت الى كتاب « مؤتمر النجف » الذى أشار اليه محب الدين الخطيب ، فاذا به يذكر على لسان السويدي ان ابن الجوزي قال : ان هـــذا الحديث موضوع مع انه رواه البخاري ومسلم !

وليس في هذا الحديث نص على استخلاف على بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . قال الشيخ السويدي :

لو دل هذا على الاستخلاف ، لاقتضى ان ابن أم مكتوم خليفة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم . لانه استخلفه على المدينة ، واستخلف أيضاً غيره ، فلم خص على رضى الله عنه بالخـــلافة دون غيره ، مع اشـــتراك الكل في الاستخلاف ؟

وايضاً لو كان هذا من باب الفضائل ، لما وجد عليٌ على نفسه وقال : « اتجعلني مع النساء والأطفال والضعفة ؟ فقال النبي صلى الله علبه وآله وسلم تطييباً لنفسه : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ » .

وانصر من نصره ، واخذل من خذله (٣٢٥) » . فلم يبق بعد هذا خلاف لمعاند .

فتعدى عليه أبو بكر واقتعد فى غير موضعه .

ثم خلفه فى التعدى عمر .

ثم رجا أن يوفق عمر للرجوع إلى الحق ، فأبهم الحال وجعلها شورى قصراً للخلاف ، للذى سمع من النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم تحيل ابن عوف حتى ردها عنه إلى عثمان .

ثم قتل عثمان لتسوره على الخلافة وعلى أحكام الشريعة (٣٢٦) ، وصار الأمر إلى على بالحق الإلهى النبوى ، فنازعه من عاقده ، وخالف عليه من بايعه ، ونقض عهده من شده .

وانتدب أهل الشام [مع معاوية] إلى الفسوق فى الدين ، بل الكفر (٣٢٧).

وقال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى معرض كلامه على الحديث السابق :

« ... وقد شبه النبى صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر بابراهيم وعيسى ، وشبه عمر بنوح وابراهيم عليهم جميعاً الصلاة والسلام ـ لما أشارا فى الأسرى، وهذا أعظم من تشبيه على بهارون ؛ ولم يوجب ذلك أن يكونا بمنزلة أولئك الرسل . وتشبيه الشيء بالشيء لمشابهته فى بعض الوجوه كثير فى الكتاب والسنة ، وكلام العرب » (مجموع الفتاوى ٤١٩/٤ باختصار) . [م]

(٣٢٥) فى مسند أحمد (١ : ٨٤ ، ٨٨ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢ الطبعة الأولى رقم ٦٤١ ، ٦٧٠ ، ٩٥٠ ، ٩٦١ ، ١٣١ ، ١٣١٠ . وفى ٤ : ٢٨١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ الطبعة الأولى و ٥ : ٣٤٧ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٤١٩ الطبعة الأولى) . وانظر تفسير الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب لهذا الحديث ، وسيأتى كلام المؤلف على الحديثين فى ص ٢٦٣ . [خ]

(٣٢٦) كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا . وقد جاء فى هذا الكتاب ما يثبت كذبهم . [م]

(٣٢٧) كل هذه الفقرات من هذيان مرتكبى « القاصمة » وشيعتهم . وقد أجاب المؤلف فى « العاصمة » التالية مدحضاً سخافاتهم ، ولكن اتسع عليه ميدان القول ففاته الكلام على موقف أهل الشام من هذه الفتن التى وقعت فى الاسلام . وقد رأيت فى ص ٩٢ قول ابن الكوا أحد زعماء الفتنة وهو يصف =

. . . .

=

أشباهه فى الأمصار الكبرى : « وأما أهل الأحداث من أهل الشام فاطوع الناس لمرشدهم ، وأعصاهم لمغويهم » . واذا كان أهل الأحداث فى الشام هكذا على ما شهد به زعيم من زعماء الفتنة ، فان أهل العافية والايمان منهم قد شهد لهم أمير المؤمنين عليٌّ فيما نقله ابن كثير فى البداية والنهاية (٨ : ٢٠) عن عبد الرزاق بن همام الصنعانى أحد الأئمة الأعلام الحفاظ ، عن شيخه معمر بن راشد البصرى وهو أيضاً من الأعلام ، عن الزهرى مدون السنة وشيخ الأئمة أن عبد الله بن صفوان الجمحى قال : قال رجل من صفين « اللهم العن أهل الشام » فقال له على : « تسب أهل الشام ، فان بها الأبدال، فان بها الأبدال ، فان بها الأبدال » (*) . وروى هذا الحديث من وجه آخر مرفوعاً (*) الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم . وروى أبو ادريس الخولانى وهو من أعلام حملة السنة والشريعة ومن شيوخ الحسن البصرى وابن سيرين ومكحول وأضرابهم أن أبا الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « بينما أنا نائم رأيت الكتاب احتمل من تحت رأسى ، فظننت أنه مذهوب به ، فأتبعته بصرى فعمد به الى الشام . وان الايمان ــ حين تقع الفتنة ــ بالشام » . (**) وروى هذا الحديث من الصحابة غير أبى الدرداء أبو أمامة وعبد الله بن عمرو بن العاص . وللمقارنة بين أهل الشام والذين كانوا يحاربونهم ننقل عن ابن كثير (٧ : ٣٢٥) خبر الأعمش عن عمرو بن مرة ابن عبد الله ابن الحارث عن زهير بن الأرقم قال : خطبنا على يوم جمعة فقال : « نبئت أن بشرا قد طلع اليمن ، وانى والله لأحسب أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم ، وما يظهرون عليكم الا بعصيانكم امامكم وطاعتهم امامهم . وبخيانتكم وامانتهم ، وافسادكم فى أرضكم واصلاحهم . قد بعثت فلاناً فخان وغدر ، وبعثت فلاناً فخان وغدر وبعث المال الى معاوية . لو ائتمنت أحدكم على قدح لأخذ علاقته . اللهم سئمتهم وسئمونى ، وكرهتهم وكرهونى . اللهم فأرحهم منى وأرحنى منهم » . بهذا وصف على جيشه وطائفته وبعكسه فى الفضائل وصف أهل الشام الذين اضطروا الى أن يقفوا من طائفته موقف المحارب . وليس بعد وصف على لأهل الشام بالطاعة والأمانة والاصلاح ، الا الضرب بهذه القنبلة وجوه واصفيهم بالكفر والفسوق فى الدين . [خ] =

(*) حديث الابدال لعلى ضعيف لانقطاعه ، فان شريح بن عبيد الحمصى لم يدرك علياً .

وبمناسبة الكلام على الأبدال نسوق رأى شيخ الاسلام الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى نظراً لخطورة الموضوع :

... أما الأسماء الدائرة على السنة الكثيرين من النساك والعامة مثل « الغوث » الذى بمكة ، و « الأوتاد الأربعة » ، و « الاقطاب السبعة » ،

=

. . . .

و « الأبدال الأربعين » ، و « النجباء الثلاثمئة » فهذه أسماء ليست موجـودة في كتاب الله تعالى ، ولا هى أيضاً مأثورة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم باسناد صحيح ، ولا ضعيف ، يحمل عليه الفاظ الأبدال . . .

أما الغوث والغياث ، فلا يستحقه الا الله ، فهو غياث المستغيثين ، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره ، لا بملك مقرب ، ولا نبى مرسل (اى بعد موته أو فى حياته مما لا يقدر عليه الا الله تعالى) ومن زعم ان أهل الأرض يرفعون حوائجهم التى يطلبون بها كشف الضر عنهم ... الى الغوث فهو كاذب ضال مشرك !! . فقد كان المشركون كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : « واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه » وقال سبحانه : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه » .

فكيف يكون المؤمنون يرفعون اليه حوائجهم بعده بوسائط من الحجاب ، وهو القائل أ « واذا سألك عبادى عنى ، فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

وليس من أولياء الله المتقين ، ولا عباد الله المخلصين الصالحين ولا أنبيائه المرسلين : من كان غائب الجسد دائماً عن أبصار الناس . بل هذا من جنس قول القائلين ان علياً فى السحاب ، وان محمد بن الحنيفة فى جبال رضـوى ، وان محمد بن الحسن بسرداب سامرى ، وان الحاكم بجبل مصر ، وان الابدال الأربعين بجبل لبنان ، فكل هذا ونحوه من قول أهـل الافك والبهتـان .. (الفتاوى ١١/٤٣٣ ـ ٤٤٣ باختصار) .

قال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

روى فى الأبدال حديث أنهم أربعون رجلا ، وانهم بالشام ، وهو فى المسند من حديث على رضى الله عنه ، وهو حديث منقطع ليس بثابت . ومعلوم ان علياً ومن معه من الصحابة ، كانوا افضل من معاوية ومن معه بالشام ، فلا يكون افضل الناس فى عسكر معاوية دون عسكر على (الفرقان بين أولياء الرحمـن وأولياء الشيطان) طبعة « المكتب الاسلامى » لصاحبه الاستاذ زهير الشاويش .

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى فى تعليقه على « المسـند » : اسناده ضعيف لانقطاعه . شريح بن عبيد الحضرمى الحمصى لم يدرك علياً ، بل لم يدرك الا بعض متأخرى الوفاة من الصحابة .

وما أحسن ما قاله الامام ابن تيمية أيضا :

وأما أهل العلم فكانوا يقولون عن « أهل الحديث » هم « الأبدال » ابدال الأنبياء ، وقائمون مقامهم حقيقة ، ليس من المعدمين الذين لا يعرف لهـم حقيقة . كل منهم يقوم مقام الأنبياء فى القدر الذى ناب عنهم فيه : هـذا فى العلم والمقال ، وهذا فى العبادة والحال . وهذا فى الأمرين جميعـاً . وكانوا

وهذه حقيقة مذهبهم (٣٢٨)، أن الكل [منهم] (٣٢٩) كفرة(٣٠)، (٣٣١) لأن من

=

يقولون : هم الطائفة المنصورة الى قيام الساعة الظاهرون على الحق ، لأن الهدى ودين الحق الذى بعث الله به رسله معهم . وهو الذى وعد الله بظهوره على الدين كله . وكفى بالله شهيداً .

... ان الذين يعيبون أهل الحديث ويعدلون عن مذهبهم جهلة زنادقة منافقون بلا ريب . ولهذا لما بلغ الامام أحمد عن « أبى قتيلة » أنه ذكر عنده أهل الحديث بمكة ، فقال : قوم سوء ، فقام الامام أحمد ، وهو ينفض ثوبه ، ويقول : زنديق ، زنديق ، زنديق ، ودخل بيته (الفتاوى ٤/٩٦ — ٩٧) .

(٣٢٨) أى حقيقة مذهب الرافضة وأعداء الصحابة . [خ]

(٣٢٩) وفى طبعة الشيخ الخطيب [عندهم] !! [س] .

(٣٣٠) يستثنون منهم — بعد علىٍ وبعض آله — سلمان الفارسى وأبا ذر والمقداد ابن الأسود وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وأبا الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وأبا أيوب الأنصارى وخزيمة بن ثابت وأبا سعيد الخدرى . وبعض الشيعة يرى أن الطيبين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقل عدداً من هؤلاء . [خ]

(٣٣١) ومما يحتج به الرافضة على ارتداد الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حديث ابن عباس عن النبى ﷺ : « ان اناساً من أصحابى يؤخذ بهم ذات الشمال » أى الى جهنم .

=

(*) يريد حديث رواه شريح بن عبيد قال ذكر أهل الشام عند على رضى الله عنه وقيل العنهم يا أمير المؤمنين ! قال : لا ! انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الابدال يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلا ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، يسقى بهم الغيث ، وينتصر بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب ، وهو حديث ضعيف لانقطاعه ، فان شريح هذا لم يدرك علياً .

(**) رأيت فى المشكاه نحوه بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « رأيت عموداً من نور ، خرج من تحت رأسى حتى أستقر بالشام » رواه البيهقى فى « دلائل النبوة » وسنده صحيح كما قال محقق المشكاة .

وروى أبو داود باسناد صحيح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ستفتح الشام ، فاذا خيرتم المنازل فيها ، فعليكم بمدينة يقال لها دمشق ، فانها معقل المسلمين من الملاحم وفسطاطها ، منها أرض يقال لها : « الغوطة » وسنده صحيح كما قال محقق المشكاة . [م]

. . . .

=

« فأقول : أصيحابى ، أصيحابى » على صيغة القلة والتصغير ، لقلة عددهم .

« فيقول » : أى الله سبحانه : « انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » .

فأقول كما قال العبد الصالح ـ اى عيسى عليه السلام معتذراً : (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ـ الى قوله ـ العزيز الحكيم) متفق عليه.

وتمام الآية : (فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد . ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) .

قال فى « أشعة اللمعات » فى الرد على الرافضة :

« قالوا : ليس المراد بهذا خواص الأصحاب ، لأنا نعلم ـ يقيناً ـ أنه لم يرتد أحد منهم بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم الا قوم من جفاة العرب من أصحاب « مسيلمة الكذاب » و « الأسود العنسى » أو بعض مؤلفة القلوب الذين لم تكن لهم بصيرة بالدين ، ولا قوة فى الايمان . . . » .

ولما كان كل من رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم لحظة (*) يطلق عليه لفظ صاحب ، كان هذا الحديث بحق من لم يرسخ الاسلام فى نفسه ، وهو بحق هؤلاء الأصحاب !

مما سبق ندرك مبلغ افتراء الرافضة بالاحتجاج بهذا الحديث على ردة اكابر الصحابة الذين وردت فى الثناء عليهم الآيات والأحاديث الكثيرة التى رأينا بعضها فى أول هذا الكتاب وقد حضنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على التمسك بسنته وسنتهم فى قوله : فى الحديث الصحيح : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » رواه احمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « من كان مستناً ، فليستن بمن قد مات . أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، كانوا أفضل هذه الأمة ، وأقلها تكلفاً ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، ولاقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم على اثرهم ، وتمسكوا بما استطعتم من اخلاقهم وسيرهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم .

ويقصد الرافضة من وراء الدعوة الى ارتداد كبار الصحابة نسف الشريعة التى نقلوها الينا ، وزرع الشك فى نفوسنا فى نقلهم ما داموا قد ارتدوا ، لذلك فهم يزعمون ان لهم قرآنا غير قرآننا ، (راجع كتاب الكافى للكلينى طبعة ايران سنة ١٣٧٨ ص ٤ ، ٥ ، ٥٧) وكتاب الكافى هذا هو كتاب موثوق لديهم

=

(*) ومات على الاسلام . [س]

مذهبهم التكفير بالذنوب (٣٣٢) . وكذلك تقول هذه الطائفة التى تسمى

=

يشبه كتاب البخارى عندنا ، وراجع كذلك كتاب : « فصل الخطاب فى اثبات تحريف كتاب رب الأرباب » وهو محشو بالأكاذيب والأباطيل .

ومن أغراض الرافضة التى يقصدونها من وراء ادعاء ارتداد الصحابة العمل على فقدان الثقة فى الأجيال الاسلامية بسلفيهم وحرمانهم الاقتداء بالجيل المثالى الأول الذى تربى فى مدرسة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فيصبحون هملا لا تاريخ عظيم لهم ولا قدوة صالحة يقتدون بها ..

وقد حقق الرافضة مآربهم ، فدسوا فى تاريخنا الاسلامى ما يريدونه من تشويه تاريخ الصحابة وتضليل الناشئة مئات السنين .. مما رأينا فى هذا الكتاب نماذج من أكاذيبهم وأضاليلهم ، وكيف رد عليها القاضى ابن العربى ، ومحب الدين الخطيب .

ومما يؤسف له ان جميع هذه الردود ، ومثلها الكتاب العظيم : « منهاج السنة » لشيخ الاسلام ابن تيمية بقيت حبراً على ورق ولم تدخل مدارسنا ولم توضع بين أيدى المؤلفين والأساتذة والطلبة الذين ما زالوا فى فتنة عمياء وفى ضلال مبين . وقد حدثت كثيراً من هؤلاء المؤلفين والأساتذة عن كذب كثير مما يدرسونه فكانوا يعتذرون بأنهم انما استقوا معلوماتهم من تاريخ الطبرى . وقد جهلوا أن فى هذا المصدر قد اختلط الصواب والخطأ والصحيح والمكذوب مما لا يستطيع التمييز بينهما الا المؤرخ العارف بتاريخ الرجال ومعرفة الثقة من الكاذب من الرواة . وكل ذلك تكفلت ببيانه كتب الرجال أمثال ميزان الاعتدال ولسان الميزان وتهذيب التهذيب وغيرها .

ومن مكائد الرافضة التى تخفى على الكثيرين أنهم يلجؤون الى الكتب التى تفضح مؤامراتهم ، فيجمعونها من الأسواق ويحضون اتباعهم على حرقها ، فقد ذكر لى ثقة ان أحد الدجالين من المتطببين يصف لمرضاه وجوب احراق « منهاج السنة » أو « العواصم من القواصم » والتبخر على نارهما طلباً للشفاء ، فيسارع المريض المغفل بشراء كتاب من هذين الكتابين ، ولو بأغلى الأسعار ، وحرقه كما وصف له المتطببون من الرافضة .

كل هذا يدعونا الى المسارعة لتصحيح تاريخنا وتنظيفه من التحريف والتضليل ، وهذا ما قصدناه من نشر هذا الكتاب بعد مراجعته ، وعرضناه فى الأسواق بسعر رخيص ليسهل على الجميع اقتناؤه . [م]

(٣٣٢) ومن مذهبهم أن علياً وأحد عشر من آله معصومون عن الخطأ ،

(*) قال شرف حجازى ـ كان الله له ـ : وهذا أيضاً ما دعانا الى الرجوع الى المخطوطات الأصيلة لهذا الكتاب ـ النافع ـ لننشره على الناس خالياً من التحريف والتصحيف ، أداء للأمانة ، وتحملا للمسؤلية .. مسؤلية نشر العلم والذب عن الدين أمام تحريف الغالين وانتحال المبطلين .

بالإماميـــــــة : إن كل عاص بكبـــيرة كافـــر (٣٣٣) ، على رســـم القـــدرية (٣٣٤) ، ولا أعصى من الخلفـــاء المذكـــورين (٣٣٥) ومن ســـاعدهم عـــلى أمرهـــم ، وأصـــحاب محمـــد صـــلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم أحـــرص النـــاس على دنيـــا (٣٣٦) ، وأقلهـــم

وأنهم مصدر تشريع . ويقبلون التشريع الذى ينسبه اليهم رواة يشترط فيهم التشيع والموالاة ، وان عرفهم الناس بما ينافى الصدق أو يناقض ما هو معلوم من الدين بالضرورة . [خ]

(٣٣٣) ومدلول الكبيرة عندهم غير مدلولها عند المسلمين . [خ]

(٣٣٤) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ٢٤) : كان قدماء الشيعة متفقين على اثبات القدر والصفات . وانما شاع فيهم رد القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة فى دولة بنى بويه . [خ]

(٣٣٥) وهم أبو بكر وعمر وعثمان . [خ]

(٣٣٦) قال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى رداً على قول ابن المطهـــر الرافضى : « فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق ، وبايعه أكثر الناس طلبـــاً للدنيا » .

وهذا اشارة الى ابى بكر ، فانه هو الذى بايعه أكثر الناس ، ومن المعلوم ان أبا بكر لم يطلب الأمر لنفسه لا بحق ولا بغير حق ، بل قال : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : اما عمر بن الخطاب ، واما أبا عبيدة . فقال عمر : فوالله لأن أقدم فتضرب عنقى ، لا يقربنى ذلك الى اثم ، أحب الى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر . وهذا اللفظ فى الصحيحين .

وقد روى عنه أيضاً انه قال : « اقيلونى اقيلونى » فالمسلمون إختـــاروه وبايعوه لعلمهم بأنه خيرهم .. والمسلمون اختاروه كما قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح لعائشة : « ادعى لى أباك ... الحديث » وقد ذكرناه كاملا فى موضع آخر .

ثم قال ابن تيمية : .. هب انه طلبها وبايعه أكثر الناس . فقولكم : ان ذلك طلب لدنيا كذب ظاهر . فان أبا بكر رضى الله عنه لم يعطهم دنيا .

والذين بايعوه أزهد الناس فى الدنيا ، وهم الذين اثنى الله تعالى عليهم .

وكان أبو بكر رضى الله عنه قد انفق ماله فى حياة الرسول صلى الله عليـــه وآله وسلم ، فلم يأخذ بدله ، وأوصى بأن يرد الى بيت المال جرد قطيفة ، وبكر وأمة سوداء ونحو ذلك (منهاج السنة باختصار ٢/٢٥ ــ ٤١) .

[حماية] (٣٣٧) على دين ، وأهدمهم لقاعدة وشريعة (٣٣٨) .

* * *

---

(٣٣٧) : وفى نسخة الشيخ محب الدين الخطيب [حمية !] [س] .

(٣٣٨) ومع ذلك يوجد فيمن ينتمى الى الأزهر ، والى السنة ، من يوالى دار التقريب بين المذاهب التى تأسست فى القاهرة بعد الحرب العالمية الثانية ، ويتسلى بصرف بعض عمره فى الاختلاف اليها وتبادل التقية مع القائمين عليها . [خ]

عاصمة

قال القاضي أبو بكر (رضى الله عنه) : يكفيك من شرٍ سماعه ، فكيف التململ به . خمسمائة عام عداً إلى يوم مقالى هذا — لا ينقص منها يوما ولا يزيد يوما — وهو مهل شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وماذا يرجى بعد التمام إلا النقص ؟

ما رضيت النصارى واليهود فى أصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض فى أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين حكموا عليهم بأنهم قد إتفقوا على الكفر والباطل (٣٣٩) . فما يرجى من هؤلاء ، وما يستبقى منهم ؟ وقد قال الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » (سورة النور : ٥٥) ، وهذا قول صدق ، ووعد حق . وقد انقرض عصرهم ولا خليفة فيهم ولا تمكين ، ولا أمن ولا سكون ، إلا فى ظلم وتعدٍ وغصب وهرج وتشتيت وإثارة ثائرة .

وقد أجمعت (٣٤١) الأمة على أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما نص

---

(٣٣٧) أخرج الحافظ ابن عساكر (٤ : ١٦٥) أن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب قال لرجل من الرافضة : « والله لئن أمكننا الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم ، ثم لا نقبل منكم توبة » . فقال له رجل : لم لا تقبل منهم توبة ؟ قال : « نحن أعلم بهؤلاء منكم . ان هؤلاء ان شاءوا صدقوكم ، وان شاءوا كذبو بكم وزعموا أن ذلك يستقيم لهم فى (التقية) . ويلك ! ان التقية هى باب رخصة للمسلم ، اذا اضطر اليها وخاف من ذى سلطان أعطاه غير ما فى نفسه يدرأ عن ذمة الله ، وليست باب فضل ، انما الفضل فى القيام بأمر الله وقول الحق . وايم الله ما بلغ من التقية أن يجعل بها لعبد من عباد الله أن يضل عباد الله » . [خ]

(٣٤١) ليس هناك اجماع . قال شارح العقيدة الطحاوية :

ثم اختلف أهل السنة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه هل كانت

=

على أحد يكون من بعده [٣٤٢] . وقد قال العباس لعلى — فيما روى عنه

=

بالنص ، أو بالاختيار ؟ فذهب الحسن البصرى وجماعة من أهل الحديث الى أنها ثبتت بالنص الخفى والاشارة ، ومنهم من قال بالنص الجلى . وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية الى أنها ثبتت بالاختيار .

والدليل على اثباتها بالنص أخبار : من ذلك ما رواه أبو داوود عن جابر رضى الله عنه ، أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونيط عمر بأبى بكر ، ونيط عثمان بعمر » قال جابر : فلما قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قلنا : اما الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأما المنوط بعضهم ببعض ، فهو ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه » وهو حديث صحيح كما قال محقق الطحاوية ص ٤٧٣ .

وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم اقتدوا باللذين من بعدى : أبى بكر وعمر وسنده صحيح كما قال محقق الطحاوية ، وأحاديث تقديمه فى الصلاة مشهورة معروفة ، وهو يقول : « مروا أبا بكر يصلى بالناس » رواه البخارى ومسلم .

(ونصرف النظر عن ذكر بقية النصوص ، فقد اثبتها القاضى ابن العربى رحمه الله فيما يأتى) ..

واحتج من قال : لم يستخلف بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن عمر رضى الله تعالى عنهما ، أنه قال : « ان أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ، يعنى أبا بكر ، وأن لا استخلف ، فلم يستخلف من هو خير منى ، يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال عبد الله ، فعرفت أنه حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مستخلف . وما روى عن عائشة رضى الله عنها انها سئلت من كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستخلفاً لو استخلف . والظاهر — والله أعلم — أن المراد انه لم يستخلف بعهد مكتوب ، ولو كتب عهداً لكتبه لأبى بكر ، بل قد أراد كتابته ثم تركه ، وقال : « يأبى الله والمسلمون الا أبا بكر (رواه مسلم) ، فكان هذا أبلغ من مجرد العهد .. ثم علم ان المسلمين يجتمعون عليه ، فترك الكتابة اكتفاء بذلك ..

ولم يقل أحد من الصحابة قط ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم نص على غير ابى بكر ، لا على ، ولا العباس ، ولا غيرهما ، كما قال أهل البدع .

وروى ابن بطة باسناده : ان عمر بن عبد العزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلى الى الحسن ، فقال : هل كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم استخلف ابا بكر ؟ فقال : أو فخانك صاحبك ؟ نعم ، والله الذى لا اله الا هو استخلفه ! لهو كان انقى لله ان يتوثب عليها . (باختصار ص ٤٧١ — ٤٧٥) . [م]

(٣٤٢) نقل الحافظ ابن عساكر (٤ : ١٦٦) عن الحافظ البيهقى حديث=

عبد الله ابنه ــ قال عبد الله بن عباس : خرج على بن أبى طالب رضى الله عنه من عند رسول الله ﷺ فى وجعه الذى توفى فيه ، فقال الناس : يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أصبح بحمد الله بارئا . فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا . وإنى [والله] لأرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا ، إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت . اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلنسأله فيمن يكون هذا الأمر بعده ، فإن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا . فقال على (٣٤٣) : إنا والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإنى والله لا أسألها رسول الله

=

فضيل بن مرزوق أن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب سئل فقيل له : الم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من كنت مولاه فعلى مولاه » ؟ فقال : « بلى ، ولكن والله لم يعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك الامارة والسلطان . ولو أراد ذلك لأفصح لهم به ، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أنصح للمسلمين . ولو كان الأمر كما قيل لقال : يا أيها الناس هذا ولى أمركم والقائم عليكم من بعدى ، فاسمعوا له وأطيعوا . والله لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر وجعله القائم للمسلمين من بعده ثم ترك على أمر الله ورسوله ، لكان على أول من ترك أمر الله ورسوله » . ورواه البيهقى من طرق متعددة فى بعضها زيادة وفى بعضها نقصان والمعنى واحد . [خ]

(٣٤٣) سبق الكلام فى بحث مضى على بيعة على لأبى بكر رضى الله عنهما .

ونقل فيما يلى كلاماً لطيفاً للامام المازرى نقله الحافظ فى « الفتح » ٣٧٨/٧ بمناسبة الرواية التى تقول بتأخر على عن مبايعة ابى بكر :

« لعلى فى تخلفه مع ما اعتذر هو به ــ اى لابى بكر ــ انه يكفى فى بيعة الامام أن يقع من أهل الحل والعقد ، ولا يجب الاستيعاب . ولا يلزم كل واحد ان يحضر عنده ، ويضع يده فى يده ، بل يكفى التزام طاعته والانقياد له بأن لا يخالفه . ولا يشق العصا عليه . وهذا كان حال على لم يقع منه الا التأخر عن الحضور عند أبى بكر . [م]

صلى الله عليه وآله وسلم (٣٤٤) .

قال القاضي أبو بكر (رضي الله عنه) : رأى العباس عندي أصح ، وأقرب إلى الآخرة ، والتصريح [بالتحقيق] . وهذا يبطل قول مدّعي الاشـــارة باستخلاف عليّ ، فكيف أن يدعى فيه نص ؟ !

فأما أبو بكر ، فقد جاءت امرأة [إلى] النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمرها أن ترجع إليه . قالت له : فإن لم أجدك ــ كأنها تعني الموت ــ قال : تجدين أبا بكر (٣٤٥) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمر وقد وقع بينه (أي بين عمر) وبين أبي بكر كلام ، [فتمعّر] وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٣٤٦) ، حتى أشفق من ذلك أبو بكر ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « هل أنتم تاركو لي صاحبي (مرتين) . إني بعثت إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت . ألا إني أبرأ إلى كل خليل من خلته » (٣٤٧) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لو كنت متخذاً في الإســلام خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . ولكن أخي ، وصاحبي » (٣٤٨) .

---

(٣٤٤) رواه البخاري في كتاب المغازي من صحيحه (ك ٦٤ ب ٨٣ ج ٥ ص ١٤٠ ــ ١٤١) . ونقله ابن كثير في البداية والنهاية (٥ : ٢٢٧ و ٢٥١) من حديث الزهري عن عبد الله بن مالك عن ابن عباس . ورواه الامام احمد في مسنده (١ : ٢٦٣ و ٣٢٥ رقم ٢٣٧٤ و ٢٩٩٩) .

(٣٤٥) في كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخاري (ك ٦٢ ب ٥ ج ٤ ص ١٩١) من حديث جبير بن مطعم قال : اتت امراة النبي صلى الله عليـه وآله وسلم فأمرها أن ترجع اليه . قالت : ارايت ان جئت ولم اجدك ــ كأنها تقول الموت ــ قال صلى الله عليه وآله وســــلم « ان لم تجـــديني فأتي ابا بكر » . [خ]

(٣٤٦) تمعر وجهه : تغير ، وذهب ما كان فيـه من النضــارة ، واشراق اللون . [خ]

(٣٤٧) في كتاب مناقب الصحابة من صحيح البخاري (ك ٦٢ ب ٥ ج ٤ ص ١٩٢) عن أبي الدرداء مطولا . [خ]

(٣٤٨) في الباب المذكور من كتاب مناقب الصحابة في صحيح البخــاري (ج ٤ ص ١٩١) من حديث عكرمة عن ابن عباس . [خ]

وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا . لا يبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر (٣٤٩) .

وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « بينما أنا نائم رأيتنى على قليب (٣٥٠) عليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين » (٣٥١) و فى نزعه ضعف والله يغفر له ، ثم استحالت غربا (٣٥٢) ، فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر ، حتى ضرب الناس بعطن » (٣٥٣) .

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهما ، فرجف بهم : فقال : « اثبت أحد ، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان » (٣٥٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن فى أمتى منهم

---

(٣٤٩) فى هذه الجملة اضطراب ونقص . وانظر لهذا المعنى حديث أبى سعيد الخدرى فى ذلك الموضع من صحيح البخارى (ج ٤ ص ١٩٠ ـ ١٩١) ، وحديث ابن عباس فى مسند أحمد (١ : ٢٧٠ رقم ٢٤٣٢) والبداية والنهاية (*) (٥ : ٢٢٩ و ٢٣٠) .

(٣٥٠) القليب : البئر غير المطوية . [خ]

(٣٥١) الذنوب : الدلو العظيمة اذا ملئت ماء . وابن ابى قحافة هو أبو بكر . [خ]

(٣٥٢) أى ثم عظمت فصارت كالدلو الواسعة التى تتخذ من جلد الثور لكبرها . [خ]

(٣٥٣) أى حتى اتخذ الناس حولها مبركا لابلهم لغزارة مائها ، والحديث فى ذلك الموضع من صحيح البخارى (ج ٤ ص ١٩٣) من حديث سعيد ابن المسيب عن أبى هريرة . [خ]

(٣٥٤) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح مسلم (ك ٦٢ ب ٥ ج ٤ ص ١٩٧) من حديث قتادة عن أنس بن مالك . [خ]

(*) نظرنا فى البداية والنهاية فاذا نص الحديث : « ... لا يبقى فى المسجد باب الا سد الا باب أبى بكر وهكذا رواه البخارى وأحمد .. اهـ . باختصار »

وعند مسلم : « ... لا يبقى فى المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبى بكر » . [م]

أحد فعمر » (٣٥٥) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة رضى الله عنها فى مرضه : « ادعى لى أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فإنى أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول : أنا أولى . ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » (٣٥٦) .

وقال ابن عباس : إن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ، إنى أرى الليلة فى المنام ظلة تنطف السمن والعسل ، فأرى الناس يتكففون بأيديهم ، فالمستكثر والمستقل . وأرى سبباً واصلا من السماء إلى الأرض فأراك أخذت به فعلوت ، (ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به) ، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ، ثم وصل له فعلا (وذكر الحديث) . ثم عبرها أبو بكر فقال : وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذى أنت عليه ، فأخذته فيعليك الله . ثم يأخذ به رجل آخر بعدك فيعلو به ، ثم يأخذه رجل آخر فيعلو به ، ثم يأخذه رجل آخر فينقطع به ثم يوصل [له] فيعلو به » (٣٥٧)

وصح أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ذات يوم : « من رأى منكم رؤيا » ؟ فقال رجل : أنا رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء ، فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت . ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر . ووزن عمر وعثمان فرجح عمر . ثم رفع الميزان . فرأينا الكراهية فى وجه رسول الله

---

(٣٥٥) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٦ ج ٤ ص ٢٠٠) من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة . [خ]

(٣٥٦) فى مسند أحمد (٦ : ١٤٤ الطبعة الأولى) من حديث الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة ، وانظر المسند أيضاً (٦ : ٤٧ و ١٠٦) وطبقات ابن سعد ٣ (١) : ١٢٧ ومسند (*) أبى داود الطيالسى : الحديث ١٥٠٨ . [خ]

(٣٥٧) فى كتاب التعبير من صحيح البخارى (ك ٩١ ب ٤٧ ج ٨ ص ٨٣ — ٨٤) من حديث عبد الله بن عباس ، وفى كتاب الرؤيا من صحيح مسلم (ك ٤٧ ح ١٧ ج ٧ ص ٥٥ — ٥٦) من حديث ابن عباس ، وفى مسند أحمد (١ : ٢٣٦ الطبعة الأولى رقم ٢١١٣) من حديث ابن عباس . [خ]

(*) وروى هذا الحديث الامام مسلم أيضاً .

صلى الله عليه وآله وسلم [٣٥٨] ، [٣٥٩] .

وهذه الأحاديث جبال فى البيان ، [وجبال] فى التسبب إلى الحق لمن وفقه الله . ولو لم يكن معكم ــ أيها السنية ــ إلا قوله تعالى « إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار » [٣٦٠] (التوبة : ٤٠) فجعلها [٣٦١] فى نصيف وجعل أبا بكر فى نصيف، آخر وقام معه جميع الصحابة .

وإذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفى منها حال الخلفاء فى خلالهم وولايتهم وترتيبهم خصوصاً وعموماً . وقد قال الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً » (سورة النور : ٥٥) . وإذا لم ينفذ هذا الوعد فى الخلفاء فلمن ينفذ ؟ وإذا لم يكن فيهم [ففيمن] يكون ؟ والدليل عليه انعقاد الاجماع أنه لم يتقدمهم فى الفضيلة أحد إلى يومنا هذا ، [وما] بعدهم مختلف فيه ، وأولئك مقطوع بهم ، متيقن إمامتهم ، ثابت نفوذ وعد الله لهم . فإنهم ذبوا عن حوزة المسلمين ، وقاموا بسياسة الدين .

قال علماؤنا : ومن بعدهم تبع لهم من الأئمة الذين هم أركان الملة ،

---

(٣٥٨) فى كتاب السنة من سنن أبى داود (ك ٣٩ ب ٨ ح ٤٦٣٤) من حديث أبى بكرة . وفى كتاب الرؤيا من جامع الترمذى (الباب ١٠) من حديث أبى بكرة أيضا . وانظر فى مسند أحمد (٥ : ٢٥٩ الطبعة الأولى) حديث أبى أمامة عن رجحان كفة أبى بكر بكفة فيها جميع الأمة ... الخ . [خ]

(٣٥٩) قال محقق الطحاوية هذا الحديث صحيح من طريقين ، وفى أحد الطريقين زيادة : « خلافة نبوة ، ثم يؤتى الله الملك من يشاء » فيها على بن زيد ، وهو ابن جدعان ، وفيه ضعف . [م]

(٣٦٠) انه على الرغم من ثناء الله سبحانه على أبى بكر رضى الله عنه فى هذه الآية ، يؤولها بعض أعداء الاسلام ويحرفون معناها بأسلوب يضحك الثكلى ويترفع عنه حتى المجانين لتكون ذماً لا مدحاً لأبى بكر رضى الله عنه فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ! . [م]

(٣٦١) اى الأمة . [خ]

ودعائم الشريعة ، الناصحون لعباد الله ، الهادون من استرشد إلى الله . فأما من كان من الولاة الظلمة فضرره مقصور على الدنيا وأحكامها .

وأما حفاظ الدين فهم الأئمة العلماء الناصحون لدين الله ، وهم أربعة أصناف :

الصنف الأول — حفظوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم بمنزلة الخزان لأقوات المعاش .

الصنف الثاني — علماء الأصول : ذبوا عن دين الله أهل العناد وأصحاب البدع ، فهم شجعان الإسلام ، وأبطاله المداعسون عنه فى مآزق الضلال (٣٦٢)

الصنف الثالث — قوم ضبطوا أصول العبادات ، وقانون المعاملات ، وميزوا المحللات من المحرمات ، وأحكموا [الجراح] والديات ، وبينوا معانى الإيمان والمنذورات ، وفصلوا الأحكام فى الدعاوى . فهم — فى الدين — بمنزلة الوكلاء المتصرفين فى الأموال .

الصنف الرابع — تجردوا للخدمة ، ودأبوا على العبادة ، واعتزلوا الخلق . وهم — فى الآخرة — كخواص الملك فى الدنيا .

وقد أوضحنا فى كتاب (سراج المريدين) فى القسم الرابع من علوم القرآن أى المنازل أفضل من هؤلاء الأصناف ، وترتيب درجاتهم .

قال القاضى أبو بكر (رضى الله عنه) : وهذه كلها إشارات أو تصريحات أو دلالات أو تنبيهات . ومجموع ذلك يدل على صحة ما جرى ، وتحقيق ما كان من العقلاء .

ونقول — بعد هذا البيان — على مقام آخر : لو كان هنالك نص على أبى بكر (٣٦٣) أو على علىٍّ ، لم يكن بد من احتجاج علىٍّ به ، أو يحتج له

---

(٣٦٢) المداعسة : المطاعنة ، والمدافعة . [خ]

(٣٦٣) قال شيخ الاسلام الامام ابن تيمية تعليقاً على الحديث السابق وقد صححه « ادعى لى اباك واخاك اكتب لأبى بكر كتاباً لا يختلف عليه الناس من بعدى ... » فأبى الله وعباده المؤمنون أن يتولى غير أبى بكر ، فالله هو ولاه

به غيره من المهاجرين والأنصار . فأما حديث غدير خم فلا حجة فيه ، لأنه إنما (٣٦٥) استخلفه فى حياته على المدينة كما استخلف موسى هارون فى حياته ــ عند سفره للمناجاة ــ على بنى إسرائيل . وقد اتفق الكل من إخوانهم اليهود [قاطبة] على أن موسى مات بعد هارون ، فأين الخلافة ؟

وأما قوله : « اللهم وال من والاه » (٣٦٦) فكلام صحيح ، ودعوة مجابة . وما يعلم أحد عاداه إلا الرافضة ، فإنهم أنزلوه فى غير منزلته ، ونسبوا إليه ما لا يليق بدرجته . والزيادة فى الحد نقصان من المحدود . ولو تعدى عليه أبو بكر ما كان المتعدى وحده ، بل جميع الصحابة ــ كما قلنا ــ لأنهم ساعدوه على الباطل .

ولا تستغربوا هذا من قولهم ، فإنهم يقولون : إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان مدارياً لهم ، [وممتحناً] (٣٦٧) بهم على نفاق وتقية . وأين أنت من قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع قول عائشة رضى الله عنها : مروا عمر فليصل بالناس : « إنكن لأنتن صواحب يوسف ، مروا

قدراً وشرعاً ، وأمر المؤمنين بولايته ، وهداهم الى آن ولوه من غير ان يكون طالب ذلك لنفسه (الفتاوى) .

وبمثل هذا الكلام تقريباً قال الامام ابن حزم .

(٣٦٥) لعل فى هذه العبارة نقصا . فان حديث غدير خم غير حديث استخلاف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلى رضى الله عنه لما ذهب الى تبوك .

(٣٦٦) سند صحيح ونرى تفصيل ذلك فى موضع آخر . قال ابن قتيبة فى « تأويل مختلف الحديث » : « يريد الرسول ان الولاية بينه وبين المؤمنين ، الطف من الولاية بين المؤمنين بعضهم مع بعض ، فجعلها لعلى ... » وقد جاءت آيات وأحاديث تفيد بأن الله ورسوله ولى الذين آمنوا . [م]

(٣٦٧) صحيح البخارى (ك ١٠ ب ٣٩ و ٤٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٧٠ ج ١ ص ١٦١ ــ ١٦٢ و ١٦٥ و ١٧٤ ــ ١٧٦) من حديث عائشة وأبى موسى الأشعرى . [خ]

أبا بكر فليصل بالناس » وما قدمنا من تلك الأحاديث (٣٦٩) .

لقد اقتحموا عظيما ، ولقد افتروا كبيراً . وما جعلها عمر شورى إلا إقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبأبى بكر ، إذ قال : « إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وإن لم أستخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف » (٣٧٠) . فما رد هذه الكلمات أحد . وقال : « أجعلها شورى فى النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض » (٣٧١) . وقد رضى الله عن أكثر منهم ، ولكنهم كانوا خيار الرضا ، وشهد لهم بالأهلية للخلافة .

وأما قولهم تحيل ابن عوف حتى ردها لعثمان ، فلئن كانت حيلة ولم يكن سواها فلأن الحول ليس إليه (٣٧٢) . وإذا كان عمل العباد حيلة أو كان القضاء بالحول فالحول والقوة لله . وقد علم كل أحد أنه لا يليها إلا واحد ، فاستبد عبد الرحمن بن عوف بالأمر ـــ بعد أن أخرج نفسه ـــ على أن يجتهد للمسلمين فى الأسد والأشد ، فكان كما فعل ، وولاها من استحقها ، ولم يكن غيره أولى منه بها ، حسبما بينا فى « مراتب الخلافة » من (أنوار الفجر) (٣٧٣) ، وفى غيره من (كتب) الحديث .

---

(٣٦٩) فى كتاب الامارة من صحيح مسلم (ك ٣٣ ح ١١ و ١٢ ج ٦ ص ٤ ـــ ٥) من حديث عروة بن الزبير عن ابن عمر ، ومن حديث سالم عن ابن عمر . وفى مسند أحمد (١ : ٤٢ رقم ٢٩٩) عن عروة عن ابن عمر ، و (١ : ٤٦ رقم ٣٢٢) عن حميد بن عبد الرحمن عن ابن عباس ، و (١ : ٤٧ رقم ٣٣٢) عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر . [خ]

(٣٧٠) من حديث عمرو بن ميمون المطول فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٨ ج ٤ ص ٢٠٤ ـــ ٢٠٧ .

(٣٧١) بل الى الله . وان الله هو الموفق لابن عوف وسائر اخوانه الصحابة حتى كانوا فى ذلك الموقف على ما أراده الله لهم من صفاء النية واخلاص القصد والعمل لله وحده ، فكان اختيار خليفة عمر فى حادث الشورى مثلا أعلى للنفس الانسانية عندما تكون فى أعلى مراتب النبل ، والتجرد عن جميع خواطر الهوى .

(٣٧٣) هو التفسير الكبير لابن العربى فى ثمانين مجلدا . [خ]

وقتل عثمان ، فلم يبق على الأرض أحق بها من علىّ فجاءته على قدر ، فى وقتها ومحلها وبين الله على يديه من الأحكام والعلوم ما شاء الله أن يبين . وقد قال عمر « لولا علىّ لهلك عمر » (٣٧٤) ، (٣٧٥) وظهر من فقهه وعلمه فى قتال أهل القبلة — من استدعائهم ومناظرتهم ، وترك مبادرتهم ، والتقدم إليهم قبل نصب الحرب معهم ، ونداءه : لا تبدأوا بالحرب ، ولا يتبع مُوَلٍّ ، ولا يجهز على جريح ، ولا تهاج امرأة ، [ولم يغنم] لهم مالا — وأمره بقبول شهاداتهم ، والصلاة خلفهم ، حتى قال أهل العلم : لولا ما جرى ما عرفنا حكم قتال أهل البغى .

وأما خروج طلحة والزبير فقد تقدم بيانه (٣٧٦) .

وأما تكفيرهم للخلق ، فهم الكفار . وقد بينا أحوال أهل الذنوب [الذين] ليس منهم (عليها شر) فى غير ما كتاب ، وشرحناها فى كل باب .

فإن قيل : فقد قال العباس فى علىّ ما رواه الأئمة أن العباس وعلياً اختصما عند عمر فى شأن أوقاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال العباس لعمر : يا أمير المؤمنين ، اقض بينى وبين هذا الظالم الكاذب [الغادر] الآثم

---

(٣٧٤) لم نجد هذا الحديث فى الكتب المعتمدة التى استطعنا الاطلاع عليها ولعله لا يصح مع اعترافنا بفضل علىّ وعلمه [م]

(٣٧٥) هذا مع قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيه : « أول من يصافحه الحق عمر (**) » ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به (***) » ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « لو كان من بعدى نبى لكان عمر » (***) . [خ]

(٣٦٧) وانه كان خروجاً للتفاهم والتعاون على اقامة الحدود الشرعية فى مقتل أمير المؤمنين عثمان . [م]

(**) لم أجده بهذا اللفظ . انما بلفظ اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب ... رواه الخطيب عن زيد بن ثابت مرفوعاً . والمتهم به عمر بن ابراهيم بن خالد الكردى . [م]

(***) حسنهما الترمذى ووافقه محقق مشكاة المصابيح .

الخائن (٣٧٧) . فقال الرهط لعمر : يا أمير المؤمنين ، اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر . فقال عمر : أنشدكم الله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » يريد بذلك نفسه ؟ قالوا : قد قال ذلك . فأقبل على العباس وعلىّ فقال : أنشدكما الله ، هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك ؟ قالا : نعم . قال عمر : إن الله خص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا الفىء بشىء لم يعطه أحداً غيره ، فعمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياته ، ثم توفى ، فقال أبو بكر : أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقبضها سنتين فى إمارته فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وأنتما تزعمان أن أبا بكر ، كاذب غادر خائن (٣٧٨) ، والله ليعلم أنه لصادق بار راشد تابع للحق ... وذكر الحديث .

قلنا : أما قول العباس لعلى فقول الأب للابن ، وذلك على الرأس محمول ، وفى سبيل المغفرة مبذول ، وبين الكبار والصغار — فكيف الآباء والأبناء — مغفور موصول . وأما قول عمر انهما اعتقدا أن أبا بكر ظالم خائن غادر [وكذلك اعتقدا فيه] ، فإنما ذلك خبر عن الاختلاف فى نازلة وقعت من الأحكام ، رأى فيها هذا رأياً ورأى فيها أولئك رأياً ، فحكم أبو بكر

---

(٣٧٧) تقدم ذكر هذا التقاضى بين العباس وعلى عند أمير المؤمنين عمر من حديث مالك بن أوس بن الحدثان النصرى فى صحيح البخارى . قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (ك ٥٧ ب ١ ج ٦ ص ١٢٥) : زاد شعيب ويونس : « فاستبّ على والعباس » وفى رواية عقيل عن ابن شهاب فى الفرائض : « اقض بينى وبين هذا الظالم . استبا » وفى رواية جويرية « وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن » . قال الحافظ : ولم أر فى شىء من الطرق انه صدر من على فى حق العباس شىء ، بخلاف ما يفهم من قوله فى رواية عقيل « استبا » . واستصوب المازرى صنيع من حذف هذه الألفاظ من هذا الحديث وقال : لعل بعض الرواة وهم فيها وان كانت محفوظة ، فأجود ما تحمل عليه أن العباس قالها دلالا على علىّ ، لأنه كان عنده بمنزلة الولد ، فأراد ردعه عما يعتقد انه مخطىء فيه . [خ]

(٣٧٨) قال الحافظ ابن حجر (٦ : ١٢٥) : وكان الزهرى يحدث به تارة فيصرح ، وتارة فيكنى ، وكذلك مالك ، وقد حذف ذلك فى رواية بشر بن عمر عنه عند الاسماعيلى وغيره ، وهو نظير ما سبق من قول العباس لعلى . الخ [خ]

وعمر بما رآيا ، ولم ير العباس وعليّ ذلك . ولكن لما حكما سلما لحكمهما كما يسلم لحكم القاضى فى المختلف فيه . وأما المحكوم عليه فرأى أنه قد وهم ، ولكن سكت وسلم .

فإن قيل : إنما يكون ذلك فى أول الحال ــ والأمر لم يظهر ــ إذا كان الحكم باجتهاد ، وأنما كان هذا الحكم على منع فاطمة والعباس الميراث بقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « لا نورث ، ما تركناه ، صدقة » وعلمه أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه العشرة وشهدوا به ، فبطل ما قلتموه .

قلنا : يحتمل أن يكون ذلك فىأول الحال ــ والأمر لم يظهر بعد ــ فرأيا أن خبر الواحد فى معارضة القرآن والأصول والحكم المشهور فى الزمن لا يعمل به حتى يتقرر الأمر ، فلما تقرر سلما وانقادا ، بدليل ما قدمنا من الحديث الصحيح إلى آخره ، فلينظر فيه . وهذا أيضا ليس بنص فى المسألة ، لأن قوله « لا نورث ، ما تركنا صدقة » يحتمل أن يكون : لا يصح ميراثنا ، ولا أنا أهل له ، لأنه ليس لى ملك ، ولا تلبست بشىء من الدنيا ينتقل إلى غيرى عنى . ويحتمل « لا نورث » حكم ، وقوله « ما تركنا صدقة » حكم آخر معين أخبر به أنه قد أنفذ الصدقة فيما كان بيده من سهمه المتصير إليه بتسويغ الله له ، وكان [من] ذلك مخصوصاً بما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، وكان له سهمه مع المسلمين فيما غنموه بما أخذوه عنوة . ويحتمل أن يكون « صدقة » منصوباً على أن يكون حالا من المتروك . وإلى هذا أشار أصحاب أبى حنيفة ، وهو ضعيف وقد بيناه فى موضعه . بيد أنه يأتيك [من] هذا أن المسألة مجرى الخلاف ، ومحل الاجتهاد (٣٨٠) ، وأنها ليست بنص من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فتحتمل التصويب والتخطئة من المجتهدين . والله أعلم .

* * *

---

(٣٨٠) ولعل فاطمة وعلياً والعباس رضى الله عنهم أخذوا بهذا الاجتهاد ، فهم مأجورون على كل حال . ولاشك أن علياً اذا كان أخذ به ، فقد رجع عنه مادام لم ينفذه فى خلافته . [م]

قاصمة

ثم قتل عليٌّ . قالت الرافضة : فعهد إلى الحسن ، فسلمها الحسن إلى معاوية ، فقيل له « مسوِّد وجوه المؤمنين » (٣٨١) وفسقته جماعة من الرافضة ، وكفرته طائفة لأجل ذلك .

* * *

---

(٣٨١) من عناصر ايمان الرافضة ـ بل العنصر الأول فى ايمانهم ـ اعتقادهم بعصمة الحسن وأبيه وأخيه ، وتسعة من ذرية أخيه . ومن مقتضى عصمتهم ـ وفى طليعتهم الحسن بعد أبيه ـ انهم لا يخطئون ، وأن ما صدر عنهم فهو حق ، والحق لا يتناقض . وأهم ما صدر عن الحسن بن على بيعته لأمير المؤمنين معاوية ، وكان ينبغى لهم أن يدخلوا فى هذه البيعة ، وأن يؤمنوا بأنها الحق لأنها من عمل المعصوم عندهم . لكن المشاهد من حالهم أنهم كافرون بها . ومخالفون فيها لامامهم المعصوم . ولا يخلو هذا من احد وجهين : فاما انهم كاذبون فى دعوى العصمة لائمتهم الاثنى عشر ، فينهار دينهم من أساسه ، لأن عقيدة العصمة لهم هى أساسه ، ولا أساس له غيرها . واما أن يكونوا معتقدين عصمة الحسن ، وأن بيعته لمعاوية هى من عمل المعصوم ، لكنهم خارجون على الدين ، مخالفون للمعصوم فيما جنح اليه وأراد أن يلقى الله به ، ويتواصون بهذا الخروج على الدين جيلا بعد جيل ، وطبقة بعد طبقة ، ليكون ثباتهم على مخالفة الامام المعصوم عن اصرار وعناد ومكابرة وكفر . ولا ندرى أى الوجهين يطوِّح بهم فى مهاوى الهلكة اكثر مما يطوح بهم الوجه الآخر ، ولا ثالث لهما . فالذين قالوا منهم ان الحسن « مسود وجوه المؤمنين » لا يحمل كلامهم الا على انه « مسود وجوه المؤمنين بالطاغوت » أما المؤمنون بنبوة جدِّ الحسن صلى الله عليه وآله وسلم فيرون صلحه مع معاوية وبيعته له من اعلام النبوة ، لأنها حققت ما تنبأ به صلى الله عليه وآله وسلم فى سبطه سيد شباب اهل الجنة من انه سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين كما سيأتى بيانه . وكل الذين استبشروا بهذه النبوءة وبهذا الصلح يعدون الحسن « مبيض وجوه المؤمنين » . [خ]

عاصمة

قال القاضي أبو بكر (رضى الله عنه) : أما قول الرافضة انه عهد إلى الحسن فباطل . ما عهد إلى أحد (٣٨٢) . ولكن البيعة للحسن منعقدة ، وهو أحق من معاوية ومن كثير [من] غيره . وكان خروجه لمثل ما خرج إليه أبوه من دعاء الفئة الباغية إلى الانقياد للحق والدخول فى الطاعة . فآلت الوساطة إلى أن تخلى عن الأمر صيانة لحقن دماء الأمة (٣٨٣) وتصديقاً [لوعد]

---

(٣٨٢) روى الامام أحمد فى مسنده (١ : ١٣٠ برقم ١٠٧٨) عن وكيع عن الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن عبد الله بن سبع قال : سمعت علياً يقول (وذكر أنه سيقتل) قالوا : فاستخلف علينا . قال : لا ، ولكن أترككم الى ما تركهم اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » . قالوا : فما تقول لربك اذا أتيته ؟ قال : أقول : اللهم تركتنى فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتنى اليك وأنت فيهم ، فان شئت أصلحتهم ، وان شئت أفسدتهم » . وروى أحمد مثله (١ : ١٥٦ برقم ١٣٣٩) عن أسود بن عامر عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عبد الله بن سبع . والخبران اسناد كل منهما صحيح . ونقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢٥٠ — ٢٥١) عن الامام البيهقى من حديث حصين ابن عبد الرحمن عن الامام الشعبى عن أبى وائل شقيق بن سملة الأسدى أحد سادة التابعين انه قيل لعلى : ألا تستلخف علينا ؟ قال : « ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستخلف ، ولكن ان يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدى على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم » . وهذا الحديث جيد الاسناد . ونقل ابن كثير أيضاً (٧ : ٣٢٣) عن الامام البيهقى حديث حبيب بن أبى ثابت الكاهلى الكوفى عن ثعلبة بن يزيد الحمانى (وهو من شيعة الكوفة وثقه النسائى) أنه قيل لعلى : الا تستخلف ؟ فقال : « لا ، ولكن أترككم كما ترككم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » . وانظر السنن الكبرى للبيهقى ٨ : ١٤٩ . [خ]

(٣٨٣) وتمام الحديث : أنا محمد ، واحمد والمقفى ، والحاشر ، ونبى التوبة ، ونبى الرحمة ، ونبى الملحمة . رواه الطيالسى واحمد فى المسند وغيرهما وسنده صحيح كما قال محقق الجامع الصغير وزيادته . [م]

نبى الملحمة [٣٨٤] حيث قال على المنبر : « ابنى هذا سـيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » [٣٨٥] . فنفذ الميعاد ، وصحت البيعة لمعاوية ، وذلك لتحقيق رجاء النبى صلى الله عليه وآله وسـلم . فمعـاوية خليفة ، وليس بملك .

فإن قيل : فقد روى عن سفينة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الخلافة ثلاثون سنة ، ثم تعود ملكا » فإذا عددنا من ولاية أبى بكر إلى تسليم الحسن كانت ثلاثين سنة لا تزيد ولا تنقص يوماً . قلنا :

خذ ما تره ودع شـيئاً سمعت به   فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

هذا الحديث [٣٨٧] فى ذكر الحسن بالبشارة والثناء عليه ، لجريان الصلح

---

(٣٨٤) حكاية الوساطة بين الحسن ومعـاوية وصلحهما رواها الامام البخارى فى كتاب الصلح من صحيحه (ك ٥٣ ب ٩ ج ٣ ص ١٦٩) عن الامام الحسن البصرى قال : استقبل — والله — الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال . فقال عمرو بن العاص : إنى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها . فقال له معاوية — وكان والله خير الرجلين — : أى عمرو ، ان قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لى بأمور الناس ، من لى بنسائهم ، من لى بضيعتهم ؟ فبعث اليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس — عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله ابن عامر بن كريز — فقال : اذهبا الى هذا الرجل (أى الى الحسن بن على) فاعرضا عليه (أى ما يشاء) ، وقولا له (أى ما يرضيه) ، واطلبا إليـه (أى ما تريان فيه المصلحة فأنتما مفوضان) . فأتياه ، فدخلا عليه ، فتكلما ، وقالا له ، وطلبا إليه . فقال لهما الحسن بن على : انا بنو عبد المطلب قـد أصبنا من هذا المال ، وان هذه الأمة قد عاثت فى دمائها (أى فيحتاج ارضاؤها فى دمائها الى مال كثير) قالا : فانه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب اليك ، ويسألك . قال : فمن لى بهذا ؟ قالا : نحن لك به فما سألهما شيئاً الا قالا : نحن لك به فصالحه . [خ]

(٣٨٥) رواه البخارى مع الحديث السابق عن الحسن البصرى أنه سمعه من ابى بكرة وان ابا بكرة رأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو على المنـبر والحسن بن على الى جنبه فقال ذلك . ورواه البخارى أيضاً فى مناقب الحسن والحسين من كتاب فضائل الصحابة من صحيحه (ك ٦٢ ب ٢٢ ج ٤ ص ٢١٦) وانظر البداية والنهاية (٨ : ١٧ — ١٩) وابن عساكر (٤ : ٢١١ — ٢١٢) [خ]

(٣٨٧) اى حديث « ان ابنى هذا سيد » الذى رواه البخارى عن الحسن البصرى عن ابى بكرة . [خ]

[على] يديه ، وتسليم الأمر لمعاوية ، عقد منه له (٣٨٨) .

وهذا (٣٨٩) حديث لا يصح (٣٩٠) . ولو صح فهو معارض بهذا الصلح

---

(٣٨٨) أى عقد بيعة من الحسن لمعاوية . وكان ذلك فى موضع يقال له « مسكن » على نهر دجيل فى ربيع الأول سنة احدى وأربعين ، فسمى ذلك العام « عام الجماعة » لاجتماع المسلمين بعد الفرقة ، وتفرغهم للحروب الخارجية والفتوح ونشر دعوة الاسلام بعد أن عطل قتلة عثمان سيوف المسلمين عن هذه المهمة نحو خمس سنوات كان يستطيع المسلمون أن يسجلوا فيها أمجاداً لا يستطيع غيرهم مثلها فى خمسة قرون . ولله فى كل شىء حكمة . [خ]

(٣٨٩) أى حديث سفينة . [خ]

(٣٩٠) لأن راويه عن سفينة سعيد بن جهمان ، وقد اختلفوا فيه : قال بعضهم لا بأس به ، ووثقه بعضهم ، وقال فيه الامام أبو حاتم « شيخ لا يحتج به » . وفى سنده حشرج بن نباتة الواسطى وثقه بعضهم ، وقال فيه النسائى « ليس بالقوى » . وعبد الله بن احمد بن حنبل يروى هذا الخبر عن سويد الطحان قال فيه الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب : « لين الحديث » . وهذا الحديث المهلهل يعارضه ذلك الحديث الصحيح الصريح الفصيح فى كتاب الامارة من صحيح مسلم (ك ٣٣ ح ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ج ٦ ص ٣ — ٤) عن جابر بن سمرة قال : دخلت مع أبى على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فسمعته يقول : « ان هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة » قال: ثم تكلم بكلام خفى علىّ ، فقلت لأبى : ما قال ؟ قال: «كلهم من قريش » . وانظره فى كتاب الأحكام من صحيح البخارى (ك ٩٣ ب ٥١ ج ٨ ص ١٢٥ — ١٢٧) وفى فتح البارى (١٣ : ١٦٢ وما بعدها) وفى سنن أبى داوود (ك ٣٥ ح ١) وفى جامع الترمذى (ك ٣١ ب ٤٦) وفى مسند الامام أحمد (١ : ٣٩٨ و ٤٠٦ برقم ٣٧٨١ و ٣٨٥٩) من حديث الشعبى عن مسروق ابن الأجدع الهمدانى الامام القدوة قال : كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، هل سألتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كم يملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال عبد الله ابن مسعود : ما سألنى أحد منذ قدمت العراق قبلك . ثم قال : نعم ، ولقد سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « اثنا عشر ، كعدة نقباء بنى اسرائيل (*) » . والحديث فى مجمع الزوائد (٥ : ١٩٠) . وفى مسند أحمد (٥ : ٨٦ و ٨٧ بثلاث روايات و ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ بثلاث روايات و ٩٢ بثلاث روايات و ٩٣ بروايتين و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ بروايتين و ٩٧ بروايتين و ٩٨

(*) أن حديث « الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون بعد ذلك ملكاً » صححه الحافظ فى التقريب ، وحسنه الترمذى ، وابن حبان وغيرهم .

المتفق عليه ، فوجب الرجوع إليه (٣٩١) .

فإن قيل : ألم يكن فى الصحابة أقعد بالأمر من معاوية ؟

قلنا : كثير (٣٩٢) . ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال : وهى أن عمر جمع

=

بثلاث ورايات و ٩٩ بثلاث روايات و ١٠٠ ، ١٠١ بروايتين و ١٠٦ بروايتين و ١٠٧ بروايتين و ١٠٨) وفى مسند أبى داوود الطيالسى (ح ٩٦٧ و ١٢٧٨) . [خ]

وصححه شيخ الاسلام ابن تيمية فى « قاعدة » .

وهذا الحديث لا يعارض الصلح بين الحسن ومعاوية كما ادعى أبو بكر ابن العربى ، كما أنه لا يعارض حديث : (ان هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى اثنا عشر خليفة) كما ادعى محب الدين الخطيب فقد جاء فى رواية أبى داود بلفظ : « خلافة النبوة ثلاثون عاماً » ومعنى هذا ان هناك خلفاء غيرهم على غير النبوة ولا مانع من تسميتهم بالخلفاء ، فقد قال الامام ابن تيمية : « يجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين خلفاء ، وان كانوا ملوكاً ، ولم يكونوا خلفاء بدليل ما رواه البخارى ومسلم فى « صحيحهما » عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبى خلفه نبى ، وانه لا نبى بعدى . وستكون خلفاء ، فتكثر ، قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : فوا ببيعة الأول ، فالأول ، وأعطوهم حقهم ، فان الله سائلهم عما استرعاهم » .

وكلمة « تكثر » تفيد الكثرة ، ولا يمكن حصرها بالخلفاء الراشدين الأربعة . [م]

(٣٩١) أى الى العقد من الحسن لمعاوية ، فهو متفق عليه ، وتناولته البشرى النبوية بالثناء والرضا . قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ٢٤٢) : وهذا الحديث يبين أن الاصلاح بين الطائفتين كان ممدوحا يحبه الله ورسوله ، وأن ما فعله الحسن من ذلك كان من أعظم فضائله ومناقبه التى أثنى بها عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم . ولو كان القتال واجباً أو مستحباً لم يثن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بترك واجب أو مستحب ... الخ . [خ]

(٣٩٢) كسعد بن أبى وقاص المجاهد الفاتح أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب عالم الصحابة الثابت على قدم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فى جليل الأمور ودقيقها ، وغيرهما من هذه الطبقة وقريب منها ، وهؤلاء هم الذين ترك لهما الحكمان ــ أبو موسى وعمرو ــ أمر الامامة

=

له الشامات كلها وأفرده بها (٣٩٣) ، لما رأى من حسن سيرته (٣٩٤) ، وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور (٣٩٥) ، وإصلاح الجند والظهور على العدو (٣٩٦)

= بعد حرب صفين ليروا فيها رأيهم ، فلما رأوا اجتماع الأمة كلها على معاوية دخلوا كلهم فى امامته وبايعوه ، بعد أن كانوا معتزلين الفتنة من بعد عثمان (انظر فتح البارى ١٣ : ٥٠) . ومعاوية نفسه يعرف للناس أقدارهم . فقد جاء فى البداية والنهاية (٨ : ١٣٤) عن ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبى أن معاوية خطب فقال : « أيها الناس ، ما أنا بخيركم ، وان منكم لمن هو خير منى : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو وغيرهما من الأفاضل . ولكن عسى أن أكون انفعكم ولاية ، وانكاكم فى عدوّكم وأدرّكم حلباً » . ورواه ابن سعد عن محمد بن مصعب عن أبى بكر بن أبى مريم عن ثابت مولى معاوية أنه سمع معاوية يقول ذلك . [خ]

(٣٩٣) فأصبحت تحت قيادته وبحسن سياسته أقوى قوة فى الاسلام ، وهى فى طليعة جيوش الجهاد والفتوح الظافرة الداعية الى الله بأخلاقها وسيرتها وحكمة قادتها وصدق اسلامهم . [خ]

(٣٩٤) تقدم حديث الليث بن سعد امام أهل مصر بسنده الوثيق الى سعد بن أبى وقاص فاتح العراق وايران ومبيد دولة كسرى أنه ما رأى بعد عثمان أقضى بالحق من معاوية . وحديث عبد الرزاق الصنعانى بسنده الى حبر الأمة ابن عباس أنه ما رأى رجلا أخلق بالملك من معاوية . وفى قول شيخ الاسلام ابن تيمية : كانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة ، وكان رعيته يحبونه ، وقد ثبت فى صحيح مسلم (ك ٣٣ ح ٦٥ و ٦٦) قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « خيار ائمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويصلون عليكم وتصلون عليهم . وفى الطبرى (٦ : ١٨٨) رواية مجالد عن الشعبى أن قبيصة بن جابر الأسدى قال : الا اخبركم من صحبت ؟ صحبت عمر بن الخطاب فما رايت رجلا أفقه فقها ولا أحسن مدارسة منه . ثم صحبت طلحة بن عبيد الله فما رايت رجلا أعطى للجزيل من غير مسألة منه ، ثم صحبت معاوية فما رأيت رجلا أحب رفيقاً ولا أشبه سريرة بعلانية منه . [خ]

(٣٩٥) وقد بلغ من همته وعظيم عنايته بذلك أن أرسل يهدد ملك الروم ــ وهو فى معمعة القتال مع على فى صفين ــ وقد بلغه أن ملك الروم اقترب من الحدود فى جنود عظيمة ، فكتب اليه يقول « والله لئن لم تنته وترجع الى بلادك ، لأصطلحن انا وابن عمى عليك ، ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت » فخاف ملك الروم وانكف (البداية والنهاية ٨ : ١١٩) [خ] .

وسياسة الخلق (٣٩٧) ، (٣٩٨) . وقد شهد له في صحيح ،

---

(٣٩٦) في البر والبحر ، فكانت رايات الاسلام تخترق الآفاق بأيدى جنده ممثلة العزة التي أرادها الله لدينه ورسالة رسوله وللمؤمنين بهما . وكما أن فتح مصر ودخولها في الاسلام والعروبة من عمل عمرو بن العاص وحده ، فان تأسيس الأسطول الاسلامى والفتوح البحرية الأولى من عمل معاوية وحده. ومما ينبغى للمشتغل بتاريخ العروبة والاسلام أن يعلمه أن معاوية مفطور على سجية السيادة والقيادة وصناعة الحكم ، أخرج ابن كثير في التاريخ (٨ : ١٣٥) عن هشيم عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم أن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال : « ما رأيت أحداً أسود من معاوية » . قال جبلة ابن سحيم : قلت ولا عمر ؟ قال : « كان عمر خيراً منه ، وكان معاوية أسود منه » . ورووا مثل هذه الكلمة في معاوية عن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وتقدم قول عبد الله بن عباس « ما رأيت رجلا كان أخلق بالملك من معاوية » [خ]

(٣٩٧) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣ : ١٨٥) : لم يكن من ملوك الاسلام ملك خيراً من معاوية ، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمن معاوية ، اذا نسبت أيامه الى ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمن معاوية ، اذا نسبت أيامه الى أيام من بعده . واذا نسبت الى أيام ابى بكر وعمر ظهر التفاضل . وقد روى أبو بكر الأثرم — ورواه ابن بطة من طريقه — حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة ، حدثنا محمد ابن مروان ، عن يونس ، عن قتادة قال : لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم : هذا المهدى . وروى ابن بطة باسناده الثابت من وجهين عن الأعمش عن مجاهد قال : لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدى . وروى الأثرم : حدثنا محمد بن حواش ، حدثنا أبو هريرة المكتب قال : كنا عند الأعمش فذكروا عمر بن عبد العزيز وعدله ، فقال الأعمش : فكيف لو أدركتم معاوية ؟ قالوا : في حلمه ؟ قال : لا والله ، بل في عدله . وقال عبد الله ابن أحمد بن حنبل : أخبرنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة الثقفى ، عن أبى اسحاق السبيعى انه ذكر معاوية فقال : لو أدركتموه أو أدركتم أيامه لقلتم : كان المهدى . وهذه الشهادة من هؤلاء الأئمة الأعلام لأمير المؤمنين معاوية صدى استجابة الله عز وجل دعاء نبيه صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الخليفة الصالح يوم قال صلى الله عليه وآله وسلم « اللهم اجعله هادياً ، مهدياً ، واهد به (**) » وهو من أعلام النبوة . [خ] —

(٣٩٨) رواه الترمذى وحسنه ، وهو صحيح الاسناد كما في تحقيق مشكاة المصابيح . [م]

(**) يكفى معاوية رضى الله عنه انه كان كاتب الوحى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وجاء في كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٨ : ١٣٣) قال

الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه « ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب » يعنى معاوية .

وروى عن على بن أبى طالب قوله عنه بعد المصالحة التى جرت سنة ٤٠ هـ والتى أسفرت عن اعتراف على بحكمه فى الشام واعتراف معاوية بحكم على فى العراق : أيها الناس لا تكرهوا امارة معاوية ، فانكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل .

وقال ابن عباس رضى الله عنه : « ما رأيت رجلا أخلص بالملك من معاوية .

وقال الصحابى عمير بن سعد الأنصارى الأوسى ، وقد عزله عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن حمص وولى معاوية رضى الله عنه : لا تذكروا معاوية الا بخير ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « اللهم اهد به ... » وهذا من تمام انصاف عمير رضى الله عنه .

وقال الصحابى الجليل أبو الدرداء لأهل الشام : « ما رأيت أحداً اشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من معاوية .

وقد روى ابن قتيبة عن عتبة بن مسعود قال : انه لما مر بنا نعى معاوية قمنا فأتينا ابن عباس فوجدناه جالساً قد وضع له الخوان وعنده نفر ، فأخبرناه الخبر ، فقال يا غلام ! ارفع الخوان وسكن ساعة ثم قال : جبل تزعزع ثم مال كلكله . أما والله ما كان كمن كان قبله ، ولكن لن يكون بعده مثله ، وان ابنه خير أهله .

وقال الأعمش للذين ذكروا عنده عمر بن عبد العزيز وعدله ، « كيف لو أدركتم معاوية ! » قالوا فى حلمه ؟! قال : لا والله بل فى عدله ، وقد مر معنى ذلك .

وقال قبيصة لجماعته : الا أخبركم من صحبت ؟! صحبت عمر بن الخطاب، فما رأيت رجلا أفقه فقهاً ولا أحسن مدارسة منه ثم صحبت طلحة فما رأيت رجلا أعطى للجزيل من غير مسألة منه . ثم صحبت معاوية ، فما رأيت رجلا أحب رفيقاً ولا أشبه سريرة بعلانية منه (هذه الأقوال منقولة عن تاريخ الطبرى وعن البداية والنهاية) .

وقال الامام ابن تيمية فى منهاج السنة (١٨٩/٣) وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سيرة الولاة . وقد كانت رعيته يحبونه . وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم . وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » .

هذه بعض شهادات الصحابة والتابعين فى معاوية رضى الله تعالى عنهم جميعاً وآراء بعض العلماء والمؤرخين . وقد رأينا ما قال بحقه النبى صلى الله

الحديث بالفقه (٣٩٩) ، وشهد بخلافته فى حديث أم حرام أن ناساً من أمتـه

=

عليه وآله وسلم ، فمن أبغضه فقد انكر ما جاء فى السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حقه وطعن فى ثناء الصحابة والتابعين عليه .

روى الحافظ ابن عساكر عن الامام أبى زرعة الرازى أنه قال له رجل : انى ابغض معاوية . فقال له : ولم ؟ قال : لأنه قاتل علياً . فقال له أبو زرعة ويحك ! ان رب معاوية رحيم ، وخصم معاوية خصم كريم ، فايش دخولك انت بينهما رضى الله عنهما .

وقبل أن ننهى الكلام على شهادات الصحابة والتابعين وآراء العلماء فى معاوية ننقل رأياً طريفاً للمؤرخ العلامة ابن خلدون فى اعتبار معاوية من الخلفاء الراشدين فقد قال :

ان دولة معاوية واخباره كان ينبغى أن تلحق بدول الخلفاء الراشـــدين واخبارهم فهو تاليهم فى الفضل والعدالة والصحبة (تاريخ ابن خلدون ٢/٤٥٨)

نذكر جميع هذه الشهادات ، وقبلها الأحاديث النبوية فى فضل معاوية ، مع اعترافنا يشهد الله بفضل عليٍّ ، وانه أفضل منه والحق غالبه معه ، وكل كان مجتهداً . وقد جاء فى الحديث الصحيح « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله اجران واذا اخطأ فله أجر ! رواه البخارى ومسلم رحمهما الله .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث الى معاوية ليكتب له ، فقال : انه يأكل ، ثم بعث اليه ، فقال : انه يأكل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا اشبع الله بطنه » رواه أبو داود وسنده صحيح .

قد يستغل بعض الفرق هذا الحديث ليتخذوا منه مطعناً فى معـــاوية رضى الله عنه ، وليس فيه ما يساعدهم على ذلك ، كيف وفيه أنه كان كاتب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ؟! فالظاهر أن هذا الدعاء منه صلى الله عليه وآله وسلم غير مقصود ، بل هو مما جرت به عادة العرب فى وصل كلامها بلا نيـة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم فى بعض نسائه : تربت يمينك . ويمكن أن يكون ذلك منه صلى الله عليه وآله وسلم بباعث البشرية التى أفصح عنها هـو نفسه صلى الله عليه وآله وسلم فى أحاديث كثيرة متواترة منها حديث عائشـة رضى الله عنها : « ... أو ما علمت ما شارطت عليه ربى ؟ قلت اللهم انمـا انا بشر ، فأى المسلمين لعنته أو سببته ، فاجعله له زكاة وأجراً » رواه مسلم (راجع الأحاديث الصحيحة ١/٩٥) . [م]

(٣٩٩) فى كتاب مناقب الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٢٨ ج ٤ ص ٢١٩) حديث ابن أبى مليكة أن ابن عباس قيل له : « هل لك فى امير المؤمنين معاوية ، فانه ما أوتر الا بواحدة . فقال : انه فقيه » . وفى كتاب المناقب من جامع الترمذى (ك ٤٦ ب ٤٧) حديث عبد الرحمن بن أبى عميرة المزنى عـن

=

يركبون ثبج البحر الأخضر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة ، وكان ذلك فى ولايته (٤٠٠) .

=
النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لمعاوية « اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به (*) » . ورواه الطبرانى من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخى — وكان لأهل الشام كالامام مالك لأهل المدينة — عن ربيعة بن يزيد الايادى أحد الأئمة الأعلام عن عبد الرحمن بن أبى عميرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاوية « اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب » . وأخرجه الامام البخارى فى التاريخ قال : قال لى أبو مسهر (وذكره بالعنعنة **) . وتقدم حديث عزل عمير بن سعد الأنصارى عن ولاية حمص فى خلافة عمر وتوليته معاوية والشهادة له بأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم دعا له بأن يهدى الله به . ورواه الامام أحمد من حديث العرباض بن سارية السلمى . ورواه ابن جرير من حديث ابن مهدى . ورواه أسد بن موسى وبشر السرى وعبد الله ابن صالح عن معاوية بن صالح باسناده . وزاد فى رواية بشر بن السرى « وأدخله الجنة » . ورواه ابن عدى وغيره عن ابن عباس . ورواه محمد بن سعد بسنده الى مسلمة بن مخلد أحد فاتحى مصر وولاتها . ورواة هذا الدعاء النبوى لمعاوية من الصحابة أكثر من ان يحصوا . (وانظر البداية والنهاية ٨ : ١٢٠ — ١٢١ . وانظر ترجمة معاوية فى حرف الميم من تاريخ دمشق لابن عساكر) . ومن لم يصدق هذا الحديث فهو منكر لكل ما ثبت فى السنة من شريعة الاسلام . وفى الشيعة المبغضين لمعاوية اللاعنين له من يزعمون انهم منتسبون الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهل تراهم يحقدون على جدهم صلى الله عليه وآله وسلم لرضاه عن معاوية واستعانته به ودعائه له ؟ « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » [خ] .

(٤٠٠) أم حرام بنت ملحان صحابية من الأنصار من أهل قباء ، كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذا ذهب الى قباء استراح عندها ، وهى خالة خادمه انس ابن مالك . روى البخارى فى كتاب الجهاد من صحيحه (ك ٥٦ ب ٣ ج ٣ ص ٢٠١) ومسلم فى كتاب الامارة (ك ٣٣ ح ١٦٠) عن أنس أن النبى صلى الله =

(*) حسنه الترمذى وسنده صحيح كما قال محقق المشكاة . [م]

(**) ومعنى ذلك عدم صحة هذا الحديث . [م]

توضيح :

ليس معنى ذلك عدم صحة الحديث على الاطلاق !! فالصحيحين فيهما من ذلك شىء كثير .. وأين هذه القاعدة من كتب مصطلح الحديث !! فمعلوم أن عنعنة الثقة تحمل على الاتصال ما لم يكن مدلساً . [س]

ويحتمل أن تكون مراتب في الولاية : خلافة ثم ملك (٤٠١) . فتكون ولاية الخلافة للأربعة ، وتكون ولاية الملك لابتداء معاوية (٤٠٢) . وقد قال الله في

=

عليه وآله وسلم نام عندها القيلولة ثم استيقظ وهو يضحك لأنه رأى ناساً من أمته غزاة في سبيل الله يركبون ثبج البحر — أي وسطه ومعظمه — ملوكا على الأسرّة . ثم وضع رأسه فنام واستيقظ وقد رأى مثل الرؤيا الأولى . فقالت له أم حرام : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال لها « أنت من الأولين » . قال الحافظ ابن كثير (٨ : ٢٢٩) يعني جيش معاوية حين غزا قبرص ففتحها سنة ٢٧ أيام عثمان بن عفان (بقيادة معاوية ، عقب انشائه الأسطول الاسلامي الأول في التاريخ) . وكانت معهم أم حرام في صحبة زوجها عبادة ابن الصامت . ومعهم من الصحابة أبو الدرداء وأبو ذر وغيرهما . وماتت أم حرام في سبيل الله وقبرها بقبرص الى اليوم . قال ابن كثير : ثم كان امير الجيش الثاني يزيد (**) بن معاوية في غزوة القسطنطينية . قال : وهذا من أعظم دلائل النبوة .

(٤٠١) عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتى الله ملكه من يشاء » وقد حسن هذا الحديث . محقق مشكاة المصابيح . [م]

(٤٠٢) الخلافة والملك والامارة عناوين اصطلاحية تتكيف في التاريخ باعتبار مدلولهن العملي ، والعبرة دائماً بسيرة المرء وعمله . ومعاوية قد ولى الشام للخلافة الراشدة مدة عشرين سنة ، ثم اضطلع بمهمة الاسلام كلها عشرين سنة أخرى في الوطن الاسلامي الأكبر بعد بيعة الحسن بن علي له ، فكان في الحالتين قوّاماً بالعدل ، محسناً الى الناس من كل الطبقات ، يكرم اهل المواهب ويساعدهم على تنمية مواهبهم ، ويسع بحلمه جهل الجاهلين فيعالج بذلك نقائصهم ، ويلتزم في الجميع أحكام الشريعة المحمدية بحزم ورفق ومثابرة وايمان . يؤمهم في صلواتهم ، ويوجههم في مجتمعهم ومرافقهم ، ويقودهم في حروبهم . وفي منهاج السنة (٣ : ١٨٥) قول الصحابي الجليل أبي الدرداء لأهل الشام « ما رأيت أحداً أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من امامكم هذا » يعني معاوية . وقد رأيت قول الأعمش للذين ذكروا عنده عمر بن عبد العزيز وعدله : « كيف لو أدركتم معاوية ؟ » قالوا : في حلمه ؟ قال : « لا والله ، بل في عدله » . وقد بلغ من

(**) وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أم حرام بشارة ليزيد بالجنة والمغفرة : « أول جيش من أمتي يركبون البحر أوجبوا . وأول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور له » .

. . . .

=

ولا أدرى كيف يعقل ان يقبل الصحابى الجليل أبو أيوب الأنصارى وغيره من كبار الصحابة قيادة يزيد بن معاوية عليهم ، وهو على ما وصفه أعداء الاسلام من سوء السيرة . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذباً ! [م]

استقامته على جادة الاسلام أن قال فيه أمثال قتادة ومجاهد وأبى اسحاق السبيعى — وكلهم من الأئمة الأعلام — : كأن معاوية هو المهدى والذي يتتبع سيرة معاوية فى حكمه يرى أن حكومته فى الشام كانت حكومة مثالية فى العدل والتراحم والتآسى ، لم يخير بين الطيب والأطيب الا اختار الأطيب على الطيب . فاذا كان هذا المسلك فى أربعين سنة يؤهل الأمير المسلم للخلافة على المسلمين وقد ارتضوه لذلك واغتبطوا به فهو خليفة ، ومن سماه ملكا لا يستطيع أن يكابر فى أنه من أرحم ملوك الاسلام وأصلحهم . كنا أيام طلب العلم فى القسطنطينية فى مجلس للطلبة يتناقشون فى موضوع سيرة معاوية وخلافته ، وكان ذلك فى أيام السلطان عبد الحميد . فوقف صديقى الشهيد السعيد عبد الكريم قاسم الخليل — وكان شيعياً — فقال : « أنتم تسمون سلطاننا خليفة ، وأنا أخوكم الشيعى أعلن أن يزيد بن معاوية كان بسيرته الطيبة أحق بالخلافة وأصدق عملا بالشرع المحمدى من خليفتنا ، فكيف بأبيه معاوية » . على أن معاوية كان يقول عن نفسه — فيما رواه خيثمة عن هارون بن معروف عن ضمرة عن ابن شوذب — : « انا أول الملوك وآخر خليفة » . وتقدم حديث معمر عن الزهرى « ان معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه » . وقد أشرنا هناك الى اختلاف البيئة وتأثيرها فى انظمة الحكم ، بل ان معاوية نفسه ذكر ذلك لعمر لما قدم عمر الشام وتلقاه معاوية فى موكب عظيم فاستنكر عمر ذلك ، واعتذر له معاوية بقوله : « انا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة ، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للاسلام وأهله ونرهبهم به » . فقال عبد الرحمن بن عوف لعمر : « ما أحسن ما صدر عما أوردته فيه يا أمير المؤمنين » فقال عمر : من أجل ذلك جشمناه ما جشمناه » (البداية والنهاية ٨ : ١٢٤ — ١٢٥) . وسيرة عمر التى حاول معاوية أن يسير عليها سنين كانت المثل الأعلى فى بيته ، وكان يزيد يحدث نفسه بالتزامها . روى ابن أبى الدنيا عن أبى كريب محمد بن العلاء الهمدانى الحافظ عن رشدين المصرى عن عمرو بن الحارث الأنصارى المصرى عن بكير بن الأشج المخزومى المدنى ثم المصرى أن معاوية قال ليزيد : كيف تراك فاعلا ان وليت ؟ قال : كنت والله يا أبه عاملا فيهم عمل عمر بن الخطاب . فقال معاوية : سبحان الله يا بنى ، والله لقد جهدت على سيرة عثمان فما أطقتها ، فكيف بك وسيرة عمر (ابن كثير ٨ : ٢٢٩) . والذين لا يعرفون سيرة معاوية يستغربون

داود ــ وهو خير من معــاوية (٤٠٣) ــ : « وآتاه الله الملك والحــكمة » (البقرة : ٢٥١) فجعل النبوة ملكا . فلا تلتفتوا إلى أحاديث ضعف سندها [ومعناها] (٤٠٤) . .

ولو اقتضت الحال النظر فى الأمور لكان ــ والله أعلم ــ رأى آخــر

=

اذا قلت لهم : انه كان من الزاهدين والصفوة الصالحين . روى الامام احمد فى كتاب الزهد (ص ١٧٢ طبع مكة) عن أبى شبل محمد بن هارون عن حسن ابن واقع عن ضمرة بن ربيعة القرشى عن على بن أبى حملة عن أبيه قال : رأيت معاوية على المنبر بدمشق يخطب الناس وعليه ثوب مرقوع . واخرج ابن كثير (٨ : ١٣٤) عن يونس بن ميسر الحميرى الزاهد (وهو من شــيوخ الامام الأوزاعى) قال : رأيت معاوية فى سوق دمشق ، وهو مردف وراءه وصيفاً وعليه قميص مرقوع الجيب ، يسير فى أسواق دمشق . وكان قواد معـــاوية وكبار أصحابه يستهدونه ملابسه للتبرك بها ، فكان اذا حضر أحدهم الى المدينة وعليه هذه الملابس يعرفونها ويتغالون فى اقتنائها . روى الدارقطنى عن محمد ابن يحيى بن غسان أن القائد الشهير الضحاك بن قيس الفهرى قدم المدينة ، فأتى المسجد فصلى بين القبر والمنبر ، وعليه برد مرقع قد ارتدى به مــن كسوة معاوية ، فرآه أبو الحسن البراد فعرف أنه برد معاوية فساومه عليه وهو يظنه أعرابياً من عامة الناس ، حتى رضى أبو الحسن البراد أن يدفــع له به ثلاثمائة دينار . فانطلق به الضحاك بن قيس الى بيت حويطب بن عبــد العزى فلبس رداء آخر وأعطى أبا الحسن البراد ذلك البرد بلا ثمن وقال له « قبيح بالرجل أن يبيع عطافه ، فخذه فالبسه » فأخذه أبو الحسن فباعــه فكان أول مال أصابه (ابن عساكر ٧ : ص ٦) وقد أوردنا هذه الأمثلة ليعلم الناس أن الصورة الحقيقية لمعاوية تخالف الصورة الكاذبة التى كان أعداؤه يصورونه بها ، فمن شاء بعد هذا أن يسمى معاوية خليفة وأميراً للمؤمنين ، فان سليمان بن مهران الأعمش ــ وهو من الأئمة الأعلام الحفاظ ، وكان يسمى « المصحف » لصدقه ــ كاد يفضل معاوية على عمر بن عبد العزيز حتى فى عدله . ومن لم يملأ معاوية عينه وأراد أن يضن عليه بهذا اللقب ، فان معاوية مضى الى الله عز وجل بعدله وحلمه وجهاده وصالح عمله ، وكان وهو فى دنياه لا يبالى أن يلقب بالخليفة أو الملك ، وانه فى آخرته لأكثر زهداً بما كان يزهــد به فى دنياه . [خ]

(٤٠٣) ان داود فى نبوته ــ كما يعرفها المسلمون فى دينهم ــ تجعله خيراً من معاوية . وأما داود اليهود ــ كما يعرفه الناس من توراتهم الموجودة الآن فى الأيدى ــ فان معاوية خير منه . ومن شقاء اليهود الا يعرفوا للقرآن والاسلام فضلهما عليهم فى تنزيه انبياء بنى اسرائيل عما وصموا به فى كتبهم . [خ]

(٤٠٤) كتب الشيخ محب الدين : « متنها » بدل : (معناها) . [س]

للجمهور ، ولكن انعقدت البيعة لمعاوية بالصفة التى شاءها الله ، على الوجه الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مادحاً له ، راضياً عنه ، راجياً هدنة الحال فيه ، لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « ابنى هـذا سـيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » (٤٠٦) .

وقد تكلم العلماء فى إمامة المفضول مع وجود من هو أفضل منه ، فليست المسألة فى الحد الذى تجعله فيه العامة ، وقد بيناها فى موضعها (٤٠٧) .

---

(٤٠٦) قال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

فلما اثنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم على الحسن بالاصلاح وترك القتال دل على أن الاصلاح بين تلك الطائفتين كان احب الى الله تعالى من فعله . فدل على أن القتال لم يكن مأموراً به ، ولو كان معاوية كافراً لم تكن تولية كافر وتسليم الأمر اليه مما يحبه الله ورسوله ، بل دل الحديث على أن معاوية واصحابه كانوا مؤمنين ، كما كان الحسن واصحابه مؤمنين ، وأن الذى فعله الحسن كان محموداً عند الله تعالى ، محبوباً مرضياً له ولرسوله .

وهذا كما ثبت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الصحيحين من حديث ابى سعيد الخدرى انه قال : « تمرق مارقة على حين فرقة من الناس ، فتقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وفى لفظ : « فتقتلهم أدناهما الى الحق » فهذا الحديث الصحيح دليل على أن كلا الطائفتين المقتتلتين ــ على واصحابه ، ومعاوية وأصحابه ــ على حق ، وأن علياً واصحابه كانوا اقرب الى الحق من معاوية وأصحابه (الفتاوى ٤ / ٤٦٦ ــ ٤٦٧) . [م]

(٤٠٧) اى من مؤلفاته الأخرى . وهذه المسألة من مسائل الفقه الاسلامى المحصة ، المبينة احكامها على النصوص والسنن والأسس الشرعية التى قام الدين على مثلها فى باب جلب المصالح ودرء المفاسد وتقدير الضرورات بأقدارها . والقاضى أبو الحسن الماوردى لم يذكر فى الأحكام السلطانية (ص ٥) مخالفاً فى جواز امامة المفضول الا الجاحظ ، وماذا يضر أئمة الدين اذا خالفهم الجاحظ ، وهل العباسيون الذين عرف الجاحظ بالتقرب اليهم فى حياتهم كانوا افضل معاصريهم ؟ اما جمهور الفقهاء والمتكلمين فقالوا تجوز امامة المفضول وصحت بيعته ، ولا يكون وجود الأفضل مانعاً من امامة المفضول اذا لم يكن مقصراً عن شروط الامامة ، كما يجوز ــ فى ولاية القضاء ــ تقليد المفضول مع وجود الأفضل ، لأن زيادة الفضل مبالغة فى الاختيار ، وليست معتبرة فى شروط الاستحقاق . ونحيل القارىء على كتاب « الامامة والمفاضلة » لأبى محمد بن حزم المدرج فى الجزء الرابع من كتابه « الفصل » ولاسيما الفصل المعقود فيه لامامة المفضول (ص ١٦٣ ــ ١٦٧ من طبعة مصر سنة ١٣٢٠) . [خ]

فان قيل : فقد قتل حجر بن عدى ــ وهو من الصحابة مشهور بالخير ــ صبراً أسيراً بقول زياد ، وبعثت إليه عائشة فى أمره فوجدته قد فات بقتله . قلنا : [قد] علمنا قتل حجر كلنا ، واختلفنا : فقائل يقول قتله ظلماً ، وقائل يقول قتله حقاً (٤٠٨) .

فإن قيل : الأصل قتله ظلماً إلا إذا ثبت عليه ما يوجب قتله . قلنا : الأصل أن قتل الامام بالحق ، فمن ادعى أنه بالظلم فعليه الدليل . ولو كان ظلماً محضا لما بقى بيت إلا لعن فيه معاوية . وهذه مدينة السلام دار خلافة بنى العباس ــ وبينهم وبين بنى أمية ما لا يخفى على الناس ــ مكتوب على أبواب مساجدها : « خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(٤٠٨) حجر بن عدى الكندى عده البخارى وآخرون من التابعين ، وعده البعض الآخر من الصحابة ، وكان من شيعة علىّ فى الجمل وصفين . وروى ابن سيرين أن زياداً ــ وهو أمير الكوفة ــ خطب خطبة أطال فيها ، فنادى حجر ابن عدى « الصلاة ! » فمضى زياد فى خطبته ، فحصبه حجر وحصبه آخرون معه . فكتب زياد الى معاوية يشكو بغى حجر على أميره فى بيت الله ، وعد ذلك من الفساد فى الأرض . فكتب معاوية الى زياد ان سرح به الى . . فلما جىء به الى معاوية أمر بقتله . فالذين يرون ان معاوية قتله بحق يقولون : ما من حكومة فى الدنيا تعاقب بأقل من ذلك من يحصب أميره وهو قائم يخطب على المنبر فى المسجد الجامع ، مندفعاً بعاطفة الحزبية والتشيع . والذين يعارضونهم يذكرون فضائل حجر ويقولون كان ينبغى لمعاوية أن لا يخرج عن سجيته من الحلم وسعة الصدر لمخالفيه . ويجيبهم الآخرون بأن معاوية يملك الحلم وسعة الصدر عند البغى عليه فى شخصه ، فأما البغى على الجماعة فى شخص حاكمها وهو على منبر المسجد فهو ما لا يملك معاوية أن يتسامح فيه ، ولاسيما فى مثل الكوفة التى أخرجت العدد الأكبر من أهل الفتنة الذين بغوا على عثمان بسبب مثل هذا التسامح ، فكبدوا الأمة من دمائها وسمعتها وسلامة قلوبها ومواقف جهادها تضحيات غالية كانت فى غنى عنها لو أن هيبة الدولة حفظت بتأديب عدد قليل من أهل الرعونة والطيش فى الوقت المناسب . وكما كانت عائشة تود لو أن معاوية شمل حجراً بسعة صدره ، فان عبد الله ابن عمر كان يتمنى مثل ذلك . والواقع أن معاوية كان فيه من حلم عثمان وسجاياه ، الا انه فى مواقف الحكم كان يتبصر فى عاقبة عثمان وما جر اليه تمادى الذين اجترأوا عليه . [خ]

أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، ثم معـــاوية خال المؤمنين رضى الله عنهم » (٤٠٩) .

ولكن حجراً ـــ فيما يقال (رأى من زياد أموراً منكرة (٤١٠) ، فحصبه ، وخلعه ، وأراد أن يقيم الخلق للفتنة ، فجعله معاوية ممن سعى فى الأرض فساداً .

وقد كلمته عائشة فى أمره حين حج ، فقال لها : دعينى وحجراً حتى نلتقى عند الله . وأنتم معشر المسلمين أولى أن تدعوهما حتى يقفا بين يدى الله مع صاحبهما العدل الأمين المصـــطفى المكين ، وأنتـــم (٤١١) ودخـــولكم حيث لا تشعرون ، فما لكم لا تسمعون (٤١٢) ؟

فإن قيل : قد دس على الحسن من سمه .

---

(٤٠٩) المؤلف أقام فى بغداد زمن الدولة العباسية كما ذكرنا فى ترجمته ، فهو يعرف مساجدها معرفة مشاهدة وعيان . ومعاوية خال المؤمنين لأنه اخو أم المؤمنين رملة بنت أبى سفيان المشتهرة بكنيتها (أم حبيبة) . [خ]

(٤١٠) كان زياد فى خلافة على والياً من ولاته ، وكان حجر بن عدى من أولياء زياد وأنصاره . ولم يكن ينكر عليه شيئاً . فلما صار من ولاة معـــاوية صار ينكر عليه مدفوعاً بعاطفة التحزب والتشيع . وكان حجر يفعل مثل ذلك مع من تولى الكوفة لمعاوية قبل زياد ، فلمعاوية عذر اذا رأى أن حجراً ممن سعى فى الأرض فساداً . [خ]

(٤١١) **كذا فى جميع النسخ واقترح الشيخ ابن باديس أن يكون : وما أنتم . [س]**

(٤١٢) ومن الانتقادات التى يوجهونها الى معاوية رضى الله عنه لعن على رضى الله عنه على المنابر .

قال المؤرخ عبد الوهاب النجار فى كتابه « الخلفاء الراشدون » ص ٤٣٨ ولم يذكر المصدر وذلك بعدما علم علىٌ نتيجة التحكيم :

« .. فكان اذا صلى صلاة الصبح يقنت فيقول : اللهم العن معـــاوية وعمراً » .

وبازاء هذا القنوت أقول : ان علياً رحمه الله قد سن لخصومه أن يقابلوه بمثل عمله ، ويتخذوا من لعنه نوعاً من العبادة فى أعقاب الصلوات ، فـــكان معاوية اذا خطب سب علياً ... وصار ذلك سنة فى بنى أمية إلى زمن عمـــر ابن عبد العزيز .

والعهدة فى هذا الخبر على الراوى الذى لا علم لنا بمبلغ صحته ، ولا نظنه يصح والله أعلم . [م]

قلنا : هذا محال من وجهين : أحدهما أنه ما كان ليتقى من الحسن بأساً وقد سلم الأمر . الثانى أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله فكيف تحملونه ــ بغير بينة ــ على أحد من خلقه فى زمان متباعد لم نثق فيه بنقل ناقل ، بين أيدى قوم ذوى أهواء ، وفى حال فتنة وعصبية ، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغى ، فلا يقبل منها إلا الصافى ، ولا يسمع فيها إلا من العدل الصميم (٤١٣) .

فإن قيل : فقد عهد إلى يزيد وليس بأهل (٤١٤) ، (٤١٥) . وجرى بينه

---

(٤١٣) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ٢٢٥) فيما تزعمه الشيعة من أن معاوية سم الحسن : « لم يثبت ذلك ببينة شرعية ، ولا أقرار معتبر ، ولا نقل يجزم به . وهذا مما لا يمكن العلم به ، فالقول به قول بلا علم » . قال : « وقد رأينا فى زماننا من يقال عنه سم ومات مسموماً من الأتراك وغيرهم . ويختلف الناس فى ذلك حتى فى نفس الموضع الذى مات فيه والقلعة التى مات فيها ، فتجد كلا منهم يحدث بالشىء بخلاف ما يحدث به الآخر » . وبعد أن ذكر ابن تيمية أن الحسن مات يحدث بالشىء بخلاف ما يحدث به الآخر » . وبعد أن ذكر ابن تيمية أن الحسن مات بالمدينة وأن معاوية كان بالشام ، ذكر للخبر احتمالات ــ على فرض صحته ــ منها أن الحسن كان مطلاقاً لا يدوم مع امرأة ... الخ . [خ]

(٤١٤) ان كان مقياس الأهلية لذلك أن يبلغ مبلغ أبى بكر وعمر فى مجموع سجاياهما ، فهذا ما لم يبلغه فى تاريخ الاسلام ، ولا عمر بن عبد العزيز . وان طمعنا بالمستحيل وقدرنا امكان ظهور أبى بكر آخر وعمر آخر فلن تتاح له بيئة كالبيئة التى أتاحها الله لأبى بكر وعمر . وان كان مقياس الأهلية الإستقامة فى السيرة ، والقيام بحرمة الشريعة ، والعمل بأحكامها ، والعدل فى الناس ، والنظر فى مصالحهم ، والجهاد فى عدوهم ، وتوسيع الآفاق لدعوتهم ، والرفق بأفرادهم وجماعاتهم ، فان يزيد يوم تمحص أخباره ، ويقف الناس على حقيقة حاله كما كان فى حياته ، يتبين من ذلك انه لم يكن دون كثيرين ممن تغنى التاريخ بمحامدهم ، وأجزل الثناء عليهم . [خ]

(٤١٥) تصدى فى العصر الحديث للدفاع عن يزيد استاذ فى جامعة القاهرة هو الدكتور ابراهيم العدوى خريج جامعة ليفربول ، فيقول فى كتابه : (الأمويون والبنزنطيون) : (البحر المتوسط بحيرة اسلامية) ناقضاً بذلك الشائعات الكاذبة المتواترة التى سممت وتسمم العقول البريئة .

« وبذل معاوية جهوداً عظيمة لاعداد القوات الاسلامية التى رغب فى ارسالها (الى القسطنطينية) فجعل على راس هذه الحملة ابنه وولى عهده يزيد » .

=

وبين عبد الله ابن عمر وابن الزبير والحسين ما نصه عن وهب (٤١٦) بن جرير ابن حازم عن أبيه وعن غيره : لما أجمع معاوية أن يبايع لابنه يزيد حج ، فقدم مكة فى نحو ألف رجل . فلما دنا من المدينــة خــرج ابن عمــر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر . فلما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه . ثم ذكر ابنه يزيد فقال : من أحق بهذا الأمر منه (٤١٧) . ثم ارتحل،

=

واستهدف معاوية من وراء ذلك اعطاء ابنه فرصة يعلى فيها من ذكــره واسمه فى ميدان الجهاد ضد البيزنطيين ، وليرد بذلك على الأشخاص الذين أبدوا امتعاضهم من يزيد والمحاولات التى بذلها أبوه لأخذ البيعة له بالخلافة من بعده ، اذ صورت الدعايات المعادية لبنى أمية شخصية يزيد بحبها للمجون والخلاعة ، وعدم أهليتها لتصريف شؤون المسلمين .

ومن ثم كان ميدان القسطنطينية خير مجال يدحض فيه يزيد افتراءات منافسيه وأعدائه ويعلن عن مواهبه الحربية وما اتصف به من شجاعة واقدام .

وعلى ضفاف البوسفور انضم يزيد الى القوات ، وعبر مياه هذا المضيق الى الشاطىء الأوربى وحقق لجنده سبقهم على اقرانهم من جند الاســـلام فى مشاهدة القسطنطينية ، والوقوف أمامها ، يدقونها بآلاتهم الحربية ويعملون على تخريبها أو احداث ثغرات فيها .

واظهر يزيد فى هذا الحصار من ضروب الشجاعة والبسالة ما اكســبه لقب : (فتى العرب) ودونت المراجع سيرته وأعماله فى هذا النضال .

واشاد الدكتور ابراهيم بمعاوية رضى الله عنه فقال :

باستيلاء المسلمين على الشام ومصر ، فتحت صفحة جديدة فى تاريخ البحر المتوسط دون سطورها الأولى معاوية بن ابى سفيان بمداد الجهاد وملأ بأخبار عظمة الأول فى رسم سياسة المسلمين ازاء البحر المتوسط منذ زمن مبكر ، وحل المشكلة البحرية التى اعترضتهم . [م]

(٤١٦) وكتبها الشيخ محب الخطيب [ما قصه (المؤرخون) عن وهب] !! . [س]

(٤١٧) شباب قريش المعاصرون ليزيد ــ ممن يحدثون أنفسهم بولاية الأمر لبعض الاعتبارات التى يعرفونها لأنفسهم ــ كثيرون جداً ، حتى سعيد بن عثمان ابن عفان ومن هم دون سعيد كانوا يطمعون بولاية الأمر بعد معاوية . ومبــدأ الشورى فى انتخاب الخليفة أفضل بكثير من مبدأ ولاية العهد . لكن معــاوية كان يعلم بينه وبين نفسه أن فتح باب الشورى فى انتخاب من يخلفه سيحدث فى الأمة الاسلامية مجزرة لا ترقأ فيها الدماء الا بفناء كل ذى أهلية فى قريش لولاية شىء من أمور هذه الأمة . ومعاوية أحصف من أن يخفى عليه أن المزايا موزعة بين هؤلاء الشباب القرشيين ، فاذا امتاز احدهم بشىء منها على أضرابه ولداته ، فان فيهم من يمتاز عليه بشىء آخر منها . غير أن يزيد ــ مع مشاركته

=

فقدم مكة فقضى طوافه ، ودخل منزله ، فبعث إلى ابن عمر ، فتشهد وقال : أما بعد يا ابن عمر ، فقد كنت تحدثنى انك لا تحب أن تبيت ليلة سوداء ليس عليك أمير . وإنى أحذرك أن تشق عصا المسلمين ، وأن تسعى فى فساد ذات بينهم) . فلما سكت تكلم ابن عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فانه قد كانت قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير منهم ، فلم يروا فى أبنائهم ما رأيت فى ابنك ، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار . وإنك تحذرنى أن أشق عصا المسلمين ، ولم أكن لأفعل ، وإنما أنا رجل من المسلمين ، فإذا اجتمعوا على أمر فإنما أنا واحد منهم » فخرج ابن عمر (٤١٨) .

وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبى بكر ، فتشهد ثم أخذ فى الكلام ،

=

لبعضهم فى بعض ما يمتازون به ـ يمتاز عليهم بأعظم ما تحتاج اليه الدولة ، أعنى القوة العسكرية التى تؤيده فى تولى الخلافة ، فتكون قوة للاسلام . كما تؤيده اذا اوقع الشيطان الفتنة على هذا الكرسى بين المتزاحمين عليه ، فيكون ما لا يحب كل مسلم أن يكون . ولو لم يكن ليزيد الا أخواله من قضاعة وأحلافهم من قبائل اليمن ، لكان منهم ما لا يجوز لبعيد النظر أن يسقطه من قائمة الحساب عندما يفكر فى هذه الأمور . أضف الى هذا ما قرره ابن خلدون عند كلامه على مسير الحسين الى العراق للخروج على يزيد حيث قال فى فصل « ولاية العهد » من مقدمة تاريخه : « وأما الشوكة ، فغلط يرحمه الله فيها ، لأن عصبية مضر كانت فى قريش ، وعصبية قريش فى عبد مناف ، وعصبية عبد مناف انما كانت فى بنى أمية ، تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه ، وانما نسى ذلك اول الاسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وأمر الوحى ... حتى اذا انقطع أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشىء للعوائد ، فعادت العصبية كما كانت ولمن كانت ، وأصبحت مضر اطوع لبنى أمية من سواهم (*) » . [خ]

(٤١٨) هذا الخبر معارض بما فى كتاب المغازى من صحيح البخارى (ك ٦٤ ب ٢٩ ج ٥ ص ٤٨) عن ابن عمر أن اخته إم المؤمنين حفصة نصحت له بأن يسرع بالذهاب للبيعة وقالت : « إلحق ، فانهم ينتظرونك ، وأخشى ان يكون فى احتباسك عنهم فرقة » . [خ]

وانظر ص ١٦٦ .

(*) ان هذه الحجة لابن خلدون متهافتة ، فان الاسلام فى عهد معاوية كان قوياً عزيزاً . ويظهر بطلانها استلام العباسيين الهاشميين للحكم أكثر من خمسة قرون ، بينما لم يستطع الأمويون الاحتفاظ به قرناً واحداً !! [م]

فقطع عليه كلامه ، فقال : « إنك والله لوددت أنا وكلناك فى أمر ابنك إلى الله . وإنا والله لا نفعل . والله لتردن هذا الأمر شورى فى المسلمين أو لتفرنها عليك جذعة (٤١٩) » ثم وثب فقام . فقال معاوية : « اللهــم اكفينيــه (٤٢٠) بما شئت » . ثم قال : « على رسلك أيها الرجل ، لا تشرفن لأهل الشــام ، فإنى أخاف أن يسبقونى بنفسك ، حتى أخبر العشية أنك قد بايعت ، ثم كن بعد ذلك على ما بدا لك من أمرك » .

ثم أرسل إلى ابن الزبير فقال : « يا ابن الزبير ، إنما أنت ثعلب رواغ كلما خرج من جحر دخل فى آخر ، وإنك عمدت إلى هذين الرجلين فنفخت فى مناخرهما » . فقال ابن الزبير : « إن كنت قد مللت الامارة فاعتزلهــا ، وهلم ابنك فلنبايعه . أرأيت إذا [بايعت] ابنك معك لأيكما نسمع ، لأيكما نطيع ؟ لا تجتمع البيعة لكما أبداً (٤٢١) » ثم قام .

فخرج معاوية فصعد المنبر فقال : إنا وجدنا أحاديث الناس ذوات عوار . زعموا أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبى بكر لم يبايعوا يزيد ، قد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له .

فقال أهل الشام : لا والله ، لا نرضى حتى يبايعوا على رؤوس الأشهاد ، وإلا ضربنا أعناقهم .

فقال : سبحان الله ، ما أسرع الناس إلى قريش بالشر لا أسمع هذه المقالة من أحد بعد اليوم ، ثم نزل .

فقال الناس : بايعوا . ويقولون هم : لم نبايع . ويقول الناس : قد بايعتم .

وروى وهب من طريق أخرى قال : خطب معاوية فذكر ابن عمر فقال : « والله ليبايعن أو لأقتلنه » . فخرج عبد الله بن عبد الله بن عمر إلى أبيــه

---

(٤١٩) أى لتنكشفن عليك الفتنة فى اشد حالاتها ، ويلاحظ أن الذين انتحلوا هذه الأقوال فى الاستطالة على معاوية لم يطعنوا فى كفاءة يزيد وأهليته لأنها آخر ما يرتابون فيه .

(٤٢٠) ب ، ج ، د : اكفنه . [س]

(٤٢١) ابن الزبير أذكى من أن يفوته أن البيعة ليزيد بعد معاوية ، وليست لهما معاً فى حياة معاوية . والذين اخترعوا هذه الأخبار وأضافوها الى وهب ابن جرير بن حازم يكذبون كذباً مفضوحاً .

وسار إلى مكة ثلاثاً وأخبره (٤٢٢) ، فبكى ابن عمر ، فبلغ الخبر إلى عبد الله ابن صفوان ؛ فدخل على ابن عمر فقال : أخطب هذا بكذا ؟ قال : نعم . قال : فما تريد ، أتريد قتاله ؟ قال : يا ابن صفوان ، الصبر خير من ذلك . فقال ابن صفوان : والله [لئن] أراد ذلك لأقاتلنه (٤٢٣) . فقدم معاوية مكة فنزل ذا طوى ، وخرج إليه عبد الله بن صفوان فقال : أنت تزعم أنك تقتل ابن عمر إن لم يبايع لابنك ؟ قال : أنا أقتل ابن عمر ؟ إنى والله لا أقتله .

وروى وهب من طريق ثالث (٤٢٤) قال : إن معاوية لما راح عن بطن مرٍّ قاصدا إلى مكة قال لصاحب حرسه : لا تدع أحداً يسير معى إلا من حملته . فخرج يسير وحده ، حتى إذا كان وسط الأراك لقيه الحسين بن على ، فوقف وقال : مرحباً وأهلا بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد شباب المسلمين . دابة لأبى عبد الله يركبها . فأتى ببرذون ، فتحول عليه . ثم طلع عبد الرحمن بن أبى بكر (٤٢٥) ، فقال مرحباً بابن شيخ قريش وسيدهم

(٤٢٢) هذا الخبر عن وهب بن جرير بن حازم يشعر بأن معاوية خطب هذه الخطبة وهو فى المدينة قادماً اليها من دمشق قبل أن يصل الى مكة ، وأن ابن عمر كان يومئذ فى مكة فركب اليه ابنه حتى لقيه بمكة وأخبره بهذه الخطبة . وفى الخبر الذى قبل هذا ــ وهو مروى عن وهب بن جرير بن حازم أيضاً ــ التصريح بأن ابن عمر كان بالمدينة عند وصول معاوية اليها من دمشق ، وأنه كان مع الأعيان الذين خرجوا لاستقباله . فالخبران متناقضان يكذب أحدهما الآخر مع أنهما عن راوٍ واحد . ولا أدرى من أين جاء بهما المؤلف ، ولم ينقلهما الطبرى مع أنه يعتنى بأخبار وهب بن جرير لأنه ثقة ، ووهب مات سنة ٢٠٦ وأبوه مات سنة ١٧٠ بعد أن اختلط ، فبينهما وبين هذه الحوادث رواة آخرون ، وبينهما وبين الطبرى وغيره من المؤرخين رواة كثيرون . واعتقد ان هذه الأخبار غير صحيحة لتناقضها ، ولو عرفنا رواتها الى وهب وبعد وهب لعرفنا من أين جاء الكذب . [خ]

(٤٢٣) عبد الله بن صفوان حفيد أمية بن خلف الجمحى . قتل مع ابن الزبير سنة ٧٣ .

(٤٢٤) وهذا الخبر أيضاً ليس عند الطبرى ، واظنه مصنوعاً فى المصنع الذى خرج منه الخبران السابقان .

(٤٢٥) نحن نعلم من الخبر الأول عن وهب نفسه أن عبد الرحمن ابن أبى بكر كان فى المدينة ، وكان فى الذين استقبلوا معاوية عند وصوله اليها من دمشق ، فما الذى طار به الى مكة حتى صار فى مستقبلى معاوية عند وصوله اليها ؟ حقاً ان الذين يكذبون على معاوية أغبياء لا يجيدون ولا صناعة الكذب .

وابن صدِّيق هذه الأمة . دابة لأبى محمد يركبها . فأتى ببرذون فركبه . ثم طلع ابن عمر فقال : مرحباً وأهلا بصاحب رسول الله وابن الفاروق وسيد المسلمين ، ودعا له بدابة فركبها . ثم طلع ابن الزبير فقال : مرحباً وأهلا بابن حوارى رسول الله وابن الصديق وابن عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ودعا له بدابة فركبها . ثم أقبل يسير بينهم لا يسايره غيرهم حتى دخل مكة ، ثم كانوا أول داخل وآخر خارج ليس فى الأرض صباح إلا لهم فيه حباء وكرامة ، ولا يعرض لهم بذكر شيء مما هو فيه حتى قضى نسكه وترحلت أثقاله وقرب مسيره إلى الشام وأنيخت رواحله ، فأقبل بعض القوم على بعض فقالوا :أيها القوم لا تخدعوا ، إنه والله ما صنع هـذا لحبكم ولا لكرامتكم ولا صنعه إلا لما يريد ، فأعدوا له جواباً . وأقبلوا على الحسين فقالوا : أنت يا أبا عبد الله . قال : وفيكم شيخ قريش وسيدها ؟ [وهو] أحق بالكلام . فقالوا : أنت يا أبا محمد ــ لعبد الرحمن بن أبى بكر ــ فقال : لست هناك ، وفيكم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن سيد المسلمين ــ يعنى ابن على ــ فقالوا لابن عمر : أنت ! فقال : لست بصاحبكم ، ولكن ولوا (٤٢٦) الكلام ابن الزبير يكفكم . فالوا : أنت يا ابن الزبير . قال : نعم ، إن أعطيتمونى عهودكم ومواثيقكم أن لا تخالفونى كفيتكم الرجل . فقالوا فلك ذلك . فخرج الاذن ، فأذن لهم . فدخلوا .

فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لقد علمتم سيرتى فيكم ، وصلتى لأرحامكم ، وصفحى عنكم ، وحملى لما يكون منكم ، ويزيد ابن أمير المؤمنين أخوكم وابن عمكم وأحسن الناس لكم رأياً . وإنما أردت أن تقدِّموه باسم الخلافة وتكونوا أنتم الذين تنزعون وتؤمرون وتجبـون وتقسمون لا يدخل عليكم فى شيء من ذلك .

فسكت القوم . فقال : ألا تجيبونى ؟ فسكت القوم . فقال : ألا تجيبونى. فسكتوا . فأقبل على ابن الزبير فقـال : هات يا ابن الزبير ، فانك لعمرى صاحب خطبة القوم . فقال : نعم يا أمير المؤمنين أخيرك بين ثلاث خصـال أيها أخذت فهى لك رغبة . قال : لله أبوك ، اعرضهن . قال : إن شئت صنعت

---

(٤٢٦) وكتبها الشيخ محب الخطيب : أولوا . [س]

ما صنع رسول الله صلى‌الله‌عليه وآله وسلم ، وإن شئت صنعت ما صنع أبو بكر فهو خير هذه الأمة بعد رسول الله صلى ا لله‌عليه وآله وسلم ، وإن شئت صنعت ما صنع عمر فهو خير هذه الأمة بعد أبي بكر .قال : لله أبوك ، ما صنعوا ؟ قال : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يستخلف أحداً ، فارتضى المسلمون أبا بكر . فإن شئت أن تدع أمر هذه الأمة حتى يقضى الله فيه قضاءه فيختار المسلمون لأنفسهم . فقال : إليه ، ليس فيكم اليوم مثل أبي بكر ، وإني لا آمن عليكم الاختلاف . قال : فاصنع كما صنع أبو بكر ، عهد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بني أبيه فاستخلفه . قال : لله أبوك . الثالثة ؟ قال : تصنع ما صنع عمر ، جعل الأمر شورى فى ستة نفر من قريش ليس أحد منهم من ولد أبيه . قال : [هل] عندك غير هذا ؟ قال : لا.قال : فأنتم ؟ قالوا : ونحن أيضاً . قال : أما لا ، فإني أحببت أن أتقدم إليكم ، إنه قد أعذر من أنذر ، وإنه قد كان يقوم القائم منكم الى فيكذبني على رؤوس الناس فأحتمل له ذلك . وإني قائم بمقالة ، فإن صدقت فلي صدقي وإن كذبت فعلي كذبي . وإني أقسم بالله لكم لئن رد على إنسان منكم لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق إلى رأسه . ثم دعا بصاحب حرسه فقال : أقم على كل رجل من هؤلاء رجلين من حرسك ، فإن ذهب رجل يرد على كلمة بصدق أو كذب فليضرباه بسيفيهما (٤٢٧) .

ثم خرج وخرجوا معه ، حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا يستبد بأمر دونهم ، ولا يقضى أمراً إلا عن مشورتهم . وانهم قد ارتضوا وبايعوا ليزيد ابن أمير المؤمنين من بعده ، فبايعوا باسم الله . فضربوا على يده ، ثم جلس على راحلته وانصرف .

فلقيهم الناس فقالوا : زعمتم وزعمتم ، فلما أرضيتم وحبيتم فعلتم . قالوا : إنا والله ما فعلنا . قال : فما منكم أن تردوا على الرجل إذ كذب ؟ ثم بايع أهل المدينة والناس : ثم خرج إلى الشام .

---

(٤٢٧) أورد المؤلف هذه الأخبار المفضوح كذبها ليعارضها فى الصفحات التالية ان شاء الله بحديث البخارى عن الموقف السليم لابن عمر فى هذا الحادث حتى يعلم الناس أن الحق فى واد وهؤلاء الرواة الكاذبين فى واد غيره .

قال القاضي أبو بكر (رضي الله عنه) : لسنا ننكر ، ولا [تبلغ] بنا الجهالة ، ولا لنا فى الحق حمية جاهلية ، ولا ننطوى على غل لأحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، بل نقول « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم » إلا أنا نقول : إن معاوية ترك الأفضل فى أن يجعلها شورى ، وألا يخص بها أحداً من قرابته فكيف ولداً (٤٢٨) ، وان يقتدى بما أشار به عبد الله بن الزبير فى الترك أو الفعل (٤٢٩) ،فعدل إلى ولاية ابنه وعقد له

---

(٤٢٨) قال الامام ابن خلدون :

... والذى دعا معاوية رضى الله تعالى عنه لايثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه انما هو مراعاة المصلحة فى اجتماع واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بنى أمية ، اذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم ، وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم . فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها .

وعدل عن الفاضل الى المفضول حرصاً على الاتفاق واجتماع الأهواء الذى شأنه أهم عند الشارع ، وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا لعدالته . وصحبته مانعة من سوى ذلك وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه ، فليسوا مما يأخذهم فى الحق هوادة .

وليس معاوية ممن تأخذه العزة فى قبول الحق ، فانهم كلهم اجل من ذلك . وعدالتهم مانعة منه .

ثم قال : ابن خلدون بعد كلام طويل :

أفلا ترى الى المأمون لما عهد الى على بن موسى بن جعفر الصادق ، وسماه الرضا ، كيف انكرت العباسية ذلك ، ونقضوا بيعته وبايعوا عمه ابراهيم ابن المهدى ، وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدد الثوار والخوارج ما كاد يصطلم الأمر حتى بادر المأمون من خراسان الى بغداد ورد أمرهم لمعاهدة .. (المقدمة : مبحث ولاية العهد باختصار) . [م]

(٤٢٩) كان معاوية أعرف بابن الزبير من ابن الزبير بنفسه ، روى البلاذرى فى أنساب الأشراف (٤ « ٢ » : ٥٣ – ٥٤) عن المدائنى عن مسلمة بن علقمة عن خالد عن أبى قلابة أن معاوية قال لابن الزبير : « ان الشح والحرص لن يدعاك حتى يدخلاك مدخلا ضيقاً ، فوددت انى حينئذ عندك فأستنقذك » . فلما حضر ابن الزبير قال : « هذا ما قال لى معاوية ، وددت انه كان حياً » .[خ]

البيعة وبايعه الناس ، وتخلف عنها من تخلف [٤٣٠] ، فانعقدت البيعة شرعا ، لأنها تنعقد بواحد وقيل باثنين .

فإن قيل : لمن فيه شروط الامامة . قلنا : ليس السن [فى] شروطها ، ولم يثبت أنه يقصر يزيد عنها .

(فإن) قيل : كان منها العدالة والعلم ، ولم يكن يزيد عدلا ولا عالما . قلنا : وبأى شيء نعلم عدم علمه أو عدم عدالته [٤٣١] ؟ ولو كان مسلوبهما لذكر ذلك الثلاثة الفضلاء الذين أشاروا عليه [بأن] لا يفعل ، وإنما رموا إلى الأمر بعيب التحكم ، وأرادوا أن تكون شورى .

فإن قيل : كان هنالك من هو أحق منه عدالة وعلماً ، منهم مائة وربما ألف . قلنا : إمامة المفضول ــ كما قدمنا ــ مسألة خلاف بين العلماء ، [على] ذكر العلماء فى موضعه .

وقد حسم البخارى الباب ، ونهج جادة الصواب ، فروى فى صحيحه ما يبطل جميع هذا المتقدم ، وهو أن معاوية خطب وابن عمر حاضر فى خطبته ، فيما رواه البخارى عن عكرمة بن خالد أن ابن عمر قال : دخلت على حفصة ونوساتها تنطف [٤٣٤] . قلت : قد كان من الأمر ما ترين ، فلم يجعل

---

(٤٣٠) عدل عن الوجه الأفضل لما كان يتوجس من الفتن والمجازر اذا جعلها شورى ، وقد رأى القوة والطاعة والنظام والاستقرار فى الجانب الذى فيه ابنه . [خ]

(٤٣١) أما عن العدالة فقد شهد له محمد بن على بن أبى طالب فى مناقشته لابن مطيع عند قيام الثورة على يزيد فى المدينة فقال عن يزيد : « ما رأيت منه ما تذكرون . وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظباً على الصلاة ، متحرياً للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازماً للسنة » (ابن كثير ٨ : ٢٣٣) . وأما عن العلم فما يلزم منه لمثله فى مثل مركزه كان فيه موضع الرضا وفوق الرضا . روى المدائنى أن ابن عباس وفد الى معاوية بعد وفاة الحسن بن على ، فدخل يزيد على ابن عباس وجلس منه مجلس المعزى ، فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس : اذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس (ابن كثير ٨ : ٢٢٨) . [خ]

(٤٣٤) اى وذوائبها تقطر ماء ، سمى الذوائب « نوسات » لأنها تنوس ، اى تتحرك . [خ]

لي من الأمر شيء . فقالت : « الحق ، فإنهم ينتظرونك ، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة » . فلم تدعه حتى ذهب . فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال : من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه ، فلنحن أحق به منه ومن أبيه . قال حبيب بن مسلمة (٤٣٥) : فهلا أجبته ؟ قال عبد الله : فحللت حبوتي ، وهممت أن أقول : أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام ، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم وتحمل عني غير ذلك ، فذكرت ما أعد الله في الجنان . فقال حبيب : حفظت وعصمت .

وروى البخاري (٤٣٦) أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده وقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة » وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله (٤٣٧) ، وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن نبايع رجلا على

(٤٣٥) حبيب بن مسلمة الفهري مكي كان عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم صبياً ، ثم التحق بالشام للجهاد ، فاشتهرت بطولته ، ويعد فاتح أرمينية ، ويقال انه كان قائد النجدة التي خرجت من الشام لانقاذ عثمان من أيدي البغاة عليه ، فجاءها الخبر بشهادته وهي في الطريق فعادت . [خ]

(٤٣٦) في كتاب الفتن من صحيحه (ك ٩٢ ب ٢١ ج ٨ ص ٩٩) [خ]

(٤٣٧) وهذا الخبر المنير الذي يرويه البخاري في صحيحه يفضح الذين زوروا على وهب بن جرير تلك الأخبار المتناقضة بأن ابن عمر وغيره لم يبايعوا ليزيد ، وأن معاوية أقام على رؤوسهم من يقطعها اذا كذبوه فيما افتراه عليهم من أنهم بايعوا لابنه . فتبين الآن انه لم يفتر عليهم ، وهذا ابن عمر يعلن في احرج المواقف — اي في ثورة اهل المدينة على يزيد بتحريض ابن الزبير وداعيته ابن مطيع — أن في عنقه كما في أعناقهم بيعة شرعية لامامهم على بيع الله ورسوله ، وأن من أعظم الغدر أن تبايع الأمة امامها ثم تنصب له القتال . ولم يكتف ابن عمر بذلك في تلك الثورة على يزيد بل روى مسلم في كتاب الامارة من صحيحه (ك ٣٣ ح ٥٨ ج ٦ ص ٢٢) أن ابن عمر جاء الى ابن مطيع داعية ابن الزبير ومثير هذه الثورة فقال ابن مطيع : اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة . فقال ابن عمر : اني لم آتك لأجلس ، أتيتك لأحدثك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من خلع يداً من طاعة ، لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » (*) وكان

(*) رواه مسلم رحمه الله .

بيع الله ورسوله ثم تنصب له القتال . وإنى لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع فى هذا الأمر إلا كنت الفيصل بينى وبينه .

فانظروا معشر المسلمين إلى ما روى البخارى فى الصحيح ، وإلى ما سبق ذكرنا له [من] رواية بعضهم أن عبد الله بن عمر لم يبايع ، وأن معاوية كذب وقال قد بايع ، وتقدم إلى حرسه يأمره بضرب عنقه إن كذبه . وهو قد قال فى رواية البخارى : « قد بايعناه على بيع الله ورسوله » وما بينهما من التعارض ، وخذوا لأنفسكم بالأرجح فى طلب السلامة ، والخلاص بين الصحابة والتابعين . فلا تكونوا ولم تشاهدوهم — وقد عصمكم الله من فتنتهم — ممن دخل بلسانه فى دمائهم ، فيلغ فيها ولوغ الكلب بقية الدم على الأرض بعد رفع الفريسة بلحمها ، ولم يلحق الكلب منها إلا بقية دم سقط على الأرض .

وروى الثبت العدل عن عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن محمد ابن المنكدر قال : قال ابن عمر حين بويع يزيد « إن كان خيراً رضينا ، وإن كان شراً صبرنا » .

وثبت عن حميد بن عبد الرحمن قال : دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين استخلف يزيد بن معاوية فقال : تقولون ان يزيد ابن معاوية ليس بخير أمة محمد ، لا أفقهها [فيها] فقهاً ، ولا أعظمها فيها شرفاً . وأنا أقول ذلك . ولكن والله لأن تجتمع أمة محمد أحب إلى من أن تفترق . أرأيتم باباً دخل فيه أمة محمد ووسعهم ، أكان يعجز عن رجل واحد لو كان دخل فيه ؟ قلنا : لا . قال : أرأيتم لو أن أمة محمد قال كل رجل منهم لا أريق دم أخى ولا آخذ ماله ، أكان هذا يسعهم ؟ قلنا : نعم . قال : فذلك ما أقول لكم . ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يأتيك من الحياء إلا خير » (٤٣٨) .

لمحمد بن على بن ابى طالب (المعروف بابن الحنفية) مثل هذا الموقف من داعية الثورة ابن مطيع سيراه القارىء فى مكان آخر عند الكلام على سيرة يزيد . [خ]

(٤٣٨) اورده البخارى ومسلم بلفظ : « الحياء لا يأتى الا بخير » وفى رواية « الحياء خير كله » . [م]

فهذه الأخبار الصحاح كلها تعطيك أن ابن عمر كان مسلّماً فى [أمرة] يزيد ، وأنه بايع وعقد له والتزم ما التزم الناس ، ودخل فيما دخل فيه المسلمون ، وحرم على نفسه ومن إليه بعد ذلك أن يخرج على هذا أو ينقضه .

وظهر لك أن [قول] من قال : إن معاوية كذب فى قوله « بايع ابن عمر » ولم يبايع ، وأن ابن عمر وأصحابه سئلوا فقالوا « لم نبايع » فقد كذب . وقد صدق البخارى فى روايته قول معاوية على المنبر « ان ابن عمر قد بايع » بإقرار ابن عمر بذلك وتسليمه له وتماديه عليه .

فأى الفريقين أحق بالصدق إن كنتم تعلمون ؟ ألفريق الذى فيه البخارى ، أم الذى فيه غيره ؟ .

فخذوا لأنفسكم بالأحزم والأصح ، أو اسكتوا عن الكل ، والله يتولى توفيقكم وحفظكم .

و « الصاحب » الذى كنى عنه حميد بن عبد الرحمن هو ابن عمر ، والله أعلم . وإن كان غيره فقد أجمع رجلان عظيمان على هذه المقالة وهى تعضد ما أصلناه لكم من أن ولاية المفضول نافذة وإن كان هنالك من هو أفضل منه إذا عقدت له . ولما فى حلها — أو طلب الأفضل — من استباحة ما لا يباح ، وتشتيت الكلمة ، وتفريق أمر الأمة .

فإن قيل : كان يزيد خماراً . قلنا : لا يحل (٤٤٠) إلا بشاهدين ، فمن شهد بذلك عليه (٤٤١) ؟ بل شهد العدول بعدالته : فروى يحيى بن بكير عن الليث

---

(٤٤٠) وفى نسخة « حد » . [س]

(٤٤١) ان معاوية — مع شديد حبه ليزيد ، لألمعيته واكتمال مواهبه — آثر أن أن ينشأ بعيدا عنه فى أحضان الفطرة ، وخشونة البداوة وشهامتها ، ليستكمل الصفات اللائقة بالمهمة التى تنتظر امثاله ، فبعث به الى اخبية البادية عند أخواله من قضاعة ، ليكون على مذهب امة ميسون بنت بجدل يوم قالت :

لبيت تخفق الأرواح فيه   احب الى من عصر منيف

وفى ذلك الوسط امضى يزيد زمن صباه وصدر شبابه ، وما لبث أن انتقل أبوه الى رحمة الله حتى تولى المركز الذى اراده الله له . فلما خلا الجو لابن الزبير بموت معاوية صار دعاته يذيعون فى الحجاز الأكاذيب على يزيد =

ابن سعد ، قال الليث : « توفى أمير المؤمنين (*) يزيد فى تاريخ كذا » فسماه

=

وينسبون اليه ما لا يحل (*) لهم . نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٨ : ٢٣٣) أن عبد الله بن مطيع (داعية ابن الزبير) مشى فى المدينة هو وأصحابه الى محمد بن على بن ابى طالب (المعروف بابن الحنفية) فأرادوه على خلع يزيد ، فأبى عليهم ، فقال ابن مطيع : ان يزيد يشرب الخمر ، ويترك الصلاة ، ويتعدى حكم الكتاب . فقال لهم : ما رايت منه ما تذكرون ، وقد حضرته ، وأقمت عنده ، فرأيته مواظباً على الصلاة ، متحرياً للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازماً للسنة . قالوا : فان ذلك كان منه تصنعاً لك . فقال : وما الذى خاف منى أو رجا حتى يظهر الى الخشوع ؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر ؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك انكم لشركاؤه ، وان لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا . قالوا : انه عندنا لحق وان لم تكن رأيناه . فقال لهم : ابى الله ذلك على أهل الشهادة فقال : « الا من شهد بالحق وهم يعلمون » (الزخرف : ٨٦) ، ولست من أمركم فى شىء . قالوا : فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك ، فنحن نوليك أمرنا . قال : ما أستحل القتال على ما تريدوننى عليه تابعاً ولا متبوعاً . قالوا : فقد قاتلت مع أبيك . قال : جيئونى بمثل أبى أقاتل على مثل ما قاتل عليه . فقالوا : فمر ابنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا . قال : لو أمرتهما قاتلت . قالوا : فقم معنا مقاماً تحض الناس فيه على القتال . قال : سبحان الله ، آمر الناس بما لا أفعله ولا ارضاه ؟ اذن ما نصحت لله فى عباده . قالوا : اذن نكرهك . قال : اذن آمر الناس بتقوى الله، ولا يرضوا المخلوق بسخط الخالق (وخرج الى مكة) .

(*) ان الذين نسبوا ليزيد ما لا يحل هم — الرافضة للتوصل الى التشكيك بالقرآن من وراء الطعن بمعاوية ومن عم الخلفاء الذين ولوه وأقروه على الحكم ، وهم نقلة القرآن وحفظته .

(*) لقد كان يزيد غائباً عن الشام حينما مات أبوه فلما وصل دمشق جددت له البيعة ، ثم جمع الناس فى الجامع وخطب فيهم مما يدل على تقواه قائلا بعد حمد الله والثناء عليه :

أيها الناس ! ان معاوية كان عبداً من عبيد الله ، أنعم عليه ، ثم قبضه اليه ، وهو خير من بعده ودون من قبله !

ولا ازكيه على الله عز وجل ، فانه أعلم به . ان عفا عنه فبرحمته ، وان عاقبه فبذنبه . وقد وليت الأمر من بعده ، ولست آسي على طلب ، ولا أعتذر من تفريط . واذا أراد الله شيئاً كان .

ان معاوية كان يغزيكم البحر ، وإنى لسنت حاملا أحداً من المسلمين (لعل مراده الا باذنه واختياره بدليل العبارة التى بعد هذه العبارة) فى البحر .

=

الليث « أمير المؤمنين » بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم ، ولولا كونه عنده كذلك ما قال إلا « توفى يزيد » .

=

وان معاوية كان يشتيكم بأرض الروم ، ولست مشتياً أحداً بأرض الروم . وان معاوية كان يخرج لكم العطاء أثلاثاً ، وأنا أجمعه لكم كله .

قال الراوى فافترق الناس عنه وهم لا يفضلون عليه أحداً (البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٣) .

ومن خطب يزيد الدالة على حصافة عقله وحسن بصيرته وتقواه :

الحمد لله احمده واستعينه وأومن به وأتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له. واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله اصطفاه لوحيه واختاره لرسالته بكتاب فصّله وفضله وأعزه وأكرمه ، ونصره وحفظه ، ضرب فيه الأمثال وحلل فيه الحلال وحرم الحرام ، وشرع فيه الدين اعذاراً وانذاراً . لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل ، ويكون بلاغاً لقوم عابدين .

واصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذى ابتدأ الأمور بعلمه ، واليه يصير معادها ، وانقطاع موتها وتصرم دارها . واحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل واينعت بالفانى ، وتحببت بالعاجل . لا يدوم نعيمها ولا يؤمن فجيعها ، أكالة غوالة غرارة ، ولا تبقى على حال ، ولا يبقى لها حال ، لن تعد الدنيا اذا تناهت الى امنية أهل الرغبة فيها والرضا بها وأن تكون كما قال الله عز وجل : (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) الى قوله مقتدراً نسأل الله ربنا والهنا وخالقنا ومولانا أن يجعلنا واياكم من فزع يومئذ آمنين . ان أحسن الحديث وابلغ الموعظة كتاب الله . يقول الله : « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة (العقد الفريد ٢ / ٣٧٨) .

ومما روى عن معاوية انه لما مات الحسن رضى الله عنه وكان عبد الله ابن عباس رضى الله عنه فى دمشق ، أمر ابنه ان يذهب فيعزيه به فذهب وجلس بين يديه . وأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه فأبى وقال : انما اجلس مجلس المعزى لا المهنى ، ثم ذكر الحسن فقال : « رحم الله ابا محمد أوسع الرحمة وأفسحها ، وأعظم الله أجرك وأحسن عزاك وعوضك من مصابك ما هو خير لك ثواباً وخير عقبى فلم يسع ابن عباس بعد أن غادره يزيد الا ان قال لجلسائه :

اذا ذهب بنو حرب ، ذهب علماء الناس ثم أنشد :

مغاض عن العوراء لا ينطقونها   واصل وراثات الحلوم الأوائل

فإن قيل : ولو لم يكن ليزيد إلا قتله للحسين بن على . قلنا : يا أسفاً على المصائب مرة ، ويا أسفاً على مصيبة الحسين ألف مرة . بوله يجرى على صدر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ودمه يراق على البوغاء ولا يحقن(٤٤٢) يا لله ويا للمسلمين . وإن أمثل ما روى فيه أن يزيد كتب إلى الوليد بن عتبة ينعى له معاوية ويأمره أن يأخذ له البيعة على أهل المدينة ــ وقد كانت تقدمت فدعا مروان فأخبره فقال له : ارسل إلى الحسين بن على وابن الزبير ، فإن بايعوا وإلا فاضرب أعناقهم . قال : سبحان الله ، تقتل الحسين بن على وابن الزبير ؟ قال : [هو] ما أقول لك . فأرسل إليهما ، فأتاه ابن الزبير ، فنعى إليه معاوية وسأله البيعة ، فقال : ومثلى يبايع هنا ؟ ارق المنبر ، وأنا (أبايعك) (٤٤٣) مع الناس علانية . فوثب مروان وقال : اضرب عنقه ، فإنه صاحب فتنة وشر فقال (ابن الزبير) : فإنك لهنالك يا ابن الزرقاء ؟ واستبّا فقال الوليد : اخرجهما (٤٤٤) عنى ، وأرسل إلى الحسين ولم يكلمه بكلمة فى شيء ، وخرجا من عنده . وجعل الوليد عليهما الرصد . فلما دنا الصبح خرجا مسرعين إلى مكة فالتقيا بها . فقال له ابن الزبير : ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك ؟ فوالله لو أن لى مثلهم لذهبت إليهم . فهذا ما صح (٤٤٥) .

---

(٤٤٢) البوغاء : التراب الناعم . [ح]

(٤٤٣) كتبها الشيخ محب [وانا ابايع مع الناس] ولا مبرر لذلك . [س]

(٤٤٤) فى ب ، د ، ز : اخرجاهما . وكتب الشيخ محب اخرجا . [س]

(٤٤٥) اننا وان كنا نلوم ابن الزبير رضى الله عنه على ثورته ، وهو لا شك مجتهد لكننا نبرئه من خدعة الحسين بحضه على الخروج الى العراق ليخلو له الجو فى الحجاز . وقد روى الطبرى روايات أخرى تنفى هذه الخدعة عن هذا الصحابى . نذكر بعضها بايجاز :

ذكر الطبرى ان ابن الزبير قال للحسين حينما قال له من رغبه فى الخروج الى العراق :

اما الملك لو اقمت بالحجاز ثم اردت هذا الأمر ههنا ما خولف عليك ان شاء الله (ج ٤ ص ٢٨٨) وفى احداهما ان عبد الله بن مسلم والمذرى بن المشمعل سمعا ابن الزبير يسار الحسين بين الحجر والباب ، فيقول له : ان شئت ان تقيم اقمت فوليت هذا الأمر ، فآزرناك وساعدناك ونصحنا لك فبايعناك ... (٢٨٩) .

وقد روى ابن كثير رواية جاء فيها ان الحسين قال لابن الزبير اتتنى بيعة اربعين الفاً يحلفون بالطلاق والعتاق . فقال له اتخرج الى قوم قتلوا اباك واخرجوا اخاك ؟ ! البداية والنهاية ج ٨ ص ١٦١ . =

وذكر المؤرخون أن كتب أهل الكوفة وردت على الحسين (٤٤٦) ، وأنه

= ومما يؤيد براءة ابن الزبير من تغرير الحسين ليخلو له الجو فى الحجاز ما رواه الامام ابن كثير ان عبد الله بن مطيع ـ داعية ابن الزبير ـ لقيه فى مكة ، فقال له : (فداؤك أمي وأبى . امتعنا بك ولا تسر الى العراق ، ولئن قتلك هؤلاء يتخذونا عبيداً وخولا !) . البداية والنهاية ص ١٦١ ـ ١٦٣ . [م]

(٤٤٦) أول من كتب اليه من شيوخ شيعته ـ على ما رواه مؤرخهم لوط ابن يحيى ـ : سلمان بن صرد والمسيب بن نجبه ورفاعة بن شداد وحبيب ابن مظاهر ، وأرسلوا كتابهم مع عبد الله بن سبع الهمدانى وعبد الله بن وال ، فبلغا حسيناً بمكة فى عاشر رمضان سنة ٦٠ ، وبعد يومين سرحوا اليه قيس ابن مسهر الصيداوى وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبى وعمارة السلولى بثلاث وخمسين صحيفة ، وبعد يومين آخرين سرحوا اليه ابن هانىء السبيعى وسعيد بن عبد الله الحنفى (وفى الطبرى ٦ : ١٩٧ نصوص بعض رسائلهم وأسماء بعض أصحابها) وهى تدور على أنهم لا يجتمعون مع أميرهم النعمان بن بشير فى جمعة ، ويدعون الحسين اليهم حتى اذا أقبل طردوا أميرهم وألحقوه بالشام ، ويقولون فى بعضها : « أينعت الثمار ، فاذا شئت فاقدم على جند لك مجند » . فأرسل الحسين اليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب ليرى ان كانوا مستوثقين مجتمعين ليقدم هو عليهم بعد ذلك . وضل مسلم بن عقيل فى الطريق ومات من معه من العطش فكتب الى الحسين يستعفيه من هذه المهمة ، فأجابه : خشيت ألا يكون حملك على الاستعفاء الا الجبن . فمضى مسلم حتى بلغ الكوفة ، وأعطاه البيعة للحسين اثنا عشر ألفاً منهم ، وشعر أمير الكوفة النعمان بن بشير بحركاتهم فخطب فيهم ينهاهم عن الفتنة والفرقة ، وقال لهم : انى لا أقاتل الا من قاتلنى ، ولا آخذ بالظنة والتهمة ، فان أبديتم لى صفحتكم ونكثتم بيعتكم لأضربنكم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى . وعلم يزيد أن النعمان بن بشير حليم ناسك لا يصلح فى مقاومة مثل هذه الحركة ، فكتب الى عبيد الله بن زياد عامله على البصرة أنه قد ضم اليه الكوفة أيضا ، وأمره أن يأتى الكوفة وأن يطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى يثقفه فيوثقه فيقتله أو ينفيه . فاستخلف عبيد الله اخاه على البصرة وأقبل الى الكوفة فاتصل برؤسائها وقبض على أزمة الحال ، فما لبث مسلم ابن عقيل أن رأى مبايعيه الاثنى عشر ألفاً كالهباء ، ورأى نفسه وحيداً طريدا ، ثم قبض عليه وقتل . وكان الحسين قد جاءته قبل ذلك رسائل مسلم بن عقيل بأن اثنى عشر ألفاً بايعوه على الموت فخرج عقب موسم الحج بريد الكوفة ، ولم يشجعه على الخروج الا ابن الزبير (*) لأنه عرف أن أهل الحجاز لا يتابعونه

(*) هذه تهمة ذكرنا بطلانها فيما سبق ! ولو انها مذكورة فى تاريخ الطبرى . فان فى هذا التاريخ ما يناقضها ، وقد كنا ذكرنا طريقة الطبرى فى التأليف . والعبرة في التحقيق العلمي الحديثي ! .

أرسل مسلم بن عقيل — ابن عمه — إليهم ليأخذ عليهم البيعة وينظر هو في اتباعه ، فنهاه ابن عباس وأعلمه أنهم خذلوا أباه وأخاه ، وأشار عليه ابن الزبير بالخروج فخرج ، فلم يبلغ الكوفة إلا ومسلم بن عقيل قد قتل وأسلمه من كان استدعاه . ويكفيك بهذا عظة لمن اتعظ . فتمادى واستمر غضباً للدين وقياماً بالحق . ولكنه — رضى الله عنه — لم يقبل نصيحة أعلم أهل

مادام الحسين معهم فصار الحسين أثقل خلق الله على ابن الزبير (الطبرى ٦: ١٩٦ — ١٩٧ وانظر ٦ : ٢١٦ و ٢١٧) . وأما المشفقون على الحسين من هذا الخروج المشئوم فهم جميع أحبائه وذوى قرابته والناصحين له والمتحرين سنة الاسلام فى مثل هذا الموقف ، كل هؤلاء نهوه عن مسيره وحذروه من عواقبه ، وفى طلعتهم أخوه محمد بن الحنفية (الطبرى ٦ : ١٩٠ — ١٩١) وابن عم أبيه حبر الأمة عبد الله بن العباس (الطبرى ٦ : ٢١٦ — ٢١٧) وابن عمه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب (٢ : ٢١٩) ، وقد بلغ الأمر بعبد الله ابن جعفر أن حمل والى يزيد على مكة وهو عمرو بن سعيد بن العاص على أن يكتب للحسين كتاب الأمان ويمنيه فيه البر والصلة ويسأله الرجوع ، فأجابه والى مكة الى كل ما طلب وقال له اكتب ما تشاء وأنا أختم على الكتاب ، فكتبه وختمه الوالى ، وبعث به الى الحسين مع أخيه يحيى بن سعيد بن العاص ، وذهب عبد الله ابن جعفر مع يحيى ، وجهدا بالحسين أن يثنياه عن السفر فأبى (وصورة كتاب الوالى فى تاريخ الطبرى ٦ : ٢١٩ — ٢٢٠) ، وليس فوق هؤلاء الناصحين احد فى عقلهم وعلمهم ومكانتهم واخلاصهم ، بل ان عبد الله ابن مطيع داعية ابن الزبير كان من ناصحيه (**) بعقل واخلاص (الطبرى ٦ : ١٩٦) وعمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى كان على هذا الرأى (الطبرى ٦ : ٢١٥ — ٢١٦) والحارث بن خالد بن العاص بن هشام لم يأله نصحاً (٦ : ٢١٦) وحتى الفرزدق الشاعر قال له : قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية (الطبرى ٦ : ٢١٨) فلم يفد شىء من هذه الجهود فى تحويل الحسين عن هذا السفر الذى كان مشئوماً عليه ، وعلى الاسلام ، وعلى الأمة الاسلامية الى هذا اليوم والى قيام الساعة ، وكل هذا بجناية شيعته الذين حرضوه بجهل وغرور ورغبة فى الفتنة والفرقة والشر ، ثم خذلوه بجبن ونذالة وخيانة وغدر . ولم يكتف ورثتهم بما فعل أسلافهم فعكفوا على تشويه التاريخ وتحريف الحقائق ورد الأمور على أدبارها . [خ]

(**) كيف يتفق قول الأستاذ الخطيب رحمه الله فيما مضى ان ابن الزبير كان يشجع الحسين رضى الله عنه — على الخروج الى العراق ، ثم يروح يقول هنا بأن داعيته ابن مطيع نصحه بعدم الخروج !!

زمانه ابن عباس ، وعدل عن رأى شيخ الصحابة ابن عمر [٤٤٧] ، [٤٤٨]

(٤٤٧) فى ايثاره العافية ، وحرصه على وحدة المسلمين وتفرغهم لنشر الدعوة والفتوح .

(٤٤٨) نذكر فيما يلى ضراعات كبار الصحابة والمفكرين للحسين بلزوم رجوعه :

لقد روى الطبرى ان الحسين لما خرج من مكة اعترضه رسل الوالى عمر ابن سعيد بقيادة أخيه يحيى ، فقالوا له : أين تذهب وطلبوا منه الانصراف فأبى فتدافع الفريقان وتضاربا بالسياط وامتنع الحسين منهم ، ثم مضى فناداه يحيى :

يا حسين ؟ اتق الله ولا تخرج من الجماعة وتفرق هذه الأمة !!

فأجابه بالآية : (لى عملى ولكم عملكم ، أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) ثم مضى .

وقد روى الطبرى كذلك أن عبد الله بن جعفر لما علم بخروج الحسين من مكة أرسل اليه كتابا مع أبنيه عون ومحمد يقول فيه :

انى اسألك الله لما انصرفت حين تنظر فى كتابى فانى مشفق عليك من الوجه الذى توجه اليه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك . ان هلكت اليوم طفىء نور الأرض ، فانك علم المهتدين ورجل المؤمنين ، فلا تعجل بالسير فانى فى اثر الكتاب .

ولقد روى ابن كثير (ص ٢٩١ ــ ٢٩٢) ان عبد الله بن عمر لما سمع بخروج الحسين الى العراق ، وكان هو فى مكة لحق به على مسيرة ثلاث ليال ، فقال له : أين تريد ؟

قال العراق . وهذه كتبهم وبيعتهم . فقال له ابن عمر :

انى محدثك حديثاً : ان جبريل أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا . وانك بضعة من رسول الله وما نالها أحد منكم أبداً ! وما صرفها الله عنكم الا للذى هو خير لكم .

فأبى أن يرجع ، فاعتنقه وقال له :

استودعك الله من قتيل !

كذلك روى أن أبا سعيد الخدرى جاء الى الحسين وقال له :

انى لك ناصح ، وانى عليك مشفق . وقد بلغنى انه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك الى الخروج اليهم ، فلا تخرج ! فانى سمعت أباك يقول بالكوفة :

والله لقد مللتهم وأبغضتهم وملونى وأبغضونى وما يكون منهم وفاء قط . ومن فاز منهم فاز بالسهم الاخيب . والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر ولا صبر على السيف . (البداية والنهاية ج / ص ١٦٠) .

وقال الامام ابن كثير وكتب يزيد بن معاوية الى عبد الله بن عباس يطلب منه أن يكف الحسين وقال له : « أحسبه قد جاءه رجال من الشرق فمنوه بالخلافة ، وعندك منهم خبر وتجربة ، فان كان قد فعل ، فقد قطع راسخ القرابة ، وأنت كبير أهل بيتك ، والمنظور اليه ، فامنعه عن الفرقة » .

ودخل ابن عباس على الحسين فكلمه طويلا وقال :

انشدك الله أن تهلك غداً بحال مضيعة ، لا تأت العراق ، وان كنت لابد فاعلا ، فأقم حتى ينقضي الموسم وتلقى الناس وتعلم ما يصدرون ثم ترى رأيك . فأبى ! (البداية والنهاية ص ١٦١ — ١٦٣) .

وروى الطبرى أيضاً أن أحد بنى عكرمة لقيه وهو نازل فى بطن القصبة ، فسأله أين تريد فحدثه فقال له : انى بنشدك الله ما انصرفت ! فوالله لاتقدم الا على الأسنة وحد السيوف ، فلو كان الذين بعثوا اليك كفوك مؤونة القتال ووطؤا لك الأشياء ، فقدمت عليهم كان ذلك رأياً فقال — أى الحسين — له : يا عبد الله انه ليس يخفى عليّ ما رأيت ! ولكن الله لا يغلب على أمره . ثم ارتحل ثم ان الحسين استمرفى سيره بعد أن وصله خبر مقتل مسلم وتفرق الناس عنه أيضاً .

وروى الطبرى ان مسلم بن عقيل بعد ان اثخنته الحجارة التى رشق بها فاستسلم فأخذوا سيفه ، فقال : هذا أول الغدر . وبكى ، وكان بقربه عمرو ابن عبيد الله بن عباس فقال له : من يطلب مثل الذى تطلب اذا نزل به الذى نزل بك لا يبكى !

فقال له : والله ما لنفسى أبكى ! ولا لها من القتل ارثى . ولكن أبكى لأهلى المقبلين ، أبكى الحسين وآل الحسين !! ثم اقبل على محمد بن الأشعث فقال له : يا عبد الله ! والله ستعجز عن امانيّ ، فهل عندك خبر تستطيع أن تبعث من عندك رجلا على لسانى يبلغ حسيناً ، فانى لا أراه قد خرج اليكم هو وأهل بيته ، فيقول له ان مسلماً اسير ولا يمسى حتى يقتل ، فارجع باهلك وبيتك ، ولا يغرك أهل الكوفة ، فانهم أصحاب أبيك ! الذى كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، وقد كذبونى وكذبوك ، وليس للكذاب رأى ! فوعده أن يفعل .

ثم ارسل شخصاً يخبره خبر مسلم ورسالته ، فلقى الحسين واخبره فقال له :

كل ما حم نازل وعند الله نحتسب انفسنا وفساد امتنا ثم استمر فى رحلته وكان فى امكانه أن يعود (ج ٤ ص ٢٧٨ — ٢٨١) .

وقد روى الطبرى (ج ٤ ص ٢٩٢ — ٢٩٤) أن الحسين لما تيقن من مقتل مسلم وتيقن من خذلان اهل العراق له ، قال لمن معه من غير اسرته ، ولمن انضم

= اليه في طريقه : (لقد خذلتنا شيعتنا !! فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف. فتفرق أكثر الناس ، ولم يبق معه الا ابناؤه واقرباؤه وبعض المخلصين من وأوليائه ، ولمن يكن يزيد مجموعهم على المئة) .

ويروى المسعودى ان عبيد الله بن زياد قال لقاتل الحسين : انه كان خير الناس أماً وأباً ، وخير عباد الله ، فلم قتلته ؟! ثم أمر بضرب عنقه (مروج الذهب ج ٣ ص ١٤١) .

وروى الطبرى كتاب يزيد الى عبيد الله بن زياد يوصيه فى الحسين انك لم تعد أن كنت كما أحب عملت عمل الحازم ، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش . وقد بلغنى أن الحسين توجه الى العراق فضع المناظر والمسالح واحترس على الظن وخذ على التهمة ولا تقتل الا من قاتلك ! (الطبرى ج ٤ ص ٢٨٢ - ٢٨٦) .

ولقد روى ابن كثير ان مروان بن الحكم كتب الى عبيد الله بن زياد حينما خرج الحسين الى العراق : ان الحسين قد توجه اليك ، وهو ابن فاطمة ، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتا لله ما أحد مسلم أحب الينا من الحسين ، فاياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء ولا تنساه العامة ولا تدع ذكره آخر الدهر .

وقد أوصى معاوية نفسه ولاته وابنه يزيد بالحسين .

حزن يزيد لاستشهاد الحسين ومعاملته لأهل بيته .

يروى أن يزيد دمعت عيناه لما حمل اليه رأس الحسين وقال لحامله :

لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين . لعن الله ابن عبيد الله . أما والله لو انى صاحبه لعفوت عنه ، فرحم الله الحسين .

أما والله يا حسين لو أنا صاحبك ما قتلتك ثم دعا بعلى الصغير بن الحسين ونسائه ، فأدخلوه عليه وعنده أشراف الشام . فقال لعلى : أبوك الذى قطع رحمى وجهل حقى ، ونازعنى سلطانى ، فصنع الله به ما قد رأيت .

ثم أمر بانزالهم فى داره وأمر لهم بما يصلحهم ، وكان لا يتغدى ولا يتعشى الا على معه . ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم ويسيرهم الى المدينة مع أناس صالحين .

ولما أرادوا الخروج دعا علياً فودعه وقال له :

لعن الله ابن مرجانة ! اما والله لو انى صاحبه ما سألنى خصلة الا اعطيتها اياه ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت ، ولو بذلت بعض ولدى ، ولكن الله قضى ما رأيت ، فكاتبنى ، وانه الىّ كل حاجة تكون لك .

ويروى ابن قتيبة انه لما أدخلوا عليه رأس الحسين واهله بكى حتى كادت نفسه تفيض . وبكى معه أهل الشام حتى علت أصواتهم .

• • • • • • • • • • • • • • •

يروى المسعودى ان ابن زياد قال لقاتل الحسين : انه كان خير الناس أماً وأباً ، وخير عباد الله ، فلم قتلته ؟ ثم أمر بضرب عنقه (مروج الذهب ج ٣ /١٤١) وذكر الطبرى انه لما دخل على ابن زياد عشاء آل الحسين ، أمر لهم بمنزل وأجرى عليهم رزقاً وأمر لهم بنفقة وكسوة ثم سيرهم الى يزيد .

قال الاستاذ دروزه (٨ / ٣٨٤) هذا — يجعل الروايات الواردة فى حسن معاملة عبيد الله بن زياد ، ثم يزيد لابن الحسين الصغير وبناته ونسائه واستياء يزيد لقتله ، وبكائه عليه ومشاركة أهله نساء ورجالا فى ذلك ، أصح من تلك التى تذكر قسوتها وجفاءها ازاءهم ، ولاسيما أنه لم يكن هناك قتال شديد يثير نقمة وانفعالا يمتد أثرهما الى النساء والأطفال . وكان ما وقع على غير ارادتهم بل وعلى مضض منهم .

ولعل من الدلائل على ذلك ما رواه الطبرى وابن قتيبة معاً من استمرار الصلات الحسنة ، والمكاتبات بين يزيد وعلى بن الحسين ، وما كان من موقف هذا ابان ثورة المدينة حيث رووا انه لا على ولا أقاربه اشتركوا فى هذه الحركة . وان يزيد وصى قائد جيشه وأمره بأن يدنى مجلسه وان يبلغه أنه وصل اليه كتابه ، وان هؤلاء الخبثاء شغلوه عنه ، وان القائد رحب به وأجلسه على السرير وبلغه رسالة يزيد . (تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٧٩ والامامة والسياسة ج ١ ص ٢٠٠) .

فأين هذه المعاملة الحسنة من افتراء المفترين بسبى أهل البيت وحملهم على الجمال بلا اقتاب بعد استشهاد الحسين ؟! فهذا من الكذب الواضح ، ما استحلت أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم سبى هاشمية ، وانما قاتلوا الحسين خوفاً منه ومن أن يزيل عنهم الملك . فلما استشهد فرغ الأمر وبعث بآله الى المدينة . ولكن جهل الرافضة اليه المنتهى . ولا ريب ان قتل الحسين من أعظم الذنوب ، وفاعله والراضى به مستحق للعذاب لكن ليس قتله بأعظم من قتل ابيه ، ولا قتل زوج اخته عمر ، وقتل زوج خالته عثمان .

والغريب ان هؤلاء المنافقين والمغرضين من أهل الكوفة الذين دعوا الحسين لتوليته هم الذين خذلوه وتخلوا عن نصرته ، وتسببوا بقتله ثم خرجوا يبكون عليه .

طعن آل البيت بالشيعة :

قال مؤلف التحفة الاثنى عشرية : نقل علامة الشيعة فى هذا العصر الشيخ هبة الدين الشهرستانى ما رواه الجاحظ عن خزيمة الاسدى قال : دخلت الكوفة فصادفت منصرف على بن الحسين بالذرية عن كربلاء الى عبيد الله ابن زياد ، ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياماً يندبن متهتكات الجيوب ، وسمعت على بن الحسين ، وهو يقول بصوت ضئيل :

« يا أهل الكوفة ! انكم تبكون علينا ، فمن قتلنا غيركم ؟! »

=

٢٤١

• • • • • • • • • • • • • • •

=

ورأيت زينب بنت على رضى الله عنها فلم أر ـ والله ـ خضرة أنطق منها بياناً قالت :

يا أهل الكوفة ، يا أهل الختر والخذل فلا رفأت القبرة ، ولا هدأت الرقة انما مثلكم كمثل التى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً ، تتخذون ايمانكم دخلا بينكم .

ألا هل فيكم الا الصلف والشنف ، وخلق الدماء وغمز الأعداء .

وهل انتم الا كمرعى على دمنة ، أو كفضة على ملحودة ؟

ألا ساء ما قدمت أنفسكم . أن سخط الله عليكم ، وفى العذاب انتم خالدون . أتبكون ؟! أى والله فابكوا . وانكم والله أحرياء بالبكاء ، فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا فقد فزتم بمعارها وشنارها ، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً !!

هل يزيد مسؤول عن مقتل الحسين ؟

وقال المؤرخ دروزه أيضاً : مما سبق ندرك « أنه ليس هناك ما يبرر نسبة قتل الحسين الى يزيد ، فهو لم يأمر بقتاله ، فضلا عن قتله ، وكل ما أمر به أن يحاط به ولا يقاتل الا اذا قاتل ، ومثل هذا القول يصح بالنسبة لعبيد الله ابن زياد ، فكل ما أمر به ان يحاط به ولا يقاتل الا اذا قاتل ، وأن يؤتى به اليه ليضع يده فى يده ، أو يبايع يزيد صاحب البيعة الشرعية بل ان هذا ليصح قوله بالنسبة لأمراء القوات التى جرى بينها وبين الحسين وجماعته قتال ، فانهم ظلوا ملتزمين ما أمروا به ، بل كانوا يرغبون اشد الرغبة فى أن يعافيهم الله من الابتلاء بقتاله ، فضلا عن قتله ، ويبذلون جهدهم فى اقناعه بالنزول على حكم ابن زياد ومبايعة يزيد ، فاذا كان الحسين أبى أن يستسلم ليدخل فيما دخل فيه المسلمون وقاوم بالقوة ، فمقابلته وقتاله صار من الوجهة الشرعية والوجهة السياسية سائغاً (الاستاذ دروزة ج ٨ / ٣٨٣ ـ ٣٨٤) قد يقول قائل : ألم يكن من الواجب على يزيد وبالتالى على ابن زياد ان يقبل من الحسين قبول أحد شروطه الثلاثة العادلة التى عرضها عليه وهى ان يترك ليعود من حيث أتى ، أو يذهب الى يزيد ، أو يرسل الى الثغور . يذكر بعضهم ان هذه الشروط والمطالب من الحسين رضى الله عنه ليس لها أساس من الصحة . فقد روى الطبرى رواية عن سمعان : قال : انى صحبت الحسين رضى الله عنه فخرجت معه من المدينة الى مكة ، ومن مكة الى العراق ، ولم أفارقه حتى قتل وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا فى الطريق ، ولا فى العراق ولا فى عسكر الى يوم مقتله الا وقد سمعتها . الا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس ، وما يزعمون من أن يضع يده بيد يزيد بن معاوية ولا أن يسير الى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنه قال :

دعونى فلأذهب فى الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر النـــــاس (المسعودى ص ٣١٣) .

وهذا الطلب من الحسين لا يمكن قبوله لمن أوتى اقل نصيب من السياسة والتفكير خيفة أن يقوم الحسين بتحريض شيعته فى الأمصار فتندلع الثورات والفتن .

ونرى لو أن عبيد الله بن زياد وصحبه حاصروا الحسين رضى الله عنـه وجماعته واحاطوهم بصنوف العناية والرعاية ، وقدموا لهم ما يشـتهون ، وتركوا أمر الصلح للأيام ريثما تهدأ ثائرة الحسين لكان خيرا .

وكل ذلك كان ممكناً ما داموا قلة لا يزيدون على مئة ، فلا يقاتلونهـم ، ولو قاتلوا على أن تنزع منهم أسلحتهم بمختلف الأساليب ولكن امر الله كان قدراً مقدوراً . وانا لله وانا اليه راجعون .

نسأل الله سبحانه أن يهدى هؤلاء الذين يجددون ذكرى هذه الكارثة من عام الى آخر وما يهلكون الا أنفسهم فى الدنيا قبل الآخرة وهم لا يشعرون ، وخاصة وان الأمويين قد زالوا . ولكن قبح الله اليهودية والشعوبية فانهـما لا تزالان تعيثان فساداً فى النفوس لتحارب الاسلام والمســلمين باسم نصرة آل البيت كذباً وزوراً .

وختاماً لهذا الموضوع الخطير نقول كما قال المؤرخ المحقق عـــزة دروزة (٨ / ٣٨٦) بعدما نقل بعض ما ذكرناه فى هذا البحث :

ونشهد الله على أننا لم نكتب ما كتبناه عن هوى أو بغض للحسين رضى الله تعالى عنه وآل بيته وعلى أننا نكن لهم اشد الاحترام والمحبة لصلتهم الشريفـة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكننا كمؤرخين لا يسعنا أن نكتب غير ذلك ، اذا اردنا ان نلتزم المنطق والانصاف والحق ، لأن الروايات التى تطمئن بها النفس لا تسمح بغيره .

ولم ننفرد بهذه النتائج التى استنتجناها من الروايات . فهناك كثيرون غيرنا يشاركوننا فيها ، بل وانه ليشاركنا فيها كل منصف متجرد عن الهوى من المسلمين على اختلاف طوائفهم .

ونورد هنا قولين فى ذلك أحدهما للامام المصلح العظيم ابن تيمية ، والثانى للمؤرخ المحقق الشيخ محمد الخضرى رحمهما الله .

وقد أورد الامام ابن تيمية خبر ما تلقاه الحسين من نصائح كثيرة بعـدم الخروج والتحذير من العواقب ثم قال :

انه لم يكن فى الخروج مصلحة لا فى دين ولا فى دنيا . وكان فى خروجه وقتله من الفساد ما لم يحصل لو قعد فى بلده . فان ما قصده من تحصيل الخـــير ودفع الشر لم يحصل منه شىء بل زاد الشر بخروجه وقتله ، ونقص الخـير

وطلب الابتداء فى الانتهاء ، والاستقامة [من أهل] (٤٤٩) الاعوجاج ، ونضارة الشيبة فى هشيم المشيخة . ليس حوله مثله ، ولا له من الأنصار من يرعى حقه ، ولا من يبذل نفسه دونه ، فأردنا أن نطهر الأرض من خمر يزيد (٤٥٠) فأرقنا دم الحسين ، فجاءتنا مصيبة لا يجبرها سرور الدهر (٤٥١) .

وما خرج إليه أحد إلا بتأويل ، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل ، المخبر بفساد الحال ، المحذر [عن] الدخول فى الفتن . وأقواله فى ذلك كثيرة : منها [ما روى مسلم عن زياد بن علاقة عن عرفجة بن شريح]

= بذلك ، وصار سبباً لشر عظيم ، وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن (انظر المنتقى من منهاج السنة ص ، ٢٨٧ ــ ٢٨٨) .

اما الشيخ الخضرى فانه عقب على حادث قتل الحسين قائلا :

وعلى الجملة ان الحسين أخطأ خطأ عظيماً فى خروجه هذا الذى جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد الفتها الى يومنا هذا .

وقد أكثر الناس من الكتابة فى هذه الحادثة لا يريدون بذلك الا أن تشتعل النيران فى القلوب ، فيشتد تباعدها . وغاية ما فى الأمر أن الرجل طلب أمراً لم يتهيأ له ، ولم يعد له عدته ، فحيل بينه وبين ما يشتهى وقتل دونه . وقبل ذلك قتل أبوه فلم يجد من أقلام الكاتبين من يبشع أمر قتله ، ويزيدون نار العداوة تأجيجاً .

والحسين قد خالف يزيد ، وقد بايعه الناس ، ولم يظهر عنه ذلك الجور ولا العسف عند اظهار الخلاف حتى يكون فى الخروج مصلحة للأمة (محاضرات الخضرى تاريخ الأمم الاسلامية ٢ / ٢٣٥) . [م]

(٤٤٩) وكتبها الشيخ محب « الاستقامة فى الاعوجاج » [س]

(٤٥٠) يزعم مثيرى الفتنة الذين يشهدون بغير ما علموا .

(٤٥١) لا أدرى سبباً معقولا لتضخيم هذه المصيبة على الرغم من فداحتها بعد زوال الأمويين وملكهم ؟ ! فهى مهما كان من امرها لا تعد شيئاً مذكوراً بجانب المصيبة باستشهاد الخلفاء عمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم فلماذا لا يقيمون عليهم ــ اذا كانوا مخلصين للاسلام ــ كل عام مآتماً وعويلا . بعرفهم فى تجديد المصيبة واحياء ذكراها ؟ !

ولا أدرى ايضاً كيف يصح اقامة مثل هذه المآتم ، وقد جاء النهى فى أحاديث كثيرة عن الصياح وشق الجيوب ولطم الخدود وغير ذلك من العادات الجاهلية ! ولكن لعن الله السياسة المتهافتة كيف تضلل أصحابها وتسبب لهم العذاب فى الدنيا قبل الآخرة قال تعالى : (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا !!) .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم [٤٥٢] « إنه ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان [٤٥٣] » . فما خرج الناس إلا بهذا وأمثاله . ولو أن عظيمها وابن عظيمها وشريفها وابن شريفها الحسين يسعه بيته أو ضيعته أو إبله ـ ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق وفى جملتهم ابن عباس وابن عمر لم يلتفت إليهم ـ وحضره ما أنذر به النبى صلى الله عليه وآله وسلم وما قال فى أخيه [٤٥٤] ، ورأى أنها [قد] خرجت عن أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار الخلق يطلبونه، فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة ، وكبار الصحابة ينهونه وينأون عنه ؟ [و] ما أدرى فى هذا إلا التسليم لقضاء الله ، والحزن على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقية الدهر . ولولا معرفة أشياخ [الصحابة] وأعيان الأمة بأنه أمر صرفه الله عن أهل البيت ، وحال من الفتنة لا ينبغى لأحد أن يدخلها ، ما أسلموه أبدا .

وهذا أحمد بن حنبل ـ على تقشفه وعظيم منزلته فى الدين وورعه ـ قد أدخل عن يزيد بن معاوية فى (كتاب الزهد) أنه كان يقول فى خطبته : « إذا مرض أحدكم مرضاً فأشفى ثم تماثل ، فلينظر إلى أفضل عمل عنده فليلزمه ، ولينظر إلى أسوأ عمل عنده فليدعه » وهذا يدل على عظيم منزلته عنده حتى يدخله فى جملة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين يقتدى بقولهم

---

(٤٥٢) من حديث عرفجة فى كتاب الامارة من صحيح مسلم : باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (ك ٣٣ ح ٥٩ ج ٦ ص ٢٢) .

(٤٥٣) الحسين رضى الله تعالى عنه كان مجتهداً فان أصاب فله أجران ، وان أخطأ فله أجر وكان يجدر ببنى أمية أن يحترموا سلامة نيته ونبالة قصده ويحيطوه بأنواع الرعاية والعناية على الرغم من محاربته لهم ، فانه لا خطر منه مادامت جماعته قلة ، وذلك ريثما يتم الاتفاق وينتهى معه الى سلم . ولكن تسرعهم سبب لهم وللعالم الاسلامى النكبات . فانا لله وانا اليه راجعون . والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة كما جاء فى حديث رواه البخارى . [م]

(٤٥٤) « ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . [خ]

ويرعوى من وعظهم . ونعم ، ما أدخله إلا فى جملة الصحابة (٤٥٥) ، قبل أن يخرج إلى ذكر التابعين (٤٥٦) . فأين هذا من ذكر المؤرخين له فى الخمر وأنواع الفجور ، ألا تستحيون ؟! وإذا سلبهم الله المروءة والحياء ، ألا ترعوون أنتم وتزدجرون ، وتقتدون بالأحبار والرهبان من فضلاء الأمة ، وترفضون الملحدة والمجان من المنتمين إلى الملة « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » والحمد لله رب العالمين .

وانظروا إلى ابن الزبير بعد ذلك وما دخل فيه من البيعة له بمكة ، والأرض كلها عليه . وانظروا إلى ابن عباس وعقله وإقباله على أمـ ـتـه .

---

(٤٥٥) يزيد بن معاوية ليس بصحابى وقد ولد عام ٥٢ هـ كما جاء فى (الاعلام) .

وجاء فيه أيضاً : « فى زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة ابن نافع وفتح مسلم بن زياد بخارى وخوارزم .. واليه ينسب « نهر يزيد » فى دمشق . وكان نهراً صغيراً ، فوسعه فنسب اليه . وقال مكحول : كان يزيد مهندساً » . [م]

(٤٥٦) وخلاصة القول فى يزيد بن معاوية اختلف الناس فيه ـ كما قال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (ثلاث فرق) : طرفان ووسط .

(فأحد الطرفين) قالوا : انه كان كافراً منافقاً ..

وهذا القول سهل على الرافضة الذين يكفرون أبا بكر ، وعمر ، وعثمان . فتكفير يزيد أسهل !!

(والطرف الثانى) يظنون أنه كان رجلا صالحاً وامام عدل . وأنه كان من الصحابة الذين ولدوا على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وحمله على يديه وبرك عليه .

وهذا قول بعض الضلال ..

(والقول الثالث) أنه كان ملكاً من ملوك المسلمين ، له حسنات وسيئات ، ولم يولد الا فى خلافة عثمان ، ولم يكن كافراً ، ولكن جرى بسببه ما جرى . وهذا قول أهل العقل والعلم والسنة والجماعة .

ثم افترقوا (ثلاث فرق) ، فرقة لعنته ، وفرقة احبته ، وفرقة لا تسبه ولا تحبه ! وهذا المنصوص عن الامام أحمد ، وعليه المقتصدون من أصحابه وغيرهم .

وقد استدل القاتلون بالمغفرة له بحديث ثبت فى صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له » وأول جيش غزاها كان أميره يزيد (الفتاوى ٤ / ٤٨١ ـ ٤٨٣ باختصار) . [م]

وانظروا إلى ابن عمر وسنه وتسليمه للدنيا ونبذه لها . ولو كان للقيام وجه لكان أولى بذلك ابن عباس ، فإنه ولدى أخيه عبيد الله قد ذكر أنهما قتلا ظلماً (٤٥٧) . ولكن رأى بعقله أن دم عثمان لم يخلص إليه ، فكيف بدم ولدى عبيد الله ! وان الأمر راهق (٤٥٨) ، قد خرجا عنه حفظاً للأصل وهو اجتماع أمر الأمة وحقن دمائها وائتلاف كلمتها ، ودع الأمر يتولاه أسود مجدّع حسبما أمر به صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه (٤٥٩) . وكل منهم عظيم القدر مجتهد ، وفيما دخل فيه مصيب مأجور ، ولله [فيهم] حكم [فى الدنيا] قد أنفذه ، وحكم فى الآخرة قد أحكمه وفرغ منه . فاقدروا هذه الأمور مقاديرها ، وانظروا بما قابلها ابن عباس وابن عمر فقابلوها ، ولا تكونوا من السفهاء الذين يرسلون ألسنتهم وأقلامهم بما لا فائدة لهم فيه ، ولا يغنى من الله ولا من دنياهم شيئاً عنهم .

وانظروا إلى الأئمة الأخيار وفقهاء الأمصار ، هل أقبلوا على هذه الخرافات وتكلموا فى مثل هذه الحماقات ؟ بل علموا أنها عصبيات جاهلية ، وحمية باطلة ، لا تفيد إلا قطع الحبل بين الخلق وتشتيت الشمل واختلاف الأهواء — وقد كان ما كان ، وقال الأخباريون ما قالوا — فاما سكوت ، وإما اقتداء بأهل العلم ، وطرح لسخافات المؤرخين والأدباء . والله يكمل علينا وعليكم النعماء برحمته .

* * *

---

(٤٥٧) كان ذلك سنة ٤٠ فى اليمن آخر ولاية عبيد الله بن عباس عليها لعلى ؛ فأرسل معاوية الى الحجاز واليمن بسر بن أبى أرطاة فأخذ له البيعة على أهل الحجاز ، ثم توجه بسر الى اليمن فلما علم عبيد الله بمجيئه هرب الى الكوفة وترك ابنيه فى اليمن فقتلهما بسر فيما يقال . [خ]

(٤٥٨) أى تداخل حقه فى باطله . [خ]

(٤٥٩) فى كتاب الامارة من صحيح مسلم من حديث ابى ذر (ك ٣٣ ح ٣٦ ج ٦ ص ١٤) . [خ]

نكتـــة

وعجباً [لاستكثار] الناس ولاية بنى أمية ، وأول من عقد لهم الولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه ولى يوم الفتح عتاب بن أسـيد ابن أبى العيص بن أمية مكة ــ حرم الله وخير بلاده ــ وهو فتى السن قد أبقل أو لم يبقل . واستكتب معاوية بن أبى سفيان أميناً على وحيه . ثم ولى أبو بكر يزيد بن أبى سفيان ــ أخاه ــ الشام . وما زالوا بعد ذلك يتوقلون فى سبيل المجد ، ويترقون فى درج العزِّ ، حتى أنهتهم الأيام ، إلى منازل الكرام .

وقد روى الناس أحاديث فيهم لا أصل لها ، منها حديث رؤية النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنى أمية ينزون على منبره كالقردة ، فعز ذلك عليه ، فأعطى ليلة القدر خير من ألف شهر يملكها بنو أمية [بعده] . ولو كان هذا صحيحاً ما استفتح الحال بولايتهم ، ولامكن لهم فى الأرض بأفضل بقاعها وهى مكة . وهذا أصل يجب أن تشدّ عليه اليد .

فإن قيل : أحدث معاوية فى الإسلام الحكم بالباطل ، والقضاء بما لا يحل من استلحاق زياد . قلنا :قد بينا فى غير موضع أن استلحاق زياد إنما كان لأشياء صحيحة ، وعمل مستقيم نبينه بعد ذكر [أمثل] ما ادّعى فيه المدعون من الانحراف عن الاستقامة ، إذ لا سبيل إلى تحصيل باطلهم ، لأن خـرق الباطل لا يرقع ، ولسانه أعظم منه فكيف به لا يقطع ؟ !

قالوا : كان زياد ينتسب إلى عبيد الثقفى من سـمية جارية الحـارث ابن كلدة (٤٦٠) ، واشترى (زياد) عبيداً أباه بألف درهم فأعتقه (٤٦١)

---

(٤٦٠) روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة زياد مـن تاريخ دمشـق (٥ : ٤٠٩) عن عوانة بن الحكم الكلبى (أكبر شـيوخ المدائنى) أن سـمية أم زياد كانت لدهقان من دهاقين الفرس ، فاشتكى وجع البطن وخاف أن يكون أصيب بداء الاستسقاء ، فدعا الحارث بن كلدة الثقفى طبيب العرب ــ وقد كان قدم على كسرى ــ فعالج الدهقان فبرأ ، فوهب له سمية ، فولدت

قال أبو عثمان النهدي : فكنا نغبطه . واستعمله عمر على بعض صدقات البصرة ، وقيل بل كتب لأبي موسى (٤٦٢) ، فلما لم يقطع الشهادة مع الشهود على المغيرة جلدهم وعزله وقال له : ما عزلتك لخزية ، ولكني كرهت أن أحمل على الناس فضل عقلك . ورووا أن عمر أرسله إلى اليمن في اصلاح فساد فرجع وخطب خطبة لم يسمع مثلها ، فقال عمرو بن العاص : « أما والله لو كان هذا الغلام قرشياً لساق الناس بعصاه » ، فقال أبو سفيان : والله إني لأعرف الذي وضعه في رحم أمه ، فقال له علي : ومن ؟ قال : أنا . قال : مهلا يا أبا سفيان . فقال أبو سفيان أبياتاً من الشعر :

أما والله لولا خوف شخص (٤٦٣) يراني يا علي من الأعادي

=

له أبا بكرة واسمه مسروح أو نفيع فلم يقرّ به . ثم ولدت نافعاً فلم يقر به ، فلما نزل أبو بكرة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الحارث بن كلدة لنافع : ان أخاك مسروحاً عبد وأنت ابني . فأقر به يومئذ . وزوجها الحارث غلاماً له يقال له عبيد فولدت زيادا على فراشه ، وكان أبوسفيان سار الى الطائف فنزل على رجل يقال له أبو مريم السلولي (قال : فأتاه أبو مريم بسمية فوقع بها فولدت زيادا) . [خ]

(٤٦١) في ترجمة زياد من تاريخ ابن عساكر (٥ : ٤٠٦ ـ ٤٠٧) خبر يرويه زهرة بن معبد ومحمد بن عمرو عن وفادة زياد وهو فتى على أمير المؤمنين عمر من قبل أبي موسى الأشعري في يوم جلولاء قالا : فلما نظر اليه عمر رأى له هيئة حسنة وعليه ثياب بيض من كتان قال له : ما هذه الثياب ؟ فأخبره . فقال : كم اثمانها ؟ فأخبره بشيء يسير ، وصدقه . فقال له : كم عطاؤك ؟ فقال : الفان . فقال ما صنعت في أول عطاء خرج ؟ فقال : اشتريت به والدتي فأعتقتها ، واشتريت بالثاني ربيبي عبيدا فأعتقته ، فقال عمر : وفقت . وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن فوجده عالماً بالقرآن وأحكامه وفرائضه . فرد الى أبي موسى ، وأمر امراء البصرة أن يتبعوا رأيه . [خ]

(٤٦٢) نقل الحافظ ابن عساكر عن الحافظ أبي نعيم أن زيادا كتب لأبي موسى الأشعري ، ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ، ثم للمغيرة بن شعبة ، ثم لعبد الله بن عباس كتب لهؤلاء كلهم على البصرة . وكان أمير المؤمنين على اراده أن يوليه البصرة فأشار زياد عليه أن يوليها عبد الله بن عباس ووعده بأن يشير عليه وينعشه . [خ]

(٤٦٣) يعني عمر . [خ]

لأظهر أمـره صـخر بن حـرب ولم تكن المقـالة عـن زيـاد
وقـد طالت مخاتلتي ثقيفـاً وتركي فيهـم ثمـر الفـؤاد

فذلك الذى حمل معاوية .

واستعمله عليٌ على فارس ، وحمى ، وجبى ، وفتح ، وأصلح .

وكاتبه معاوية يروم إفساده ، فوجه (زياد) بكتابه إلى على بشعر ، فكتب إليه على : « إني وليتك : ما وليتك وأنت أهل لذلك عندى . ولن يدرك ما تريد بما أنت فيه إلا بالصبر والبقين . وإنما كانت من أبى سفيان فلتة [ومن] عمر ، لا تستحق بها نسبا ولا ميراثا . وإن معاوية يأتى المؤمن من بين يديه ومن خلفه » . فلما قرأ زياد الكتاب قال : « شهد لى أبو حسن ورب الكعبة » . فذلك الذى جرأ زياداً ومعاوية بما صنعا . ثم ادعاه معاوية سنة أربع وأربعين ، وزوج معاوية ابنته من ابنه محمد . وبلغ الخبر أبا بكرة ــ أخاه لأمه ــ فآلى يميناً ألا يكلمه أبداً ، وقال « هذا زنى أمه ، وانتفى من أبيه . والله ما رأت سمية أبا سفيان قط ، وكف ، وكيف يفعل بأم حبيبة (٤٦٤) : أيراها فيهتك حرمة رسول الله ، وإن حجبته فضحته » . فقال زياد : جزى الله أبا بكرة خيراً ، فإنه لم يدع النصيحة فى حال . وتكلم فيه الشعراء ، ورووا عن سعيد بن المسيب أنه قال : أول قضاء كان فى الاسلام بالباطل استلحاق زياد .

قال القاضى أبو بكر (رضى الله عنه) : قد بينا فى غير موضع هذا الخبر ، وتكلمنا عليه بما يغنى عن إعادته ، ولكن لابد فى هذه الحالة من بيان المقصود منه فنقول :

كل ما ذكرتم لا ننفيه ولا نثبته لأنه لا يحتاج إليه . والذى ندريه حقاً ونقطع عليه علماً أن زياداً من الصحابة بالمولد والرؤية (٤٦٥) ، لا بالتفقه

---

(٤٦٤) هى أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان واخت معاوية . [خ]

(٤٤٥) ترجم له الحافظ ابن حجر فى (الاصابة) والحافظ أبو عمر ابن عبد البر فى (الاستيعاب) ونقل فى مولده أنه ولد عام الفتح ، وقيل عام الهجرة ، وقيل يوم بدر . قال ابن حجر : وجزم ابن عساكر بأنه ادرك النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره . [خ]

والمعرفة . وأما أبوه فما علمنا له أبا قبل دعوى معاوية على التحقيق (٤٦٦) ، وإنما هي أقوال غائرة من المؤرخين . وأما شراؤه له فمراعاة للحضانة ، فإنه حضنه عند [أمه] إذ دخل عليه (فيه شبهة) ، بالحضانة إليه إن كان ذلك .

وأما قولهم ان أبا عثمان (النهدى) غبطه بذلك ، فهو بعيد على أبي عثمان ، فإنه ليس فى أن يبتاع أحد حاضنه أو أباه فيعتقه من المزية بحيث يغبطه عليه أبو عثمان وأمثاله ، لأن هذه مرتبة يدركها الغنى والفقير والشريف والوضيع ، ولو بذل من المال ما يعظم قدره ، فيدرى به قدر مروءته فى إهانة الكثير العظيم ، فى صلة الولى الحميم . وإنما ساقوا هذه الحكاية ليجعلوا له أباً ، ويكون بمنزلة من انتفى من أبيه .

وأما استعمال عمر له فصحيح ، وناهيك بذلك تزكية وشرفاً وديناً .

وأما قولهم ان عمر عزله لأنه لم يشهد بباطل [فباطل] ، بل روى أنه لما شهد أصحابه الثلاثة (٤٦٧) وعمر يقول للمغيرة : ذهب ربعك ، ذهب نصفك ، ذهب ثلاثة أرباعك ، فلما جاء زياد قال له : إنى أراك صبيح الوجه ، وإنى لأرجو أن لا يفضح الله على يديك رجلا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وأما خطبته التى ذكروا أنه عجب منها عمرو ، فما كان عنده فضل علم ولا فصاحة يفوق بها عمرا فمن فوقه أو دونه . وقد أدخل له الشيخ المفترى (٤٦٨) خطباً ليست فى الحد المذكور .

وأما قولهم إن أبا سفيان اعترف به ، وقال شعراً فيه ، فلا يرتاب ذو تحصيل فى أن أبا سفيان لو اعترف به فى حياة عمر لم يخف شيئاً ، لأن الحال

---

(٤٦٦) من الثابت أن الحارث بن كلدة اعترف بابوته لنافع اخى زياد لأمه فصار يقال له نافع بن الحارث بن كلدة . ولا يعرف التاريخ أن عبيدا الثقفى او الحارث بن كلدة اعترفا بزياد . [خ]

(٤٦٧) أصحابه الثلاثة فى الشهادة على المغيرة أخواه لأمه : نفيع ، ونافع الذى ينسب الى الحارث بن كلدة ، والثالث شبل بن معبد .

(٤٦٨) لعله يريد الجاحظ ، وأعظم خطبه التى أوردها له فى (البيان والتبيين) خطبته التى تسمى (البتراء) وهى فى أوائل الجزء الثانى .

لم يكن تخلو من أحد قسمين : إما أن يرى عمر إلاطته به (٤٦٩) كما روى عنه في غيره فيمضي ذلك ، أو يرد ذلك فلا يلزم أبا سفيان شيء باقتراف ما كان في الجاهلية . فذكرهم هذه الحكاية المخترعة الباردة المتهافتة الخارجة عن حد الدين والتحصيل لا معنى لها (٤٧٠) .

وأما تولية علي له فتزكية .

وأما بعث معاوية إليه ليكون معه فصحيح في الجملة . وأما تفصيل ما كتب معاوية ، أو كتب زياد به إلى علي ، أو جاوب به علي زياداً ، فهذا كله مصنوع .

وأما قول علي « إنما كانت من أبي سفيان فلتة (زمن عمر) لا تستحق بها نسبا » فلو صح لكان ذلك شهادة ، كما روى عن زياد ، ولم يكن ذلك بمبطل لما فعل معاوية ، لأنها مسألة اجتهاد بين العلماء : فرأى علي شيئاً ، ورأى معاوية وغيره ، غيره .

وأما (نكتة الكلام) وهو القول في استلحاق معاوية زياداً وأخذ الناس عليه في ذلك ، فأي أخذ عليه فيه إن كان سمع ذلك من أبيه ؟ وأي عار على أبي سفيان في أن يليط بنفسه ولد زنا كان في الجاهلية . فمعلوم أن سمية لم تكن لأبي سفيان ، كما لم تكن وليدة زمعة لعتبة ، ولكن كان لعتبة منازع تعين القضاء له ، ولم يكن لمعاوية منازع في زياد .

اللهم إن هاهنا نكتة اختلف العلماء فيها ، وهي أن الأخ إذا استلحق أخاً يقول هو ابن أبي ولم يكن له منازع بل كان وحده ، فقال مالك : يرث ولا يثبت النسب . وقال الشافعي — في آخرين — يثبت النسب ويأخذ المال ، هذا إذا كان المقر به غير معروف النسب . واحتج الشافعي بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « هو لك يا عبد بن زمعة ، الولد للفراش وللعاهر الحجر (٤٧١) » فقضى بكونه للفراش وباثبات النسب . قلنا هذا جهل عظيم ،

---

(٤٦٩) اى الحاقه والصاقه .

(٤٧٠) كذا في جميع النسخ ، وكتبها الشيخ محب الدين [له] (س)

(٤٧١) رواه البخاري ومسلم .

وذلك أن قـوله ان النبى صلى الله عليـه وآله وسلم قضى بكونه للفراش صحيح ، وأما قوله بثبوت النسب فباطل ، لأن عبداً ادعى سببين : أحدهما الأخوة ، والثانى ولادة الفراش . فلو قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : هو أخوك ، الولد للفراش . لكان إثباتاً للحكم وذكراً للعلة . بيد أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم عدل عن الأخوة ولم يتعرض لها ، وأعرض عن النسب ولم يصرح به ، وإنما [هو] فى الصحيح فى لفظ « هو أخوك » وفى آخر « هـو لك » ، معنـاه فأنت أعلم به . وقد مهـدنا ذلك فى مسـائل الخلاف (٤٧٢) .

فالحارث بن كلدة لم يدّع زياداً ولا كان إليه منسوباً ، وإنما كان ابن أمته ولد على فراشه ـ أى فى داره ـ فكل من ادعاه فهو له ، إلا أن يعارضه من هو أولى به منه،فلم يكن على معاوية فى ذلك مغمز ، بل فعل فيه الحـق على مذهب مالك .

فإن قيل : فلم أنكر عليه الصحابة ؟

قلنا : لأنها مسألة اجتهاد ، فمن رأى ان النسب لا يلحق بالوارث الواحد أنكر ذلك وعظّمه .

فإن قيل : ولم لعنوه ، وكانوا يحتجون بقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « ملعون من انتسب لغير أبيه ، أو انتمى إلى غير مواليه » ؟ (٤٧٣) .

قلنا : إنما لعنه من لعنه لوجهين : أحدهما لأنه أثبت نسبه من هـذا الطريق ، ومن لم ير لعنـه لهـذا لعنـه لغيره . وكان زياد أهلا أن يلعـن ـ عندهم ـ لما أحدث بعد استلحاق معاوية (٤٧٤) .

فإن قيل : جعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم للزنا حرمة ، ورتب عليها

---

(٤٧٢) روى نحوه البخارى ومسلم وغيره .

(٤٧٣) واهم ذلك ـ عندهم ـ تسببه فى قتل حجر بن عدى ، وقد مضى الكلام عليه .

(٤٧٤) مؤلف من مؤلفاته يقع فى عشرين مجلدا يعتبر فى حكم المفقود . [س]

حكما حين قال « احتجبى منه يا سودة [٤٧٥] » ، وهذا يدل على أن الزنا يتعلق به من حرمة الوطء ما يتعلق بالنكاح الصحيح . هكذا قال الكوفيون . ومالك فى رواية ابن القاسم يساعدهم على المسألة ولا يساعدهم على دليلها من هذا الوجه ، وقد بيناها فى كتاب النكاح . وقال الشافعى : العذر فى أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم لسودة بالاحتجاب مع ثبوت نسبه من زمعة وصحة أخوته لها بدعوى عبد أن ذلك تعظيم لحرمة أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأنهن لم يكن كأحد من النساء فى شرفهن وفضلهن .

قلنا : لو كان أخاها بنسب ثابت صحيح كما قلتم ، ويكون قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « الولد للفراش » تحقيقاً للنسب ، لما منع النبى صلى الله عليه وسلم سودة منه ، كما لم يمنع عائشة من الرجل الذى قالت : هو أخى من الرضاعة ، وإنما قال « انظرن من اخوانكن » .

وأما ما روى عن سعيد بن المسيب ، فأخبر عن مذهبه فى أن هـــذا الاستلحاق ليس بصحيح ، وكذلك رأى غيره من الصحابة والتابعين . وقد صارت المسألة إلى الخلاف بين الأمة وفقهاء الأمصار ، فخرجت من حد الانتقاد إلى حد الاعتقاد . وقد صرح مالك فى كتاب الإسلام وهو (الموطأ) بنسبه فقال فى دولة بنى العباس « زياد بن أبى سفيان » ، ولم يقل كما يقـــول المخاذل « زياد بن أبيه » ، هذا على أنه لا يرى النسب يثبت بقول واحد . ولكن فى ذلك فقه بديع لم يتفطن له أحد ، وهو أنها لما كانت مسألة خلاف ،

---

(٤٧٥) فى كتاب الأقضية من (موطأ مالك) ب ٢١ ص ٧٤٠ عن ابن شهاب عن عروة ابن الزبير عن عائشة قالت : كان عتبة بن ابى وقاص عهد الى أخيه سعد بن أبى وقاص أن ابن وليدة زمعة منى (جاريته) ، فاقبضه اليك . قالت فلما كان عام الفتح أخذه سعد وقال : ابن اخى ، قد كان عهد الى فيه . فقام اليه عبد بن زمعة فقال : اخى ، وابن وليدة أبى ، ولد على فراشه . فتساوقا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال سعد : يا رسول الله، ابن اخى ، قد كان عهد الىَّ فيه . وقال عبد بن زمعة : اخى ، وابن وليدة ابى ، ولد على فراشه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « وهو لك يا عبد بن زمعة » . ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » . ثم قال لسودة بنت زمعة « احتجبى منه » لما رأى من شبهه بعتبة بن أبى وقاص . قالت : فما رآها حتى لقى الله عز وجل . واخرجه البخارى (ك ٣٤ ب ٣) ومسلم (ك ١٧ ب ١٠ ح ٣٦) . [خ]

ونفذ الحكم فيها بأحد الوجهين ، لم يكن لها رجوع فإن حكم القاضي فى مسائل الخلاف بأحد القولين يمضيها ويرفع الخلاف فيها ، والله أعلم .

وأما روايتهم أن عمر قال « كرهت أن أحمل فضل عقلك على النـــاس » فهذه زيادة ليس لها أصل ، من ناقص عقل . وأى عقل كان لزياد يزيد به على الناس فى أيام عمر (٤٧٦) ، و [غلام] كل واحد من الصحابة كان أعقل من زياد وأعلم منه ، ولهذا كل من كمل عقله أكثر من الآخر فهو أولى أن يختلط مع الناس . ويقولون : [إنه] كان داهية ، وهى كلمة واهية . الدهاء والأرب هو المعرفة بالمعانى ، والاستدلال على العواقب بالمبادىء . وكل أحد مـــن الصحابة والتابعين فوق زياد . وتلك الروايات التى يروى المؤرخون ـــ من كذبهم ـــ فى حيل الحرب والفتك بالناس ، كل أحد اليوم يقدر على مثلهـــا وأكثر منها ، والحيلة إنما تكون بديعة وتنثنى وتروى إذا وافقت الدين ، وأما كل حكاية تخالف الدين فليس فى روايتها [ولا فى رواتها] خير ولا عقل . وكل الناس كما قدمنا ـــ وخذ من ولاة بنى أمية خاصة ـــ أعقل من زياد وأفصح منه . فلا تلتفتوا إلى ما روى من الأباطيل .

* * *

نكتـــــة

[والولايات] والعزلات لها معان وحقائق لا يعلمها كثير من الناس . لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات عن زهاء اثنى عشر ألفاً من الصحابة معلومين . منهم ألفان أو نحوهما مشاهير فى الجلالة ، وولى منهم أبو بكر سعداً وأبا عبيدة ويزيد وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل ونفراً غيرهم فوقهم ، وولى أنس بن مالك ابن عشرين سنة على البحـــرين اقتداء بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى عتاب (٤٧٧) . ومتى كان اســـتوفى

---

(٤٧٦) لأنه كان لما دخل على عمر فى السابعة عشرة من عمره على ما نقـــله البخارى فى تاريخه الأوسط عن يونس بن حبيب عن آل زياد . [خ]

(٤٧٧) عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية (انظر ص ١٨١) . [خ]

المشيخة حتى يأخذ الشبان . وولى عمر أيضاً كذلك ، وبادر بعزل خالد . وذلك كله لفقه عظيم ومعارف بديعة بيانها فى موضعها من كتب الامامة والسياسة من الأصول ، فخذوا فى فن غير هذا ، فليس هذا الباب ، مما تلوكه أشداق أهل الآداب .

وأما ما روى عن معاوية أنه استدعى شهوداً فشهد السلولى وسواه (٤٧٨) غسل من الحق ، ما روى عن السلولى ، فإنه لم يكن قط . وأسعد باسقاط ما روى فى القصة سعيد أو سعد . وأما كلام أبى بكرة — أخيه لأمه — فيه فغير ضائر له ، لأن ذلك رأى أبى بكرة واجتهاد . وأما قولهم فيها عن أبى بكرة أنه زنّى أمه ، فلو كان ذلك صحيحاً لم يضرّ أمه ما جرى فى الجاهلية فى الدين ، فإن الله عفا عن [أمر] الجاهلية كلها بالإسلام ، وأسقط الاثم والعار منه ، فلا يذكره إلا جاهل به .

قال القاضى أبو بكر (رضى الله عنه) : والناس إذا لم يجدوا عيبا لأحد وغلبهم الحسد عليه وعداوتهم له أحدثوا له عيوبا . فاقبلوا الوصية ، ولا تلتفتوا إلا إلى ما صح من الأخبار ، واجتنبوا — كما ذكرت لكم — أهل التواريخ ، فإنهم ذكروا عن السلف أخبارا صحيحة يسيرة ليتوسلوا بذلك إلى رواية الأباطيل ، فيقذفوا — كما قدمنا — فى قلوب الناس ما لا يرضاه الله تعالى ، وليحتقروا السلف ويهونوا الدين ، وهو أعز من ذلك ، وهم أكرم منا ، فرضى الله عن جميعهم .

ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك التى يختلقها اهل التواريخ فيدسونها فى قلوب الضعفاء ، وهذا زياد لما أحسن المنية

---

(٤٧٨) السلولى مالك بن ربيعة أبو مريم ، وكان ذلك سنة ٤٤ ، وكان معه فى الشهادة زياد بن أسماء الحرمازى والمنذر بن الزبير — فيما ذكر المدائنى بأسانيده — وجويرية بنت أبى سفيان والمسور بن قدامة الباهلى وابن أبى نصر الثقفى وزيد بن نفيل الأزدى وشعبة بن العلقم المازنى ورجل من بنى عمرو ابن شيبان ورجل من بنى المصطلق ، شهدوا كلهم على ابى سفيان ان زياداً ابنه، الا المنذر فشهد أنه سمع علياً يقول : أشهد أن أبا سفيان قال ذلك . فخطب معاوية فاستلحق زيادا ، وتكلم زياد فقال : ان كان ما شهد به الشهود حقاً فالحمد لله ، وان كان باطلا فقد جعلتهم بينى وبين الله . [خ]

استخلف سمرة بن جندب من كبار الصحابة فقبل خلافته ، وكيف يظن به ــ على منزلته ــ أنه يقبل ولاية ظالم لغير رشدة ، وهو على ما هو عليه من الصحبة ، وذلك من غير إكراه ولا تقية ؟ إن هذا لهو الدليل المبين . فمع من تحبون أن تكونوا : مع سمرة بن جندب ، أو مع المسعودى والمبرد وابن قتيبة ونظرائهم (٤٧٩) ؟ وهذا غاية فى البيان .

* * *

قاصمة

كانت الجاهلية مبنية على العصبية ، متعاملة بينها بالحمية . فلما جاء الإسلام بالحق ، وأظهر الله منته على الخلق ، قال الله سبحانه « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » (آل عمران : ١٠٣) ، وقال لنبيه « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم » (الأنفال : ٦٣) فكانت بركة النبى صلى الله عليه وآله وسلم تجمعهم ، وتجمع شملهم ، وتصلح قلوبهم ، وتمحو ضغائنهم .

واستأثر الله برسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونفرت النفوس ، وتماسكت الظواهر منجرة ، مادام الميزان قائما . فلما رفع الميزان ــ كما تقدم ذكره فى الحديث ــ أخذ الله القلوب عن الألفة ، ونشر جناحاً من التقاطع ، حتى سوى جناحين بقتل عثمان ، فطار فى الآفاق ، واتصل الهرج إلى يوم المساق . وصارت الخلائق عزين (٤٨١) ، وفى واد من العصبية يهيمون :

---

(٤٧٩) حكم القاضى أبو بكر على ابن قتيبة هذا الحكم القاسى وهو يظن أن كتاب (الامامة والسياسة) من تأليفه كما سيأتى . وكتاب الامامة والسياسة فيه أمور وقعت بعد موت ابن قتيبة ، فدل ذلك على أنه مدسوس عليه من خبيث صاحب هوى . ولو عرف المؤلف هذه الحقيقة لوضع الجاحظ فى موضع ابن قتيبة . [خ]

(٤٨١) جمع عزة : العصبة من الناس .

فمنهم بكرية ، وعمرية ، وعثمانية ، وعلوية ، وعباسية ــ كل تزعم أن الحق معها وفى صاحبها ، والباقى ظلوم غشوم مقتر من الخير عديم . وليس ذلك بمذهب ، ولا فيه مقالة ، وإنما هى حماقات وجهالات ، أو دسائس للضلالات ، حتى تضمحل الشريعة ، وتهزأ الملحدة من الملة ، ويلهو بهم الشيطان ويلعب ، وقد سار بهم فى غير مسير ولا مذهب .

قالت البكرية ، أبو بكر نص عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الصلاة ، ورضيته الأمة للدنيا ، وكان عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم بتلك المنزلة العليا ، والمحبة الخالصة . وولى فعدل ، واختار فأجاد . إلا أنه أوهم فى عمر فإنه أمره غليظ ، وفظاظته غلبت . وذكروا معايب . وأما عثمان فلم يخف ما عمل وكذلك على . وأما العباس فغير مذكور .

وقالت العمرية : أما أبو بكر ففاضل ضعيف ، وعمر إمام عدل قوى بمدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم له فى حديث الرؤيا والدلو والعبقرى كما تقدم . وأما عثمان فخرج عن الطريق : ما اختار واليا ، ولا فى أحداً حقا ، ولا كف أقاربه ، ولا اتبع سنن من كان قبله . وأما علىٌ فجرىء على الدماء . لقد سمعت فى مجالس أن ابن جريج (٤٨٣) كان يقدم عمر على أبى بكر وسمعت الطرطوشى يقول : لو قال أحد بتقديم عمر لتبعته .

وقالت العثمانية : عثمان له السوابق المتقدمة ، والفضائل والفواضل فى الذات والمال ، وقتل مظلوماً .

وقالت العلوية : على ابن عمه وصهره وأبو سبطى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وولد النبى صلى الله عليه وآله وسلم حضانة .

وقالت العباسية : هو أبو النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأولاهم بالتقديم بعده . وطولوا فى ذلك من الكلام ما لا معنى لذكره لدناءته (٤٨٥) . ورووا أحاديث لا يحل لنا أن نذكرها لعظيم الافتراء فيها ودناءة رواتها .

---

(٤٩٣) عبد الملك بن عبد العزيز المكى أحد الأعلام توفى سنة ١٥٠ . [خ]
(٤٨٥) وأكثر ذلك كان فى زمن دولتهم . [خ]

وأكثر الملحدة على التعلق بأهل البيت [٤٨٦] ، وتقدمة عليٍّ على جميع الخلق ، حتى إن الرافضة انقسمت إلى عشرين فرقة أعظمهم بأساً من يقول إن علياً هو الله . والغرابية يقولون إنه رسول الله لكن جبريل عدل بالرسالة عنه إلى محمد حميةً منه معه .. فى كفر بارد لا تسخنه إلا حرارة السيف ، فأما دفء المناظرة فلا يؤثر فيه .

* * *

(٤٨٦) يتخذونهم ذريعة ، ويطعنون فى كثير من أفاضلهم ، ويعرضون بمثل الامام زيد . ثم انهم يخالفون صريح شريعة جد أهل البيت بدعوى العصمة والتأليه الفعلى لبعض أفرادهم . [خ]

عاصمة

إنما ذكرت لكم هذا لتحترزوا من الخلق ، وخاصة من المفسرين ، والمؤرخين ، وأهل الآداب ، فإنهم أهل جهالة (٤٨٧) بحرمات الدين ، أو على بدعه مصرين ، فلا تبالوا بما رووا ، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث ، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاما إلا للطبري (٤٨٨) ، (٤٨٩) ، وغير ذلك هو الموت الأحمر ، والداء الأكبر ، فإنهم ينشئون أحاديث استحقار الصحابة والسلف (٤٩٠) ، والاستخفاف بهم ، واختراع الاسترسال في الأقوال والأفعال

---

(٤٨٧) يقصد بذلك المفسرين الجاهلين بعلم الحديث ، مادام ان الرسول يشرح القرآن . وخير التفاسير : تفسير الامام ابن كثير . [م]

(٤٨٨) لعل القاضي ابن العربي قصد من كلامه أن تاريخ الطبري ذكر حوادثه مسنده الى رجالها ، وفيهم الصادق وفيهم الكاذب . ويستطيع المؤرخ العالم بالرجال تمييز الحق من الباطل . اما غير العالم بعلم الأسانيد ، فيضل ضلالا بعيداً بقراءته لتاريخ الطبري ، فيكون مثله مثل حاطب ليل يحمل الأفعى وهو لا يدري وفي ذلك هلاكه وضلاله .

وقد ناقشنا بعض أساتذة التاريخ في بعض الجامعات العربية وذكرت لهم خطأ ما كتبوا ، فكان يؤيدون كلامهم بأنهم انما كان مصدرهم تاريخ الطبري.[م]

(٤٨٩) ومع ذلك فالطبري ذكر مصادر اخباره وسمى رواتها لتكون من امرهم على بينة ، وقال في آخر مقدمة كتابه : فما يكن في كتابي هذا من خبر يستنكره قارئه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وانما أتي من قبل بعض ناقليه الينا . [خ]

(٤٩٠) ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يقول الله تعالى (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو انفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » مخرج من الصحيحين .

ففي هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبهم وافترى عليهم وعابهم وكفرهم واجترأ عليهم . وفي الحديث : « حب الأنصار من الايمان وبغضهم من النفاق » .

عنهم ، وخروج مقاصدهم عن الدين إلى الدنيا ، وعن الحق إلى الهوى . فإذا قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول ، سلمتم من هذه الحبائل ، ولم تطووا كشحا على هذه الغوائل . ومن أشد شيء على الناس جاهل عاقل (٤٩١) ، أو مبتدع محتال . فأما الجاهل فهو ابن قتيبة ، فلم يبق ولم يذر للصحابة رسما في كتاب (الامامة والسياسة) إن صح عنه جميع ما فيه (٤٩٢) وكالمبرد في كتابه الأدبي (٤٩٣) . وأين عقله من عقل ثعلب الامام

=

ولولاهم ما وصل الينا من الدين اصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضاً . ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئاً .

فمن طعن فيهم أو سبهم ، فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين ، لأن الطعن لا يكون الا عن اعتقاد مساويهم واضمار الحقد عليهم وانكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم . وما ذكره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ، ولأنهم ارضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول والطعن في الوسائط طعن في الأصل والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول . وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والالحاد في عقيدته .

وقد نص النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث العرباض بن سارية حيث قال : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور (الحديث) .

وقال تعالى : (ثاني اثنين اذ هما في الغار) الآية . الا خلاف أيضاً ان ذلك في أبي بكر رضي الله عنه شهدت له الربوبية بالصحبة وبشره بالسكينة وخلاه بثاني اثنين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (من يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثهما) وقال تعالى : (والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) قال جعفر الصادق : لا خلاف ان الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذى صدق به أبو بكر رضي الله عنه واى منقبة ابلغ من ذلك فيهم رضي الله عنهم جميعاً . [م]

(٤٩١) هكذا في الأصل ، ولعل الصحيح : « غافل » . ومثل المسعودى في الدس على الدس على التاريخ مدفوعاً بالتشيع المقوت الاصفهاني في كتابه الأغاني فانه ينسب الى يزيد شرب الخمور وعشق النهود وانه مات بين العاشقات فعلى الاصفهاني ما يستحق على افترائه وكذبه . [م]

(٤٩٢) لم يصح عنه شيء مما فيه . ولو صحت نسبة هذا الكتاب للامام الحجة الثبت أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة لكان كما قال عنه ابن العربي ؛ لأن كتاب الامامة والسياسة مشحون بالجهل والغباوة والركة

=

المتقدم فى أماليه ، فإنه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة . وأما المبتدع المحتال فالمسعودى ، فإنه بها يأتى منه متاخمة الالحاد فيما روى من ذلك ، وأما البدعة فلا شك فيه (٤٩٤) . فإذا صنتم أسماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل ، ولم تسمعوا فى خليفة ممن ينسب إليه ما لا يليق ويذكر (عنه) ما لا يجوز نقله ، كنتم على منهج السلف سائرين ، وعن سبيل الباطل ناكبين ..

والكذب والتزوير . ولما نشرت لابن قتيبة كتاب (الميسر والقداح) قبل اكثر من ربع قرن ، وصدرته بترجمة حافلة له ، وسميت مؤلفاته ، ذكرت (فى ص ٢٦ ـ ٢٧) مآخذ العلماء على كتاب الامامة والسياسة ، وبراهينهم على انه ليس لابن قتيبة . وازيد الآن على ما ذكرته فى (الميسر والقداح) أن مؤلف الإمامة والسياسة يروى كثيرا عن اثنين من كبار علماء مصر وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا اخذ عن هذين العالمين ، فدل ذلك كله على أن الكتاب مدسوس عليه . [خ]

(٤٩٣) المبرد ينزع الى شيء من رأى الخوارج ، وله فيهم هوى . وان امامته فى اللغة والأدب لا تغطى على ضعفه فى علم الرواية والاسناد . واذا كان أبو حامد الغزالى على جلالته فى العلوم الشرعية والعقلية .

(٤٩٤) على بن الحسين المسعودى يعده الشيعة من شيوخهم وكبارهم ، ويذكر له المامقانى فى تنقيح المقال (٢ : ٢٨٢ ـ ٢٨٣) مؤلفات فى الوصاية وعصمة الامام وغير ذلك مما يكشف عن عصبيته والتزامه غير سبيل اهل السنة المحمدية . ومن طبيعة التشيع والتحزب والتعصب البعد بصاحبه عن الاعتدال والانصاف . [خ]

(*) لم يتجاوز له العلماء عن ضعفه فى علوم الاسناد فاحرى الا يتجاوزوا عن مثل ذلك للمبرد . وعلى كل حال فكل خبر مما مضى أو سيأتى ـ فى أمتنا أو فى اى أمة غيرها ـ يحتمل الصدق والكذب حتى يثبت صدقه أو كذبه على محك الاختبار وبالبحث العلمى . [م]

(**) ليس هذا الكلام على اطلاقه ، فان للغزالى عثرات رهيبة فى كثير مما ذهب اليه فى العقليات وغيرها ومن اراد التحقيق فليراجع كتاب « تلبيس أبليس » للامام ابن الجوزى وفتاوى شيخ الاسلام الامام ابن تيمية رحمهما الله . [م]

فهذا مالك رضى الله عنه قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان فى موطأه ، وأبرزه فى جملة قواعد الشريعة (٤٩٥) .

وقال فى روايته : « عن زياد بن أبى سفيان » ، فنسبه إليه وقد علم قصته ، ولو كان عنده ما يقول العوام حقاً لما رضى أن ينسبه ولا ذكره فى كتابه الذى أسسه للإسلام (٤٩٦) ، وقد جمع ذلك كله فى أيام بنى العباس والدولة لهم والحكم بأيديهم فما غيروا عليه ولا أنكروا ذلك عنه لفضل علومهم ومعرفتهم بأن مسألة زياد مسألة قد اختلف الناس فيها فمنهم من جوزها ومنهم من منعها ، فلم يكن لاعتراضهم إليها سبيل .

وكذلك أعجبهم ـ حين قرأ الخليفة على مالك الموطأ ـ ذكر عبد الملك ابن مروان فيه وإذكاره بقضائه ، لأنه إذا احتج العلماء بقضائه فسيحتج بقضائه أيضاً مثله ، وإذا طعن فيه طعن فيه بمثله (٤٩٧) .

---

(٤٩٥) من ذلك ما جاء فى (باب المستكرهة من النساء) بكتاب الأقضية من الموطأ (ص ٧٣٤) : حدثنى مالك عن ابن شهاب أن عبد الملك ن مروان قضى فى امرأة أصيبت مستكرهة بصداقها على من فعل ذلك بها . وفى كتاب المكاتب من الموطأ (ص ٧٨٨) قضاء آخر لعبد الملك . وفى كتاب العقول من الموطأ (ص ٨٧٢) قضاء له أيضا . أما أبوه مروان بن الحكم فأقضيته وفتاواه كثيرة فى الموطأ . . وغيره من كتب السنة المتداولة فى أيدى أئمة المسلمين يعملون بها . وانظر لورع مروان وابنه عبد الملك حديث مالك عن ابن أبى عبلة فى كتاب النكاح من الموطأ (ص ٥٤٠) . [خ]

(٤٩٦) وعامر بن شراحيل الشعبى كان من أئمة المسلمين كذلك ، بل ان مالكا كان يراه أماماً له . وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة زياد من تاريخ دمشق (٥ : ٤٠٦) أن الشعبى قال : أتت زياداً قضية فى رجل مات وترك عمة وخالة فقال : « لأقضين بينكم بقضاء سمعته من عمر بن الخطاب » وذلك انه جعل العمة بمنزلة الأخ والخالة بمنزلة الأخت . [خ]

(٤٩٧) وممن روى عن عبد الملك بن مروان البخارى فى كتابه (الأدب المفرد) روى عن عبد الملك الامام الزهرى وعروة بن الزبير ، وخالد بن معدان من فقهاء التابعين وعبادهم ، ورجاء بن حيوة أحد الأعلام . قال نافع مولى ابن عمر : لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميراً ولا أفقه ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان . وروى الأعمش عن أبى الزناد أن فقهاء المدينة كانوا أربعة : سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب =

وأخرج البخارى (٤٩٨) عن عبد الله بن دينار قال : شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان كتب : إنى أقر بالسمع والطاعة لعبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ، ما استطعت . وإن بنىّ قد أقروا بمثل ذلك .

وهذا المأمون كان يقول بخلق القرآن ، وكذلك الواثق ، وأظهروا بدعتهم ، وصارت مسألة معلومة إذا ابتدع القاضى أو الإمام هل تصح ولايته وتنفذ أحكامه أم هى مردودة ؟ وهى مسألة معروفة . وهذا أشد من برودات ذكرها أصحاب التواريخ من أن فلاناً الخليفة شرب الخمر أو غنى أو فسق أو زنى ، فإن هذا القول فى القرآن بدعة أو كفر ـ على اختلاف العلماء فيه ـ قد اشتهروا به ، وهذه المعاصى لم يتظاهروا بها إن كانوا فعلوها فكيف يثبت ذلك عليهم بأقوال المغنين والبراد من المؤرخين (الذين) قصدوا بذكر ذلك عنهم تسهيل المعاصى على الناس وليقولوا إذا كان خلفاؤنا يفعلون هذا فما يستبعد ذلك منا . وساعدهم الرؤساء على إشاعة هذه الكتب وقراءتها لرغبتهم فى مثل أفعالهم حتى صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، وحتى سمحوا للجاحظ (٤٩٩) أن تقرأ كتبه فى المساجد وفيها من الباطل والكذب

=
وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل الامارة . وقال الشعبى : ما جالست احدا الا وجدت لى الفضل عليه ، الا عبد الملك بن مروان فانى ما ذاكرته حديثاً الا زادنى منه ، ولا شعرا الا زادنى فيه (البداية والنهاية ٩ : ٦٢ ـ ٦٣) .(خ)

(٤٩٨) فى كتاب الأحكام من صحيحه (ك ٩٣ ب ٤٣ ج ٨ ص ١٢٢) . وانظر السنن الكبرى للبيهقى ٨ : ١٤٧ . (خ)

(٤٩٩) قال ابن قتيبة يصف الجاحظ وتلاعبه ونفاقه :

تجده يحتج مرة للعثمانية على الرافضة ، ومرة للزيدية على العثمانية وأهل السنة .

ومرة يفضل علياً رضى الله عنه ، ومرة يؤخره ، ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويتبعه قال : الجماز ، وقال اسماعيل بن غزوان : كذا وكذا من الفواحش .

ويجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ان يذكر فى كتاب ذكرا فيه فكيف فى ورقة ، أو بعد سطر وسطرين !

ويعمل كتاباً ، يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين . فاذا صار الى الرد
=

والمناكير ونسبة الأنبياء إلى أنهم ولدوا لغير رشدة كما قال فى إسحاق صلى الله عليه وآله وسلم فى كتاب الضلال والتضليل ، وكما مكنوا من قراءة كتب الفلاسفة (٥٠٠) فى إنكار الصانع وإبطال الشرائع لما لوزرائهم وخواصهم فى

= عليهم ، تجوز فى الحجة ، كأنه انما أراد تنبيههم على ما لا يعرفون ، وتشكيك الضعفة من المسلمين .

وتجده يقصد فى كتبه للمضاحيك والعبث ، يريد بذلك استمالة الأحداث ، وشرّاب النبيذ .

ويستهزىء من الحديث ، استهزاء ، لا يخفى على أهل العلم . كذكره كبد الحوت ، وقرن الشيطان ، وذكر الحجر الأسود وانه كان أبيض ، فسوّدة المشركون ، وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا .

ويذكر الصحيفة التى كان فيها المنزل فى الرضاع ، تحت سرير عائشة ، فأكلتها الشاة . .

وهو ــ مع هذا ــ من أكذب الأمة وأوضعهم لحديث ، وانصرهم لباطل . . (تأويل مختلف الحديث ص ٥٩ ــ ٦٠) . [خ]

(٥٠٠) ان قصة المسلمين مع الفلسفة اليونانية قصة مليئة بالفواجع والنكبات . والغريب ــ والغريب جداً ــ أنه لا يزال الكثير من مثقفينا يعتقد أن سبب نهضة المسلمين يعود الى هذه الفلسفة ، مع انها كانت من أعظم أسباب نزاعهم وبعدهم عن دينهم وضياع مجدهم ، وقد تحقق فيهم خبر أحد الأحبار :

وتفصيل ذلك ــ كما رواه العلامة الشيخ محمد السفارينى ــ « قال العلماء ان المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى ــ أظنه صاحب جزيرة قبرص ــ طلب منه خزانة كتب اليونان ، وكانت عندهم مجموعة فى بيت لا يظهر عليه أحد ، فجمع الملك خواصه من ذوى الرأى واستشارهم فى ذلك ، فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها اليه الا واحد ، فانه قال : جهزها اليهم ! فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية الا أفسدتها وأوقعت بين علمائها !! » لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية فى عقد الفرقة المرضية ج ١ ص ٩ .

ومن الجدير بالذكر أن أولئك النصارى قد طمروا هذه الفلسفة تحت الأرض تخلصاً من شرها لما لمسوه من فسادها وهدمها للدين والفضيلة !

أجل قد تحقق فى المسلمين تنبؤ الخبر ، فما كاد علماء المسلمين ــ بعد أن بلغ مجد الاسلام ذروته فى القوة والفتح والعلم ــ يشتغلون بفلسفة اليونان ، حتى راحوا يؤولون نصوص الشريعة الاسلامية حتى تتفق مع هذه الفلسفة فمسخوا الاسلام واخذوا يزعمون أن للاسلام ظاهراً وباطناً ، ظاهره للعامة ، =

ذلك من الأغراض الفاسدة والمقاصد الباطلة ، فإن زل فقيه أو أساء العبارة عالم :

=
وباطنه للعلماء والحكماء ، وأخذوا يشتغلون بعلم الكلام يسمونه ظلماً وعدواناً بعلم التوحيد ، ولا يكاد يكون فيه من التوحيد الا الاسم ، أما محتواه ، فهو الفلسفة ــ نفسها وقد حرم دراسته كبار علماء السلف وأئمة المذاهب أمثال مالك والشافعى وابن حنبل رضى الله تعالى عنهم .

قال شيخ الاسلام الامام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ « ما أظن الله يغفل عن المأمون ، ولابد أن يعاقبه على ما أدخله على هذه الأمة ! » .

وقد انبرى هذا الامام العظيم للفلاسفة المنحرفين المتصفين بالمسلمين الذين نهلوا من حمأة الفلسفة اليونانية وأثبت زيفهم وضلالهم وانحرافهم فى كثير من كتبه التى دخل فيها التاريخ ، وحق لكليات الفلسفة فى البلدان العربية والاسلامية دراسة آرائه وردوده على الفلسفة اليونانية وعلى الذين اعتنقوها من المسلمين .

ولم ينج من هذا الضلال والانحراف الا السلفيون المستمسكون بهدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذين عصمهم الله سبحانه لتمسكهم بنصوص الشريعة الثابتة ، فكانوا فى وجه تيار الفلسفة الجارف وعاصفته الهوجاء كالجبل الأشم ، وكالصخرة الصلدة .

وكان يزيدها مر الليالى جدة وتقادم الأيام حسن شباب ! فكانوا يمسكون بكتاب الله وسنة نبيه دون تأويل ولا تعطيل فى أسماء الله وصفاته .

ومن قال ان الشهب أكبرها السنا
بغير دليل كذبته الدلائل !

وقد تحدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الاختلاف الذى سيقع بين المسلمين وعن طريقة النجاة منه فقال :

(ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة !! وهى من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى !) ــ رواه أبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة بسند صحيح ــ .

ان أهل القرآن والحديث رحم الله موتاهم وبارك فى أحيائهم وأمدهم بقوته وتوفيقه ، هم مصابيح الهدى والدعاة الى الرشاد والتقى ، من عاداهم هلك ، ومن تركهم ضل ، وهم المنصورون على خصومهم ، بشرهم بذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

« لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، وهم ظاهرون على الناس ! » ــ رواه البخارى ومسلم ــ ، وقد ذكر الامام أحمد بن حنبل وابن المبارك وسفيان الثورى وغيرهم من كبار العلماء بأن

هذه الطائفة هم أهل الحديث الذين يتعاهدون مذهب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويذبون عنه الظلم ، لولاهم لأهلك الناس المعتزلة وأهل الرأى .

حسبهم شرفاً وفخراً أنهم جعلوا السنة نبراساً لهم فكانوا هداة مهديين وغدوا مصابيح الهدى .

نقلا عن مجلة التمدن الاسلامى مجلد ٣٣ (٩ ــ ١٢) ص ١٩١ ــ ١٩٢ .

قال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

وقد كانوا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة ، قال مالك رحمة الله : « السنة مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك » وهذا حق ، فان سفينة نوح انما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم ، وأن من لم يركبها فقد كذب المرسلين . واتباع السنة هو اتباع الرسالة التى جاءت من عند الله ، فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح فى السفينة باطناً وظاهراً والمتخلف عن اتباع الرسالة بمنزلة المتخلف عن اتباع نوح عليه السلام وركوب السفينة معه .

وهكذا اذا تدبر المؤمن العالم سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم التى فيها ضلال وكفر ، وجد القرآن والسنة كاشفين لأحوالهم ، مبينين لحقهم ، مميزين بين حق ذلك وباطله . والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك ، كما كانوا اقوم الخلق بجهاد الكفار والمنافقين ، كما قال فيهم عبد الله بن مسعود ، « من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات ــ يقصد الصحابة ــ فان الحى لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، واقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بدينهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم . (فتاوى ابن تيمية ٤ / ١٣٧ ــ ١٣٨) .

فأخبر عنهم بكمال بر القلوب ، وكمال عمق العلم ، وهذا قليل فى المتأخرين ..

وما احسن ما قاله الامام احمد : « أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم (المصدر السابق ص ١٥٥) » .

نعود بعد هذا الاستطراد الى المأمون فنقول :

ومع كل الطامات له وقد ذكرنا بعضها فيما سبق ، يعتقد بعضهم ان عصره كان عصراً ذهبياً فى تاريخ المسلمين ، وكم كنا نود أن نتحدث عن محاربته لأهل السنة وتعذيبه لهم وعلى راسهم الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ورضى عنه ، واكرامه لأصحاب الاعتزال والزنادقة ، غير ان المقام لا يتسع لذلك . [م]

(٥٠١) كبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها . والشعر للأعشى ، وتمامه :

ومن يغترب عن قومه لا يزل يرى مصارع مظلوم مجرراً ومسحبا
وتدفن منه الصالحات ، وان يسيء يكن ما أساء النار فى رأس كوكبا[خ]

وبالوقوف على هذه الفصول (٥٠٢) تحسن نياتكم ، وتسلم [من] التغير قلوبكم على من سبق .

وقد بينت لكم أنكم لا تقبلون على أنفسكم فى دينار ، بل فى درهم ، إلا عدلا بريئاً من التهم ، سليما من الشهوة . فكيف تقبلون فى أحوال السلف (٥٠٣) وما جرى بين الأوائل ممن ليس له مرتبة فى الدين ، فكيف فى العدالة !

---

(٥٠٢) لاشك أن هذا الكتاب القيم سيحدث انقلاباً عظيماً فى نفوس قرائه ، وسيزيل من افكارهم ما علق فيها من الدسائس التى ثبت لهم كذبها . وقد تلقوها فى كتب التاريخ التى لا يزال ابناؤنا — ويا للأسف — يتدارسونها ، فسممتهم ، وهى من وضع خصوم الاسلام .

كل ما عزاه أعداء الصحابة .. رضوان الله عليهم أورده القاضى أبو بكر ابن العربى وسماه (قواصم) وأجاب عن كل قاصمة بعاصمة من الحق عن اصدق المصادر ، واصحها بعد كتاب الله . ومن ذلك تألف كتاب « العواصم من القواصم » الذى علقنا عليه بما لم يترك مقالا لقائل ، فارجع اليه لتطهير قلبك من الغل على الذين آمنوا من تلاميذ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وخاصة احبابه . فان اعداءهم شحنوا الكتب بالاكاذيب التى انتشرت وافسدت قلوب بعض المسلمين على سلفهم الأول ، الى أن اظهر الله — سبحانه — الحق بكتاب : « العواصم من القواصم » فانتفع به الكثيرون ولله الحمد والمنة .

وستعجب — أيها القارىء — بعد الاطلاع على الحقائق التاريخية هناك كيف ان الأمة الاسلامية ذهبت ضحية لشرذمة من الطغام الخارجين على أعدل عصور الاسلام واسعدها منذ كذبوا ، ثم كذبوا ، حتى انخدع الناس بأكاذيبهم ، فظنوا سحرها حقيقة ، ولكن ما لبثت الوقائع ان تبينت كما هى ، فجاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا . (محب الدين الخطيب المنتقى ص ٣٧٤) . م

(٥٠٣) جاء فى العقيدة الطحاوية وشرحها .

وعلماء السلف من السابقين ، ومن بعدهم من التابعين — أهل الخير والأثر ، وأهل الفقه والنظر — لا يذكرون الا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل .

قال تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » (النساء : ١١٥) فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن ، خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم — فيما اذا بلغونا عن الرسول — يهتدى بهم فى ظلمات البر والبحر . وقد أجمع

رحم الله عمر بن العزيز حيث قال : وقد تكلموا فى الذى جـــرى بين الصحابة : « تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون » (٥٠٤) (البقرة : ١٣٤) .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

= المسلمون على هدايتهم ودرايتهم اذ كل أمة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم علماؤها شرارها ، الا المسلمين ، فان علماءهم خيارهم . فانهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى أمته . والمحيون لما مات من سنته . فبهم قام الكتاب ، وبه قاموا . وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا . وكلهم متفقون اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

ولكن اذا وجد لواحد منهم قول جاء حديث صحيح بخلافه ، فلابد له فى تركه من عذر ، وجماع الاعذار ثلاثة أصناف (*) ، أحدها : عدم اعتقاده ان النبى ﷺ قاله . والثانى : عـدم اعتقـــاده أنه أراد تلك المســـــــألة بذلك القول . والثالث : اعتقاده ان ذلك الحكم منسوخ فلهم الفضل علينا ، والمنة بالسبق ، وتبليغ ما أرسل به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الينا ، وايضاح ما كان منه يخفى علينا ، فرضى الله عنهم ، وأرضاهم . (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنـــوا انك رؤوف رحيم) الحشر : ١٠ . [م]

(٥٠٤) وسئل الامام ابن تيمية رحمه الله عما شجر بين الصحابة : على ، ومعاوية ، وطلحة ، وعائشة هل يطالبون به أم لا ؟

فأجاب : قد ثبت بالنصوص الصحيحة ان عثمان وعلياً وطلحة والزبير وعائشة من أهل الجنة . بل قد ثبت فى الصحيح : انه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة .

وأبو موسى الأشعرى ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبى سـفيان ، هم من الصحابة ، ولهم فضائل ومحاسن .

وما يحكى عنهم كثير منه كذب . والصدق منه كانوا فيــــه مجتهدين . فالمجتهد اذا اصاب فله أجران ، وان اخطأ فله أجر ، وخطؤه يغفر له .

وان قدر ان لهم ذنوباً ، فالذنوب لا توجب دخول النار مطلقاً ، الا اذا انتفت الأسباب المانعة من ذلك وهى عشرة . منها : ـ التوبة ، ومنها الاستغفار ، ومنها الحسنات الماحية ، ومنها المصائب المكفرة ، ومنها شفاعة النبى صلى الله

(*) ومن أراد الوقوف على مزيد من المعرفة فليقرأ الكتاب الفذ « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله [س] .

. . . .

=

عليه وآله وسلم ، ومنها شفاعةغيره ، ومنها دعاء المؤمنين ، ومنها ما يهدى للميت من الثواب والصدقة والعتق ، ومنها فتنة القبر ، ومنها أهوال القيامة .

وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « خير القرون القرن الذى بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

وحينئذ فمن جزم فى واحد من هؤلاء بأن له ذنباً يدخل به النار قطعاً ، فهو كاذب مفتر ، فانه لو قال : لا علم له به ، لكان معطلا ، فكيف اذا قال : ما دلت الدلائل الكثيرة على نقيضه ؟ فمن تكلم فيما شجر بينهم — وقد نهى الله عنه : من ذمهم أو التعصب لبعضهم بالباطل ، فهو ظالم معتد .

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين ، تصلهم أولى الطائفتين بالحق » وقد ثبت عنه فى الصحيح انه قال عن الحسن : « ان ابنى هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

وفى الصحيحين عن عمار : انه قال : تقتله الفئة الباغية . وقد قال تعالى : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل ، واقسطوا ان الله يحب المقسطين) .

فثبت بالكتاب والسنة واجماع السلف على أنهم مؤمنون مسلمون ، وان على بن ابى طالب والذين معه كانوا اولى بالحق من الطائفة المقابلة له ، والله أعلم . (الفتاوى ٤ / ٤٣٢ — ٤٣٣) .

وما أحسن ما قاله الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : « . . انى لست من حربهم فى شىء : يعنى ان ما تنازع فيه علىٌ واخوانه لا ادخل بينهم فيه ، لما بينهم من الاجتهاد والتأويل الذى هم اعلم به منى . وليس ذلك من مسائل العلم التى تعنينى حتى اعرف حقيقة حال كل واحد منهم . وانا مأمور بالاستغفار لهم ، وأن يكون قلبى لهم سليماً ، ومأمور بمحبتهم وموالاتهم ، ولهم من السوابق والفضائل ما لا يهدر » . [م]

ملاحـــق (*)

أضفنا الى مباحث هذا الكتاب الملاحق التالية زيادة في الايضاح واتماما للفائدة :

– ١ –

قد اطلق جلال الدين السيوطي في كتابه : « تاريخ الخلفاء » اسم الدولة الخبيثة على الفاطميين ، فقال : ولم أورد أحداً من الخلفاء العبيديين ، لأن امامتهم غير صحيحة لأمور :

منها : أنهم غير قرشيين ، وانما سمتهم بالفاطميين جهلة العوام ، والا فجدهم مجوسي . قال القاضي عبد الجبار البصري : اسم جد الخلفاء المصريين سعيد ، وكان أبوه يهودياً حداداً نشابة . وقال القـاضي ابو بكر البـاقلاني : القداح جد عبيد الله الذي يسمى بالمهدي كان مجوسـياً ، ودخـل عبيـد الله المغرب ، وادعى أنه ينسب الى على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، ولم يعرفه أحد من علماء النسب ! وسـماهم جهـلة النـاس الفاطميـين . وقال ابن خلكان : أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيد الله جد خلفـاء مصر ،حتى ان العزيز بالله ابن المعز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة ، فوجد هناك ورقة فيها هذه الأبيات :

انا سـمعنا نسـباً منكـراً ... يتلى على المنـبر الجـامع
ان كنت فيـما تدعي صـادقاً ... فاذكر أبا بعـد الأب السـابع
وان تـرد تحقيـق ما قلتـه ... فانسب لنـا نفسـك كالطـائع
أو لا دع الأنسـاب مسـتورة ... وادخل بنا في النسب الواسـع
وان أنسـاب بني هاشـم ... يقصر عنهـا طمـع الطـامع !

وكتب العزيز الى الأموي صاحب الأندلس كتاباً سبه فيه ، وهجاه ، فكتب اليه الأموي : « أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك » ـ يعني انه دعيء لا نعرف قبيلته ، وما أحسن ما قال حفيده المعز صاحب القاهرة : وقد سأله ابن طباطبا عن نسبهم ، فجذب نصف سيفه من الغمد وقال : هـذا نسبي ، ونثر على الأمراء والحاضرين الذهب وقال : هذا حسبي .

(*) اضافها الأستاذ محمود مهدي الاستانبولي ـ حفظه الله .

ومنها : أن اكثرهم زنادقة خارجون عن الاسلام ، ومنهم من أظهر سبّ الأنبياء ، ومنهم من أباح الخمر ، ومنهم من أمر بالسجود له ! والخيّر منهم رافضي خبيث لئيم يأمر بسب الصحابة رضى الله تعالى عنهم . ومثل هؤلاء لا تنعقد لهم بيعة ، ولا تصح لهم امامة .

قال القاضي ابو بكر الباقلاني : كان المهدى عبيد الله باطنياً خبيثاً حريصاً على ازالة ملة الإسلام ، أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من اغواء الخلق ، وجاء أولاده على اسلوبه : اباحوا الخمور والفروج ، وأشاعوا الرفض .

وقال الذهبي : كان القائم بن المهدى شراً من أبيه زنديقاً ملعوناً أظهر سبّ الأنبياء ، وقال : وكان العبيديون شراً من التتار على ملة الاسلام !

وقال أبو الحسن القابسي : ان الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعبّاد أربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضى عن الصحابة ، فاختاروا الموت .

قال القاضي عياض : سئل أبو محمد القيرواني الكيزاني من علماء المالكية عمن أكرهه بنو عبيد — يعني مصر — على الدخول في دعوتهم أو يقتل ؟

قال : يختار القتل ! ولا يعذر أحد في هذا الأمر ، .. لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع وهو لا يجوز .

وقال ابن خلكان : وقد كانوا يدّعون علم المغيبات ، وأخبارهم في ذلك مشهورة ، حتى ان العزيز صعد يوماً المنبر ، فرأى ورقة فيها مكتوب :

ان كنت أعطيت علم غيب بين لنا كاتب البطاقة !!
بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحماقة

وكتبت اليه امراة قصة فيها : بالذى أعزّ اليهود بميشا ، والنصارى بابن نسطور ، واذل المسلمين بك ، الا نظرت في أمرى . وكان ميشا اليهودى عاملاً بالشام ، وابن نسطور النصراني بدمشق .

ومنها : ان مبايعتهم صدرت والامام العباسي قائم موجود سابق البيعة ، فلا تصح ، اذ لا تصح البيعة لامامين في وقت واحد ، والصحيح المتقدم (تاريخ الخلفاء ص ٤ — ٦ باختصار) .

وقد بنى العبيديون الجامع الأزهر لينشروا فيه ما يسمى بمذهب الرفض ، وكانوا يجبرون المسلمين على اعتناقه ولما قضى السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ورضى عنه على ملكهم أبطل ذلك وقرر بدلا منه المذهب الشافعي .

— ٢ —

لما كان غرضنا من نشر كتابه « العواصم من القواصم » الدفاع عن الصحابة رضوان الله عليهم وتبرئتهم مما نسبه اليه المفسدون والمضللون ، رأينا أن ننقل موجز البحث التالي للاستاذ محب الدين الخطيب وهو بعنوان : « حملة رسالة

الاسلام الأولون ، وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق والخير ، وكيف شوه المغرضون جمال سيرتهم » وكل ذلك اتماماً لبحث هذا الكتاب :

... قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم بدأ الاسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء » رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه وقد سئل صلى الله عليه وآله وسلم عن الغرباء فقال : الذين يحيون ما أمات الناس من سنتى .

ومن غربة الاسلام بعد البطون الثلاثة الأولى ، وهى القرون التى شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية فى قوله : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ــ قال عمران بن حصين : فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً » .

وتحديد ذلك الى نهاية الدولة الأموية ، وقد يلتحق به زمن الخلفاء الأولين من بنى العباس .

أجل ومن غربة الاسلام ، ظهور مؤلفين شوهوا التاريخ تقرباً للشيطان او الحكام ، فزعموا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكونوا اخواناً فى الله ، ولم يكونوا رحماء بينهم ، وانما كانوا أعداء يلعن بعضهم بعضاً ، ويمكر بعضهم ببعض ، وينافق بعضهم لبعض ، ويتآمر بعضهم على بعض ، بغياً وعدواناً .

لقد كذبوا (*) ، وكان ابو بكر وعمر وعثمان وعلى أسمى من ذلك وأنبل . وكانت بنو هاشم وبنو امية أوفى من ذلك لاسلامهما ورحمهما وقرابتهما ، واوثق صلة واعظم تعاوناً على الحق والخير .

حدثنى بعض الذين لقيتهم فى ثغر البصرة لما كنت معتقلا فى سجن الانكليز سنة ١٣٣٢ هـ ان رجلا من العرب يعرفونه ، كان ينتقل بين بعض قرى ايران فقتله القرويون لما علموا أن اسمه (عمر) قلت : وأى بأس يرونه باسم (عمر) ؟ قالوا حباً بأمير المؤمنين على : قلت : وكيف يكونون من شيعة على ، وهم يجهلون أن علياً سمى أبناءه ــ بعد الحسن والحسين ومحمد بن الحنيفة ــ بأسماء اصدقائه واخوانه فى الله (أبى بكر) و (عمر) و (عثمان) رضوان الله تعالى عليهم جميعاً . وام كلثوم الكبرى بنت على بن أبى طالب كانت زوجة لعمر ابن الخطاب ، ولدت له زيداً ورقية .. وعبد الله بن جعفر ذى الجناحين ابن أبى طالب سمى احد بنيه باسم (أبى بكر) وسمى أبناً آخر له باسم (معاوية) ، ومعاوية هذا ــ أى ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب سمى أحد

(*) من أعظم الأدلة على كذبهم ثناء الله سبحانه فى القرآن على الصحابة فى آيات كثيرة ــ ذكر بعضها فى أول هذا الكتاب ــ وقد قال تعالى فى وصفهم : « اشداء على الكفار رحماء بينهم » (الفتح : ٢٩) ، (كنتم خير أمة أخرجت للناس) آل عمران : ١١٠ .

بنيه باسم : (يزيد) . وعمر بن على بن ابى طالب كان من نسـله عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن ابى طالب سمى أحد بنيه (أبا بكر) وآخر باسم (عمر) وثالثاً باسم (طلحة) . وزين العابدين على بن الحسين سمى أحد أولاده باسم أمير المؤمنين (عمر) تيمناً وتبركاً . .

فهل يعقل أن هؤلاء الأقارب المتلاحمين الذين يتخيرون مثل هذه الأمهات لأنسالهم ، ومثل هذه الأسماء لفلذات أكبادهم ، كانوا على غير ما أراده الله — تعالى — لهم من الأخوة فى الاسلام والمحبة فى الله ، والتعاون على البر والتقوى (*) !!

لقد تواتر عن امير المؤمنين على رضى الله عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة : « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر » روى المحدثون والمؤرخون هذا عنه من اكثر من ثمانين وجهاً . ورواه البخارى وغيره . وكان على رضى الله عنه يقول : « لا أوتى بأحد يفضلنى على ابى بكر وعمر الا ضربته حد المفترى . . » ولهذا كان الشيعة المتقدمون متفقين على تفضيل أبى بكر وعمر . نقل عبد الجبار الهمدانى فى كتاب : (تثبيت النبوة) أن أبا القاسم نصر بن الصباح البلخى قال فى (كتاب النقض على ابن الروانى) : سأل شريك بن عبد الله فقال له : أيهما أفضل : أبو بكر أو علىٌّ ؟ فقال له : أبو بكر . فقال السائل : تقول هذا وأنت شيعى ؟! فقال له : « نعم : من لم يقل هذا فليس شيعياً !! والله لقد رقى هذه الأعواد على فقال : « ألا ان خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، فكيف نرد قوله ، وكيف نكذبه ؟ والله ما كان كذاباً » . .

وان خطبة أمير المؤمنين على بن ابى طالب فى نعت صديقه وامامه خليفة رسول الله أبا بكر يوم وفاته ، من بليغ ما كان يستطهره الناس فى الأجيال الماضية . وفى خلافة عمر دخل علىٌّ فى بيعته أيضاً ، وكان من أعظم اعوانه على الحق . وكان يذكره بالخير ويثنى عليه فى كل مناسبة ، وقد علمت أنه بعد أخيه وصهره عمر سمى ولدين من أولاده باسميهما ، ثم سمى ثالثاً باسم عثمان لعظيم مكانته عنده ، ولأنه كان امامه ما عاش . ا . هـ . باختصار .

— ٣ —

ان كتاب « نهج البلاغة » هو من الكتب المعتمدة عند الشيعة ، وينسبونه الى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، والحقيقة أن بعضه له ، والاكثر من وضع الرضى والمرتضى الشيعيين ، وفيه من الدس والافتراء الشيء الكثير . وقد

(*) من الرافضة من ينكر كل ذلك ، ومنهم من لا يستطيع انكارها ، لأن التاريخ يلقمه حجراً بل حجارة ، فيروح ويزعم ان آل البيت أمثال على والحسن وزين العابدين انما فعلوا ذلك تقية . وهم بذلك يطعنون بشجاعتهم وبطولتهم واخلاصهم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذباً ! .

رأينا أن ننقل عن هذا الكتاب بعض شهادات على في الثناء على أبى بكر وعمر وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، كما رأينا أن ننقل أيضا عن بعض كتب الشيعة المعتبرة لديهم شهادات أخرى لبعض آل البيت المتقدمين فى الصاحبين ، مع بعض التعليقات من كتاب التحفة الاثنى عشرية للشاه عبد العزيز الدهلوى مما يلقم أعداء الصحابة حجراً ويخرسهم الى الأبد !

١ — جاء فى نهج البلاغة : ان عمر بن الخطاب لما استشار عليا رضى الله تعالى عنهما عند انطلاقه لقتال فارس ، وقد جمعوا للقتال فرفض على ذهاب الخليفة عمر نفسه للاشتراك فى هذا القتال خوفاً على حياته وقال له : « ان هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ، وهو دين الله تعالى الذى اظهره ، وجنده الذى أعده وأمده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيثما طلع ، ونحن على وعد من الله تعالى حيث قال عز اسمه ، (وعد الله الذين آمنوا) وتلا الآية ، والله تعالى منجز وعده وناصر جنده . ومكان القيم بالأمر فى الاسلام ، مكان النظام من الخرز ، فان انقطع النظام تفرق الخرز ، ورب متفرق لم يجتمع . والعرب اليوم ، وان كانوا قليلا فهم كثيرون بالاسلام عزيزون بالاجتماع ، فكن قطباً واستدر الرحى بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب ، فانك ان شخصت من هذه الأرض انتفضت عليك العرب من اطرافها وأقطارها .

ان العجم ان ينظروا اليك غداً يقولوا : هذا أصل العرب ، فاذا قطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك اشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك . . ا . هـ . باختصار فتدبر — أيها القارىء — منصفاً فقد ارتفع الأشكال واتضح الحال ، والحمد لله رب العالمين .

٢ — وجاء فى نهج البلاغة أيضاً عن على بن أبى طالب رضى الله عنه : « لله بلاد أبى بكر لقد قوم الأود ، وداوى العلل ، وأقام السنة ، وخلف البدعة ، وذهب نقى الثوب ، قليل العيب ، أصاب خيرها واتقى شرها ، أدى لله طاعة واتقاه بحقه » . .

جاء فى كتاب التحفة الاثنى عشرية : وقد حذف الشريف الرضى صاحب « نهج البلاغة » حفظاً لمذهبه . لفظ « أبى بكر » واثبت بدله : « فلان » وتأبى الأوصاف الا أبا بكر . ولهذا الايهام اختلف الشراح ، فقال البعض هو أبو بكر ، وبعض هو عمر ، ورجح الأكثر الأول ، وهو الأظهر . . .

٣ — ان أمير المؤمنين على رضى الله عنه قد مدح الشيخين — أبى بكر وعمر — ودعا لهما حسبما ثبت عند الفريقين . وقد نقل شراح نهج البلاغة كتاب الأمير الى معاوية . وقد قال فيه بعد ما ذكر أبا بكر وعمر : « لعمرى ان مكانهما لعظيم ، وان المصاب بهما لجرح فى الاسلام شديد رحمهما الله تعالى وجزاهما بأحسن ما عملا » . .

قال صاحب التحفة الاثنى عشرية تعليقاً على هذا الكلام : فكيف يتصور صدور مثل ذلك عن المعصوم — بنظر الشيعة — لو كانا غاصبين ظالمين ؟! معاذ

الله من ذلك ، ونسأله سبحانه العصمة عما يعتقده أولئك .

٤ ــ واورد المرتضى فى (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين على من كتابه الذى كتبه الى معاوية وهو : أما بعد فان بيعتى ــ يا معاوية ــ لزمتك ، وانت بالشام ، فانه بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، على ما بايعوهم عليه . فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للنائب أن يرد . وانما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فان اجتمعوا على رجل وسموه اماماً كان ذلك لله رضا !! فان خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردوه الى ما خرج منه ، فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ..

٥ ــ وجاء فى الصحيفة الكاملة للسجاد من الدعاء للصحابة ومدح متابعتهم ، ولا احتمال للتقية فى الخلوات ، وبين يدى رب البريات ونصه : « اللهم واوصل الى التابعين لهم باحسان الذين يقولون : (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) خير جزائك ، الذين قصدوا سمتهم ، وتحروا وجهتهم ، ومضوا فى قفو اثرهم ، والائتمام بهداية منارهم ، يدينون بدينهم على شاكلهم ، ولم يتهم ريب فى قصدهم ، ولم يختلج شك فى صدورهم » الى آخر ما قال .

٦ ــ واورد الكلينى فى « الكافى » وهو من كتب الشيعة كالبخارى عند السنيين فى باب السبق الى الايمان بروايات أبى عمرو الزبيرى عن أبى عبد الله انه قال : قلت له ان للايمان درجات ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عند الله . قال نعم . قلت صفه لى رحمك الله حتى افهمه . قال : ان الله سبق بين المؤمنين كما يستبق الخيل يوم الرهان ، ثم فضلهم على درجاتهم فى السبق اليه ، فجعل كل امرىء منهم على درجة سبقه ، لا ينقصه فيها من حقه ، ولا يتقدم مسبوق ، ولا مفضول فاضلا ، تتفاضل بذلك أوائل الأمة وأواخرها .

هذه بعض الأدلة على سمو ايمان الصحابة وفضلهم بصورة عامة وفضل أبى بكر وعمر بصورة خاصة نقلناها من مصادر شيعية موثوقة لديهم ، غير أن بعض علمائهم ــ ويا للاسف ــ يؤولونها بتأويلات تبعث على التقزز والتقيىء مما لا يقول به عاقل فضلا عن عالم ، ليزيدوا اتباعهم ضلالا فوق ضلالهم فنعوذ بالله من الكفر والعناد !

ــ ٤ ــ

كنا ذكرنا فيما سبق صفحة ١٦٣ صحة حديث الحواب بايجاز ونظراً لأهمية الموضوع نزيده ايضاحاً فيما يلى نقلا عن كتاب الأحاديث الصحيحة لشيخنا محدث الديار الشامية ناصر الدين الألبانى (٥/٤٧٤) بشىء من الاختصار ، وهو فى كلامه يرد على الاستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى :

... ونحن وان كنا نوافقه على انكار ثبوت تلك الشهادة (يريد ما زعمته

الرافضة من دعوى شهادة الزبير وطلحة أنه ليس هذا ماء الحواب ، وخمسون رجلا اليهم ، وكانت أول شهادة زور دارت فى الاسلام) فانه مما صان الله تبارك وتعالى أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم منها لاسيما من كان منهم من العشرة المبشرين بالجنة .. فاننا لننكر عليه قوله : « ولا قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الحديث » كيف وهو قد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم بالسند الصحيح فى عدة مصادر من كتب السنة المعروفة عند أهل العلم ؟!

ثم قال الشيخ ، بعدما ذكر خطأ تضعيف الحديث المذكور :

بيد أن هذا مع بعده عن الصواب ، والانحراف عن التحقيق العلمى الصحيح فانه هين بجانب قول صديقنا الاستاذ (سعيد الأفغانى) فى تعليقه على قول الحافظ الذهبى المتقدم فى « سير النبلاء : وهذا حديث صحيح الاسناد » :

« فى النفس من صحة هذا الحديث شيء ، ولأمر ما أهمله أصحاب الصحاح . وفى « معجم البلدان » مادة (حواب) أن صاحبة الخطاب سلمى بنت مالك الفزارية ، وكانت سبية وهبت لعائشة ، وهى المقصودة بخطاب الرسول الذى زعموه ... ومن العجيب أن يصرف بعض الناس هذه القصة الى السيدة عائشة ارضاء لبعض الأهواء العصبية » .

وفى هذا الكلام مؤاخذات :

الأولى : يظن الاستاذ الصديق ان اهمال أصحاب (الصحاح) لحديث ما انما هو لعلة فيه . وهذا خطأ بيِّن عند كل من قرأ شيئاً من علم المصطلح ، وتراجم أصحاب (الصحاح) ، فانهم لم يتعمدوا جمع كل ما صح عندهم ، فى « صحاحهم » ...

الثانية : هذا ان كان يعنى « الصحاح » الكتب الستة ، لكن هذا الاطلاق (غير صحيح) لأن السنن الأربعة من الكتب الستة ليست من (الصحاح) لا اصطلاحاً ، ولا واقعاً ، فان فيها أحاديث كثيرة ضعيفة ، والترمذى ينبه الى ضعفها فى غالب الأحيان .

وان كان يعنى ما هو أعم من ذلك ، فليس بصحيح ، فقد عرفت من تخريجنا المتقدم أن ابن حبان أخرجه فى « صحيحه » والحاكم فى « المستدرك على الصحيحين » .

الثالثة : وثوقه بما جاء فى « معجم البلدان » بدون اسناد ، ومؤلفه ليس من أهل العلم بالحديث ، وعدم وثوقه بمسند الامام أحمد ، وقد ساق الحديث بالسند الصحيح ، ولا بتصحيح الحافظ النقاد الذهبى !!

الرابع : جزمه أن صاحبة الخطاب سلمى بنت مالك بدون حجة ولا برهان سوى الثقة العمياء بمؤلف « معجم البلدان » ..

الخامسة : ان الخبر الذى ذكره ووثق به لا يصح من قبل اسناده بل واه جداً (ولم يقبل به الخطيب نفسه رحمه الله) .

السادسة : قوله : « ارضاء لبعض الأهواء » .

وكأنه يشير بذلك الى الشيعة الذين يبغضون السيدة عائشة رضى الله عنها ويفسقونها .. بسبب خروجها يوم الجمل . ولكن من هم الذين أشار اليهم بقوله : « بعض الناس » أهو الامام أحمد .. والذهبى ، أم يحيى بن سعيد القطان شيخ الامام أحمد وهو من الثقات الأثبات ، أم اسماعيل بن أبى خالد وهو مثله كما عرفت ، أم شيخه قيس بن أبى حازم وهو مثله فى الثقة والضبط ...

وللحديث شاهد يزداد به قوة ، وهو من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنسائه :

« ليت شعرى أيتكن صاحبة الجمل الأدبب (الكثير وبر الوجه) تخرج فينبحها كلاب الحواب ، يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير ، ثم تنجو بعدما كادت » رواه البزار ورجاله « ثقات » .

قال الامام الزيلعى فى « نصب الراية » (٤ / ٦٩ ــ ٧٠) وقد أظهرت عائشة الندم كما أخرجه ان عبد البر فى « كتاب الاستيعاب » عن ابن أبى عتيق، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق : قال قالت عائشة لابن عمر : يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهانى عن مسيرى ؟ قال : رأيت رجلا غلب عليك ــ يعنى الزبير ــ فقالت : اما والله لو نهيتنى ما خرجت . ا .هـ . ولهذا الأثر طريق أخرى صححها الذهبى فى سير النبلاء (٨ ٧ــ ٧٩) .

مما سبق ندرك صحة حديث الحواب من عدة طرق ومن قبل كبار علماء الحديث ، وقد رأى بعضهم فى هذا الحديث تخطئة لعائشة رضى الله عنها فحاول تضعيفه من غير علم ! ..

ونقول بهذه المناسبة ان الله سبحانه نزه علماء السنة عن الكذب سواء كان ذلك من صالح أهل السنة أو ضدهم ، وهم بعكس كثير ممن يسمون بعلماء الرافضة وغيرهم الذين لا تكاد تجد كلمة صدق واحدة عندهم !

ومهما كان من شأن السيدة عائشة رضى الله عنها فانها نفسها شعرت بخطئها كما تقدم معنا ، ولها اجر المجتهد كما جاء فى الحديث .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
مفتاح رموز التحقيق	٥
التقدمة : بقلم الدكتور محمد جميل غازى	٦
كلمة تعريف بالمكتب السلفى لتحقيق التراث ودوره فى اخراج العواصم من القواصم	**١١**
ترجمة القاضى أبى بكر بن العربى « رحمه الله »	١٣
وصف المخطوطات التى اعتمدنا عليها فى التحقيق	٣٠
صور المخطوطات التى اعتمدنا عليها فى التحقيق	٣٤
تقديم للشيخ محمود مهدى الاستانبولى	٤٢
تصدير للعلامة محب الدين الخطيب « رحمه الله »	٤٥
العواصم من القواصم	
جزء فى : تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى ﷺ	
مقدمة المؤلف	٥٣
قاصمة الظهر	
وفاة النبى ﷺ ووقعها فى نفوس الصحابة	٥٤
استخفاء على فى بيت فاطمة	٥٤
سكوت عثمان واهجار عمر	٥٥
حوار العباس وعلى فى مرضه ﷺ	٥٨
اضطراب أمر الأنصار	٥٨
موقف جيش أسامة	٥٩

الموضـــــوع	الصفحة
عاصـــمة	
تدارك الله الاسلام والأنام بأبى بكر	٦٠
رباطة جأش أبى بكر ، ووداعه النبى ، وخطبته فى المسجد	٦٠
موقفه فى سقيفة بنى ساعدة	٦١
خلافة الصديق واستخلاف عمر	
موقف الصديق من مانعى الزكاة	٦٤
تنظيمه للجيش ، واختياره القواد والعمال	٦٤
حديث لا نورث ما تركنا صدقة »	٦٥
حديث لا يدفن نبى الا حيث يموت	٦٧
جعل عمر الأمر شورى فى اختيار الخليفة بعده	٦٨
خلافة عثمان ودعاة الفتنة	
سجايا عثمان ومكانته العالية فى الاسلام	٦٩
حديث « ان عمر شهيد ، وعثمان شهيد ، وله الجنة على بلوى تصيبه »	٧١
وصف اجمالى لدعاة الفتنة الذين قاموا على عثمان	٧٣
قاصـــمة	
المظالم والمناكير التى ادعوها على عثمان	٧٦
عاصـــمة	
بيان بطلان هذه الدعاوى سنداً ومتناً	
موقف عثمان من عبد الله بن مسعود	٧٧
موقف عثمان من عمار بن ياسر	٧٨
جمع القرآن حسنة عثمان العظمى وخصلته الكبرى	٨٠
وقعة اليمامة واستماتة حملة القرآن من الصحابة فى تلك المعركة	٨١
ابن طاوس الشيعى يروى عن علىّ اجماع الصحابة على مصحف عثمان	٨٢
أكبر داعية شيعى يدعى تحريف القرآن ويؤيده الطبرسى	٨٣

الموضـــــوع	الصفحة
عبد الله بن مسعود ومصحفه	٨٤
ما أوخذ به عثمان من حماية الحمى لابل الصدقة	٨٤
أبو ذر ومسيره الى الربذة	٨٥
ما وقع بين أبى الدرداء ومعاوية	٨٨
عثمان وأبو الدرداء . رد الحكم . تحقيق ابن تيمية وابن حزم وابن الوزير	٨٩
عثمان واتمامه الصلاة فى منى	٩٠
معاوية ومكانته فى خلافة أبى بكر وعثمان	٩٥
تولية عثمان عبد الله بن عامر بن كريز	٩٧
تولية عثمان الوليد بن عقبة ، والمامه بنشأة الوليد وجهاده	٩٨
الولاية اجتهاد وعلىّ ولىّ أقاربه	٩٩
كان النبى ﷺ أول من ولىّ بنى امية واستعان بهم	١٠٠
عدالة مروان ، وأنه من كبار الأمة عند الصحابة وفقهاء المسلمين	١٠١
سقوط كل ما استدلوا به على الوليد فى آية (ان جاءكم فاسق بنبأ)	١٠٢
اقامة عمر الحد على صهره قدامة بن مظعون من رجال بدر	١٠٥
اى حرج على المرء ان يولى اخاه او قريبه	١٠٩
ما فعله عثمان والذين قبله فى خمس الخمس والاقطاع	١١١
عثمان لم يضرب أحداً بالعصا	١١٣
علو عثمان على منبر رسول الله ﷺ	١١٣
تخلفه بالمدينة عن بدر لتمريض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ	١١٤
لو لم يكن لعثمان من الشرف الا بيعة الرضوان لكفاه	١١٥
مؤاخذتهم عثمان بأنه لم يقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان	١١٦
تحقيق علمى عن الكتاب المنسوب لعثمان	١١٩
قول على ان الخارجين على عثمان حساد طلاب دنيا	١٢١
تسيير عثمان مثيرى الفتنة الى معاوية بالشام	١٢٥
قولهم لمعاوية : كم تكثر علينا بالامرة وبقريش	١٢٨

الموضـــوع	الصفحة

انتقال مثيرى الفتنة الى منطقة عبد الرحمن بن خالد ومعاملته لهم بالحزم ١٣٠
تظاهرهم بالتوبة ١٣٠
مسير فرق الثوار الى المدينة ١٣٢
الثوار يناقشون عثمان ١٣٢
وقائع ومحاورات بين عثمان والبغاة عليه ١٣٦
فتوى ابن عمر لعثمان بألا يخلع نفسه لئلا تتخذ عادة ١٣٧
اشراف عثمان على الناس واستشهاده اياهم بسوابقه ١٣٧ – ١٣٨
موقف عثمان من أمر الدفاع عنه أو الاستسلام للأقدار ١٣٩
عثمان فى ساعته الأخيرة ١٤١
الحكم الفقهى فى موقف عثمان من الدفاع أو الاستسلام ١٤٣
الذين دافعوا عن عثمان فى الساعة الأخيرة خارج الدار ١٤٦

خـــلافة علىٌ

قولهم فى بيعة طلحة : يد شلاء ، وفى طلحة والزبير بايعا مكرهين ١٤٨
موقف علىٌ من قتلة عثمان ١٥٠

قاصـــمة

اجتماع أصحاب مكة وخروجهم الى البصرة ١٥١
خبر الحواب ، وثبوت صحة الحديث ١٥٢
خروج علىٌ الى الكوفة ، وما وقع فى العراق قبل وصوله ١٥٣

عاصـــمة

مجىء أصحاب الجمل الى البصرة لتأليف الكلمة ، والتوصل بذلك الى
اقامة الحد على قتلة عثمان ١٥٥
الإجتماع فى البصرة ١٥٧
كتابة الكتاب بين عثمان بن حنيف وأصحاب الجمل بالكف عن القتال ١٥٨
وصول على الى البصرة ووقوع التفاهم بينه وبين أصحاب الجمل ١٥٩

الموضـــــوع	الصفحة
تحقيق علمى لمسألة الحواب	١٦٣
قاصـــمة	
موقف علىّ من قتلة عثمان	١٦٨
حرب صفين ، ودعوى الفريقين ، وما اخترع فى ذلك من أكاذيب	١٦٦
الطائفتان كانتا على حق ، والبغاة على عثمان ليسوا من احداهما	١٧٢
حديث « ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين »	١٧٣
قاصـــة التحكيم	
الصحيح فيها ما رواه الدارقطنى وخليفة بن خياط	١٧٥
العراقيون جاءوا بأبى موسى من عزلته لأنه كان ناصحاً بالدعوة الى السلم	١٧٦
معاوية لم يكن يومئذ خليفة حتى يخلعه عمرو او يثبته	١٧٧
عاصـــمة	
رواية الدارقطنى خبر التحكيم فضحت الأكاذيب المفتراة	١٨٠
نصيحة المؤلف للناس بالأدب مع الصحابة	١٨٢
قاصـــمة	
احتجاج الشيعة بحديث « خم » ودعاء « والِ من والاه »	١٨٣
افتراء الشيعة على ابى بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف واهل الشـــام	١٨٤
الصحابة كلهم كفرة عند الشيعة	١٨٧
تكفيرهم كل عاص بكبيرة	١٨٩
لماذا عزمنا على نشر الكتاب بهذا التحقيق	١٨٩
طعن الشيعة فى الصحابة	١٩٠
عاصـــمة	
يكفيك من شر سماعه	

الموضـــــوع	الصفحة
مقارنة موقفهم من الصحابة بموقف النصارى واليهود من أصحاب موسى وعيسى	١٩٢
بيعة الحسن وصلحه مع معاوية	٢٠٩
مزايا معاوية وسيرته الممتازة	٢١٠
سرور النبى ﷺ برؤيا حروب معاوية	٢١٤
تحقيق علمى : هل العنعنة معناها ضعف الحديث	٢١٤
انعقاد البيعة لمعاوية على الوجه الذى وعد به رسول الله	٢١٨
كلام العلماء فى امامة المفضول مع وجود الفاضل	٢١٨
حجر بن عدى والأسباب التى حملت معاوية على قتله	٢١٩
خير الناس بعده ﷺ أبو بكر ثم عثمان ثم على ثم معاوية خال المؤمنين	٢٢٠
فساد ما تقول الشيعة فى وفاة الحسن	٢٢١
أهلية يزيد للولاية	٢٢١
نقد أخبار ملفقة على وهب بن جرير فى تمهيد معاوية لولاية يزيد	٢٢٣
تحذير ونصيحة من المؤلف للمسلمين من الدخول فى دماء الصحابة وأعراضهم بسوء	٢٣١
الليث بن سعد يسمى يزيد أمير المؤمنين	٢٣٣
ضراعات كبار الصحابة والمفكرين للحسين بلزوم رجوعه	٢٣٨
حزن يزيد لاستشهاد الحسين ومعاملته لأهل بيته	٢٤٠
طعن آل البيت بالشيعة	٢٤١
هل يزيد مسؤول عن مقتل الحسين	٢٤٢

تكتـــة

النبى صلى الله عليه وسلم أول من عقد الولاية لبنى أمية	٢٤٨
استلحاق معاوية لزياد	٢٤٨
ما روى من اعتراف أبى سفيان لعلى بن أبى طالب بأبوته لزياد	٢٤٩

نكتـــة

للولايات والعزلات معان وحقائق لا يعرفها كثير من الناس ٢٥٥
تسمية الذين شهدوا بأبوة أبى سفيان لزياد ٢٥٦
كانت الجاهلية مبنية على العصبية ، وافتراق المسلمين بعد وفاة النبى ٢٥٧
ظهور الأحزاب البكرية والعمرية والعلوية والعباسية ٢٥٨

عاصـــمة

تحذير المسلمين من أهواء المفسرين والمؤرخين الجهلة منهم وكذا أهــل الآداب ٢٦٠
ابن قتيبة برىء من كتاب « الامامة والسياسة » ٢٦١
تشيع المسعودى ، وميل المبرد للخوارج ٢٦٢
تحقيقات علمية هامة من كتاب شرح العقيدة الطحاوية وفتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٢٦٨ — ٢٧٠

ملاحـــق

الفاطميين ليسوا بخلفاء لأنهم مجوس واكثرهم زنادقة ٢٧١
بحث موجز للشيخ محب الدين الخطيب فى شأن الصحابة
كتاب نهج البلاغة ليس كله لعلىّ بن أبى طالب ، وابحاث ٢٧٢
هامة منه ٢٧٤
تفصيل فى تصحيح حديث الحوأب ٢٧٦
الفهرس ٢٨١ — ٢٨٥
المراجع ٢٨٦ — ٢٨٨

* * *

المراجع

١ ــ آراء أبى بكر ابن العربي ــ الكلامية ــ للدكتور عمار طالبى ــ طبع الجزائر

١ ــ الاصابة فى تمييز الصحابة ــ للحافظ ابن حجر العسقلانى [٨٥٢ هـ] وبهامشها الاستيعاب لابن عبد البر .

٢ ــ الأحكام السلطانية ــ للماوردى [٤٥٠ هـ]

٣ ــ الأحكام فى أصول الأحكام ــ لابن حزم الظاهرى [٤٥٧ هـ]

٤ ــ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ــ للعليمى [٥٩٢٧]

٥ ــ انساب الأشراف ــ للبلاذرى [٢٧٩ هـ]

٦ ــ البيان والتبيين ــ للجاحظ [٢٥٥ هـ]

٧ ــ البداية والنهاية ــ لابن كثير [٧٧٤ هـ]

٨ ــ تاريخ الطبرى ــ لأبى جعفر ابن جرير الطبرى [٣١٠ هـ]

٩ ــ تفسير الطبرى ــ جامع البيان [٣١٠ هـ]

١٠ ــ التمهيد لأبى بكر الباقلانى [٤٠٣ هـ]

١١ ــ تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر [٥٧١ هـ]

١٢ ــ تذكرة الحفاظ ــ للذهبى ــ طبعة الهند ١٣٣١ هـ

١٣ ــ التمهيد والبيان فى مقتل عثمان ــ لابن بكر الأشعرى [٧٤١ هـ] ــ مخطوط .

١٤ ــ تهذيب التهذيب ــ لابن حجر العسقلانى [٨٥٢ هـ]

١٥ ــ تاج العروس ــ للمرتضى الحسينى [١٢٠٥ هـ]

١٦ ــ تنقيح المقال ــ للمامقانى [١٣٥١ هـ]

١٧ ــ تاريخ القرآن والمصاحف ــ للزنجانى ــ طبعةمصر سنة ١٣٥٤ هـ

١٨ ــ جامع الترمذى [السنن] ــ لأبى عيسى الترمذى [٢٧٩ هـ]

١٩ ــ خلاصة تهذيب الكمال ــ للخزرجى [٩٢٢ هـ]

٢٠ ـ ديوان ذى الرمة [١١٧ هـ]
٢١ ـ ديوان الحطيئة [٢٧٥ هـ]
٢٢ ـ الديباج المذهب ـ لابن فرحون [٧٩٩ هـ]
٢٣ ـ الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم ـ لابن الوزير [٨٤٠ هـ]
٢٤ ـ سنن أبى داود ـ [٢٧٥ هـ]
٢٥ ـ سنن النسائى ـ [٣٠٣ هـ]
٢٦ ـ سنن ابن ماجه [٢٧٣ هـ]
٢٧ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة ـ للألبانى
٢٨ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة ـ للألبانى
٢٩ ـ السنن الكبرى ـ للبيهقى [٤٥٨ هـ]
٣٠ ـ شذرات الذهب ـ لابن العماد [١٠٨٩ هـ]
٣١ ـ شجرة النور الزكية ـ لمخلوف . طبع السلفية بمصر
٣٢ ـ صحيح البخارى [٢٥٦ هـ]
٣٣ ـ صحيح مسلم [٢٦١ هـ]
٣٤ ـ طبقات ابن سعد [٢٣٠ هـ]
٣٥ ـ طبقات الشافعية للسبكى [٧٧١ هـ]
٣٦ ـ العبر ـ لابن خلدون [٨٠٦ هـ]
٣٧ ـ عثمان بن عفان ـ صادق عرجون [طبعة مصر ١٣٦٦ هـ]
٣٨ ـ فتوح البلدان . للبلاذرى [٢٧٩ هـ]
٣٩ ـ فتح البارى ـ لابن حجر العسقلانى [٨٥٢ هـ]
فهرست ما رواه عن شيوخه ابن خير الأشبيلى . [٥٧٥ هـ] .
٤٠ ـ فصل الخطاب للطبرسى . طبعة ايران [١٢٩٨ هـ] .
٤١ ـ الفصل فى الملل والنحل ـ لابن حزم [٤٥٧ هـ]
٤٢ ـ كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف [١٨٢ هـ]
٤٣ ـ كتاب الزهد ـ للامام أحمد بن حنبل [٢٤١ هـ]

٤٤ ـ كتاب العزلة ـ للخطابى [٣٨٨ هـ]

٤٥ ـ الكفاية ـ للخطيب البغدادى [٤٦٣ هـ]

٤٦ ـ لسان العرب ـ لابن منظور [٧١١ هـ]

٤٧ ـ لسان الميزان لابن حجر العسقلانى [٨٥٢ هـ]

٤٨ ـ موطأ مالك [١٧٩ هـ]

منهاج السنة ـ لابن تيمية [٧٢٨ هـ]

٤٩ ـ مسند الامام أحمد [٢٤١ هـ]

٥٠ ـ الميسر والقداح ـ لابن قتيبة [٢٧٦ هـ]

٥١ ـ المنتقى من أحاديث الأحكام ـ للمجد ابن تيمية [٦٥٢ هـ]
مشكاة المصابيح ـ بتحقيق الألبانى

٥٢ ـ المنتقى من منهاج الاعتدال ـ لابن تيمية ـ والذهبى اختصره [٧٤٨ هـ]

٥٣ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية . جمع ابن قاسم ـ ٣٧ مجلد

٥٤ ـ معجم البلدان ـ لياقوت [٦٢٦ هـ]

٥٥ ـ نسب قريش ـ للزبيرى [٢٣٦ هـ]

٥٦ ـ النهاية فى غريب الحديث ـ لابن الأثير [٦٠٦ هـ]

٥٧ ـ وفيات الأعيان ـ لابن خلكان [٦٨١ هـ]

رقم الايداع : ٢٨٤٠ / ٨٥

مطابع المختار الاسلامى
١٤٥ طريق المعاهدى الزراعى - محطة المطبعة

من منشورات دار الكتب السلفية :

- ☐ **أهوال القيامة** • عبد الملك على الكليب
- ☐ **صفة صلاة النبى ﷺ [الطبعة الثانية عشرة ، ذات الزيادات]**
  محمد ناصر الدين الألبانى
- ☐ **تحفة العروس [أو الزواج الاسلامى السعيد]**
  محمود مهدى الاستانبولى
- ☐ **عالم الجن والشياطين** • عمر سليمان الأشقر
- ☐ **وجوب اعفاء اللحية** • الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى
- ☐ **الدعاء المستجاب [من الأحاديث الصحيحة والكتاب]**
  أبو حذيفة السلفى
- ☐ **الطريق الى الجنة** • أبو بكر جابر الجزائرى
- ☐ **العلم والعلماء** • أبو بكر جابر الجزائرى
- ☐ **عقيدة المؤمن** • أبو بكر جابر الجزائرى
- ☐ **التنكيل بما فى تانيب الكوثرى من الأباطيل**
  للشيخ المعلمى اليمانى [فى مجلدين]
- ☐ **المراة المسلمة** • للشيخ حسن البنا [تحقيق الشيخ الألبانى] ..

ومعه مجموعة رسائل الى المراة المسلمة لجماعة من العلماء : الدكتور عمر سليمان الأشقر ، الدكتور محمد محمد حسين ، الأستاذ منير محمد الغضبان ، الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود ، الدكتور محمد الصباغ .

تطلب جميع منشوراتنا من :

مكتبة الإمام البخاري

الإسماعيلية جمهورية مصر

٤٦ شارع الجمهورية « الشلاتين »

٣٠٠ قرشاً للنسخة

مطابع المختار الاسلامى

Bibliotheca Alexandrina
1523238